

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّحْقِيقُ فِي تَرْجُمَاتِ الْبَلَاغَةِ
مَنْهَجُ مَادَّةِ الْكِتَابِ الْقَدِيمِ فِي أَقْسَامِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ١٣٥٨ لسنة ٢٠٢٤

BP193.1.A2 S28 2024

سظام، كاطع جار الله. - مؤلف.

التحليل اللغوي لنهج البلاغة: منهج مادة الكتاب القديم في اقسام اللغة العربية /
الدكتور كاطع جار الله سظام، الدكتورة جنان ناظم حميد. - الطبعة الاولى. - كربلاء،
العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٤ / ١٤٤٥ للهجرة.
مجلد؛ ٢٤ سم. (العتبة الحسينية المقدسة؛ ٣٩٨)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة؛ ١٤٦).
يتضمن ارجاعات بيلوجرافية.

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩ - ٤٠٦ للهجرة - نهج البلاغة ٢.
علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - حديث
٣. البلاغة العربية ٤. تحليل الخطاب أ. العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج
البلاغة (كربلاء، العراق) - جهة مصدرة. ب. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية
والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

التحليل اللغوي لنهج البلاغة
منهج مادة الكتاب القديم في أقسام اللغة العربية

الجزء الأول

بالتيف

الدكتور كاظم جبار الله سظام

الدكتورة جنان ناظم حميد

إصدار

مؤسسة عالم نهج البلاغة

العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Info@Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة
تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كذا نجده يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الدراسات والبحوث العلمية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والإنتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية بيان أثر تلك المرويات العلوية.

وتعد هذه الدراسة المباركة الأولى في مجالها المخصوص في المناهج الدراسية لطلبة الجامعات، وقد جاءت استجابة لتوصيات لجنة وضع المناهج الدراسية في وزارة التعليم العالي باختيار كتاب نهج البلاغة كمادة لتدريس (مادة الكتاب القديم) في أقسام اللغة العربية وقد اشتملت هذه الدراسة على تحليل الخطبة الأولى من النهج المبارك وفق المستويات اللغوية (الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية، البلاغية).

فجزى الله الباحثين خير الجزاء على هذه الجهد والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسن الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعده.

فقد دأبت أقسام اللغة العربية في جامعات العراق على تدريس كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرّد منهجا مقررا للمادّة الكتاب القديم، وهذا الكتاب لا يختلف في محتواه عن الكتاب المقرّر تدريسه لهذه المادّة في المرحلة الثانية وهو كتاب: البيان والتبيين للجاحظ، فكلاهما يعرض اختيارات متنوعة لكلام السابقين من خطب ورسائل وأشعار وحكم وقصص، وعلى هذه الشاكلة نهجت كتب الأدب العربي القديمة، إذ يُلجأ إلى هذا النوع من التأليف للتسلية والترويح عن القارئ، ولذا نجدها تحمل الغثّ والسمين في طيّاتها، فمنها ما يفيد القارئ ويهذب النشء والمتعلّمين، ومنها ما لا طائل منه، فضلا عن كون بعضها باعثا للسخرية أو مثيرا للغرائز أو مسرّحا للخلافات المذهبية، ومن ثمّ يضطرّ أستاذ المادّة إلى الانتقاء مع الحفاظ على تناول مقدمة المؤلف التي تعرف بالكتاب فلا بدّ منها. وكتاب المبرد فيه ماخذ كثيرة أبرزها إنّ اختياراته إنّ صلّحت للقراء والباحثين المتخصّصين في الأدب العربي فلا تصلح للطلبة المتعلّمين الذين يطلّعون على كتابٍ قديمٍ في تراثهم يعزّز ثقتهم به، وينقل لهم ما فيه نفعٌ وصلاحٌ وتهذيبٌ وامثالٌ للأدب العربي الإسلامي والتعاليم القرآنية.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

واعتمد المبرّد في اختياراته التراثية على ذوقه الخاص، إذ إنّه لما ألف كتابه للكلام عن الخوارج - على وفق ما صرح محقق الكتاب - ظهرت فيه الخلافات العقدية بين الصحابة وانتقاد بعضهم بعضاً، وهذا كثيرٌ. من ذلك نقله شعراً للحطيئة يذمُّ اختيار الناس أبا بكر ويذكر ارتداد العرب عن الإسلام بعد وفاة النبيّ، وفيه ذمٌ لعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف. وهنا تظهر اختيارات للمبرد بلا سندٍ موثّق، ككلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمن بن عوف، وكتاب عثمان إلى عليّ (عليه السلام) لما أُحيط به. ومن ذلك اهتمامه بخطب الحجاج التي يتوّعد فيها العراقيين بالقتل أو الخنوع له. مع الالتفات إلى تنصُّله عن ذكر خطب أمير المؤمنين الشائعة، إذ اكتفى وهو ينقل خطب الحجاج كاملة بإيراده سطرين من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الزهد. وكذا يعرض من النصوص التاريخية ما يحطُّ من قدر أهل البيت (عليهم السلام)، كتعليقه على كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم يطلب منه أن يخطب له أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، فيصف الحسين (عليه السلام) بالغدر لما خطبها لابن عمها القاسم ورفض خطبة مروان ابن الحكم. ومن ذلك ما رواه عن تحزّب أهل البيت (عليهم السلام) إلى أسامة بن زيد دون أبيه. واستثناسه باختيار أبيات شعرية في تفضيل بني العباس على الحسن بن علي (عليهما السلام). وفي جملة من اختياراته كلام مكذوب على أهل البيت وآخر يمسّ الحياء ولا يصلح للعرض أمام الطلاب، كالمثل العربي: أسرع من نكاح أم خارجة. والكتاب مليء باختيارات تخالف النهج الإسلامي والثقافة التربوية العظيمة للشريعة الإسلامية فبينما هو يهتم بإيراد الشعر العربي وأقوال العرب في ذم القصر ومدح الطول لا يذكر بالنهي الإلهي عن السخرية من الآخرين كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى

أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[الحجرات: ١١]﴾. وفي اختيارات المبرد إيغال في موضوعات تدخل الطالب في أمور لا طائل منها ولا تعود بنفع أو فائدة عليه. كسرده أخبار المغنين والقيان وأشعارهم، والتشبيب بالنساء شعرا، والنقائض الشعرية وما فيها من فحش القول.

إن النهج الذي اختطه المبرد في الكامل في اللغة والأدب هو عينه الذي تسير عليه كتب الأدب القديمة كالبيان والتبيين للجاحظ وزهر الآداب للحصري وأدب الكاتب لابن قتيبة والأمالي لأبي علي القالي وهي أصول الأدب كما يذكر ابن خلدون لكن هذه الكتب تحشد النصوص الأدبية والروايات التاريخية دون غريلة وتمييز بين الجيد والرديء، فمنها ما هو مناسب للطالب ومنها ما هو غير مناسب فيشير إشكالا أخلاقيا أو عقديا، حتى أن كتاب زهر الآداب مع ادعاء مؤلفه الابتعاد عن المجون لم يخل منه.

وقد اهتم الكتاب بدءا من القرن الرابع اهتماما كبيرا بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى في خواطرهم ولم يكن الوصف عندهم مآيات عفوا في المناسبات الطارئة كما كان الحال في أوائل العصر الإسلامي بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية فأطالوا الحديث عن الأزهار والرياح والنبات والنسيم والرياح والليل والنجوم والجداول والغدران ومنازل اللهو ومجالس الشراب والنساء والغلمان والقيان وآلات الطرب ومحاسن الشباب والأفاعي والثعابين ونحو ذلك. واطنبوا في وصف المعاني الوجدانية كما اطنبوا في وصف المرثيات

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

فتكلموا عن إهواء النفوس ونزعاتها فوصفوا الحقد والبغض والكرم والبخل وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من الهنات والعورات وهذا المذهب حملهم على التكلف والإسراف. والصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان: وجه جميل يدلّ على حذقهم وبراعتهم، ووجه آخر يدلّ على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض وهو غموض لا يرقى بالكتاب إلى مستوى عرضه على الطلبة ليكون محلا للدراسة ولا يوصل ثقافة نافعة إلى الطالب. ولذا يقع على أستاذ المادة انتقاء الصالح منها للتدريس ونبذ الكثير غيره، لكنّ المختار الذي يصلح للتدريس هو من المكرر على أسمع الطلبة فالروايات التاريخية ذات العبرة أو الطُرف المفيدة والأمثال الأصيلة النافعة هي مما تعرفه الطالب في دراسته المتوسطة والإعدادية في مادتي المطالعة والأدب والنصوص أو سيق ضمن مفردات الأدب العربي المقررة للدراسة في أقسام اللغة العربية شعرا أو نثرا.

ولما كانت الغاية من مادة الكتاب القديم هي إيقاف دارس العربية على كتاب تراثي يتابع نصوصه متابعة لغوية متكاملة وتمتزج فيه علوم العربية كلّها أدبا ولغة وبلاغة ويشدّ انتباه الطالب إلى قضايا النصّ الصوتية والصرفية واللغوية والنحوية والمعجمية والبلاغية وينبّه على اتقان القراءة ومراعاة أصوات العربية وصفاتها عند النطق ومراعاة تجاور الأصوات في اللفظة فضلا عن تطورات المعنى فيها، تظهر الحاجة كبيرة إلى نصّ محكم عالي البلاغة، ألفاظه فصيحة لا ركاكة فيها ويكون محتواه تثقيفيا للطالب يغدّي فيه أدب القرآن وتعاليم الدين ويرسخ القيم الاجتماعية الإنسانية في ذهنه، فلا بدّ للطالب الجامعيّ في عصرنا الحاضر من دراسة كتاب قديم يوصل إليه المعلومة اللغوية متكاملة وذات فائدة أخلاقية وأدبية. وليس في تراثنا ما

يسدّ هذه الثلمة أفضل من كتاب نهج البلاغة للإمام عليّ (عليه السلام) الذي جمع فيه الشريف الرضيّ خطب ورسائل وحكم الإمام (عليه السلام).

وقد اتجهت وزارة التعليم العالي إلى تطبيق نظام الفصلين الدراسيين المنفصلين (الكورسين) في الأقسام الإنسانية ولذا رأينا أن يكون الكتاب من قسمين خصصنا الأول منها لتحليل الخطبة الأولى من النهج المبارك وهي المعروفة بـ(خطبة التوحيد)، على حين خصصنا القسم الثاني بتحليل عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر. وفي كلا القسمين حللنا كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفق المستويات اللغوية كلّها، بدءاً بأصغر وحدة في التحليل اللغوي وانتهاءً بأكبرها، بأسلوب يغلب عليه السؤال والجواب؛ لإثارة أذهان الطلبة في توظيف علوم العربيّة للإجابة عمّا يوصل إلى فهم المراد من الكلام بدقّة إن شاء الله تعالى، ويسبق ذلك مختصر للمعنى العامّ لكل مقطع. وربّما تركنا الإجابة عن طائفة من الأسئلة ليجتهد الطلبة في الإجابة عنها سواء في المحاضرة نفسها أو في المحاضرة اللاحقة. أمّا المستويات اللغويّة الخمسة فهي:

١- المستوى الصوتي وفيه تنشّط ذاكرة الطلبة أوّلاً حول قواعد تجاور الأصوات وما يحدث بسببها من ظواهر صوتيّة سبق درسها في موادّ، التطبيقات اللغوية والصرف وعلم اللغة، من إدغام وإقلاب وإظهار أو تفخيم وترقيق لبعض الأصوات، أو نطق للام القمرية دون الشمسيّة، مع لفت انتباه الطلاب إلى مراعاة علامات الترقيم، وطريقة قراءة النصّ اللغويّ من حيث التنغيم في رفع الصوت وخفضه حسب المراد من استفهام أو تعجب أو تقرير أو تحسّر، أو الوقف والابتداء، والزمن الذي يستغرقه قارئ النصّ عند نهاية

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

العبارة أو الوقفة الطويلة، أو القصيرة فيما عداها. ويعدّ حسن القراءة وصحّتها ومراعاة علامات التقييم من أوليات هذه المادّة التي لا مناص عن سؤالهم عنها في الاختبارات المخصّصة لها.

٢- المستوى الصرفيّ وفيه يدرّب الطلبة على تلمس دلالة الصيغ الصرفيّة المبرّزة وأثر تلك الدلالة في المعنى العامّ للعبارة أو المقطع.

٣- المستوى النحويّ وفيه تعرض القضايا النحويّة ذات الوجوه الإعرابيّة المتعدّدة، مع حثّ الطالب على توجيه تلك الاحتمالات توجيهها يلائم مراد الإمام (عليه السلام) على وفق الاستعمالات اللغويّة الواردة في الموضوع ذاته. فضلا عن التنبيه على دلالات عوارض التركيب وبعض الأدوات النحوية، والمواقع الإعرابيّة للجمل والمفردات المبرّزة في النصّ.

٤- المستوى المعجميّ ويدرس فيه الطالب الدلالة الدقيقة للألفاظ اعتمادا على المعجمات اللغويّة، مع التركيز على الظواهر اللغوية كالترادف والمشارك اللفظي والتضاد، فضلا عن التطور الدلالي للفظة من حيث: تخصيص الدلالة أو تعميمها أو هبوط المعنى أو رقيّه.

٥- المستوى البلاغيّ ويعرض لفنون علم البلاغة الثلاثة وهي: علم البيان، وعلم المعاني وعلم البديع، ولكلّ قسم مجاله الخاصّ. لذا ينبّه الطالب على أبرز الجوانب البلاغيّة في كلام الإمام عليه السلام، مع التركيز على الموازنة بين نهج البلاغة والتعبير القرآني والاستئناس بأقوال الأئمة المعصومين في الموضوع نفسه.

ونقترح أن تكون مادّة الكتاب القديم من المواد التي يُمتحن فيها الطالب تحريريا أسوة بسائر المواد حتى لا يُتعامل معها تعاملًا رخوا غير جاد. لأن هذه

...المقدمة...

المادّة من المواد المهمة التي تنماز من غيرها بأنّها جامعة لفنون اللغة كلّها فتجعل من النصوص مسرحا تطبيقيا لما يدرسه الطالب. والجانب الشفهي فيها والمتمثل بسلامة نطق الطالب مُحَرز من السعي السنوي للطالب أي الدرجة اليومية له إلى جانب الامتحان التحريري الذي سيركز على تحريك المقطع المنتخب لاستلال الأسئلة منه. والمأمول من تأليفنا هذا الكتاب ان يتدرب الطالب على قراءة قيس من نهج البلاغة وتحليله لغويا وصولا إلى حفظه كي يتسلح بخزين لغوي رصين يستقي منه الحكمة والتأثير في المتلقين فضلا عن التطبيق العملي الصحيح لقواعد العربية التي تلقاها تنظيرا وشرحا من أساتيده في النحو والصرف والبلاغة وعلم اللغة وفقهها ؛ لأنّ الذي يرسخ المادّة العلمية في ذهن الطالب هو تطبيقها عمليا بعد تلقّيها نظريًا.

واعتمدنا في نقل المادّة اللغوية على عدة كتب أبرزها معجمات اللغة كالصاح ومقاييس اللغة والمفردات وكتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، وشرح نهج البلاغة كشرح ابن أبي الحديد، وشرح ابن ميثم البحراني، وشرح الميرزا الخوئي المسمّى (منهاج البراعة)، وشرح الشيخ محمد تقي التستري المسمّى بهج الصباغة، وشرح محمد جواد مغنية (في ظلال نهج البلاغة)، وغيرها من الشروح فضلا عن التفاسير الروائية المتقدّمة وكتب الحديث المبرّزة.

والأمل معقود على الزملاء الأفاضل الذين سينهضون بتدريس مادّة الكتاب القديم في أقسام اللغة العربية لموافاتنا بملاحظهم السديدة وتصويباتهم القيمة ومقترحاتهم النافعة كي نرأب بها ما انصدع من تحليلنا هذا فيأخذ طريقه في الاستدراك والتنقيح في الطبعات القادمة مع تسجيل اسم الأستاذ المتفضل علينا بملحوظاته في قائمة الشكر والتقدير التي أثرنا حجبها عن الطبعة الأولى للكتاب.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

وفي الختام نسجل عميق شكرنا وجزيل امتناننا إلى الشيخ عبد المهدي الكربلائي أمين العتبة الحسينية المقدسة الذي أوعز بطباعة هذا الكتاب المنهجي ورأى تدريسه في الجامعات العراقية خطوة مهمة ومباركة نحو نشر منهج أمير المؤمنين بين النشء الجديد

والله ولي التوفيق.

المؤلفان

١٠/٧/٢٠١٨م

التَّمهيدُ

نَهْجُ الْبِلاغَةِ بَيْنَ أَنْصارِهِ وَمُعارِضِيهِ

١- نهج البلاغة، ما هو؟

نهج البلاغة اسم وضعه الشريف الرضي لكتاب جمع بأسلوب فريد روايات متقاة من خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورسائله وحكمه، بلغ المختار المجموع منها مئتين واثنين وأربعين خطبة أو كلاما وثمانية وسبعين كتابا أو رسالة، وأربع مئة وثمانين وتسعين حكمة. ثم أضحى النهج لدى الناس علما مبلّغا عن الإمام وفكره، فكلامه بين أيديهم يحكي عبقرية رجل لم يعرفه إلا الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١). إذ تعجز العقول وإن قويت فطنتها عن سبر غور علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي جمع من الفضائل والمناقب ما تمتى الصحابة (رضي الله عنهم) ان يظفروا بإحداها ليكون ذلك خيرا لهم مما طلعت عليه الشمس أو خيرا لهم من حُمر النعم^(٢)، ورحم الله المتنبّي إذ قال^(٣):

وَتَرَكْتُ مَدْحِي لِلْوَصِيِّ تَعْمُدًا إِذْ كَانَ نُورًا مُسْتَطِيلًا شَامِلًا
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بِإِطْلَا

فماذا يقول الباحث ((في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده وكل من على الأرض يعبد الحجر ويوجد الخالق؟ لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير: محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله))^(٤) وماذا يقول ((في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يُمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضله؟ فقد

(١) ينظر: كنز العمال ٦/١٥٦ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٧٤٢-٧٤٤ وصحيح مسلم ١٠١٩-١٠٢٢ .

(٣) ديوان المتنبّي بشرح البرقوقي ٢/٥٤٦ .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/٣٠ .

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

اجتهد بنو أمية في إطفاء نوره ولعنوه على جميع المنابر وحبسوا مادحيه وقتلوههم ومنعوا من رواية كل حديث يتضمّن له فضيلة أو يرفع له ذكرا حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسموًا. وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عرفه، وتضوّع نشره. وكالشمس لا تستر بالراح. وكضوء النهار إن حُجب عن عينٍ واحده أدركته عيون كثيرة. وماذا يقول في رجلٍ تُعزى إليه كلُّ فضيلةٍ وتنتهي إليه كلُّ فرقةٍ وتتجاذبه كلُّ طائفةٍ؟^(١).

ولا يملك الباحث في سيرة عليّ (عليه السلام) إلا أن يقول: ((سبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلامًا من أبناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء، وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من إفلاطون وأرسطو. ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية، لأنّ قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك، وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط. ولم يربّ بين الشجعان لأن أهل مكة كانوا ذوي تجارة، ولم يكونوا ذوي حرب، وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض... وخرج أفصح من سبحان وقُسس، ولم تكن قريش بأفصح العرب، قالوا: أفصح العرب جرهم وإن لم تكن لهم نباهة. وخرج أزهّد الناس في الدنيا، وأعفهم، مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا، ولا غرو فيمن كان محمد صلى الله عليه وآله مربيّه ومخرجه، والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان))^(٢). وإزاء تراكم غبار الظلم صرف مبعضو عليّ (عليه السلام) ما نزل بحقّه من قرآن، وحرّفوا ما قيل في فضله من حديث، وراموا هدم ما شيّدته هو لنفسه من مجد تليد بجهاده وعلمه وعبادته. ثمّ شاء الله وحدها على مشيئته أن يصل إلينا نهج البلاغة وفيه حاجة العالم

(١) نفسه ١٧/١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦ / ١٤٥.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد. وفيه أقام ابن أبي طالب براهين التوحيد ودلائل الصنعة وأسرار الخليقة وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شُبُهات الذين لا يعلمون. وفيه تهذيب النفس وسياسة المدن وحكمة التشريع والعظات البليغة والحجج الدامغة وإنارة العقول وطهارة النفوس وينايع الحكمة. وفيه وصف الخلق عموماً وتمثيل الجنة والنار عياناً. وفيه قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر. وفيه وصف الطاووس والخفاش والذرة والنملة وصفا يستوعب ما في هذه الكائنات من عجائب التكوين وبدائع القدرة. وفيه حقوق الإخوان والرعية والوالدين والأبناء والناس أجمعين. ثم فيه خبر ما سيأتي نقلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي كل ذلك ارتفع أمير المؤمنين (عليه السلام) بالفصاحة العربية عن أن تنصب في التوافه، فتكون مسوقةً لبيان صفة فرس أو بعير أو حمار وحشي أو امرأة أو بركة ماء أو قصر أو معركة. وسماها لتتلخص في نوازع البشر المخلوق من الطين. إذ لم يعهد العرب فصيحاً يسوق الكلام في توحيد الله تعالى ولم يألّفوا فصيحاً يصف خلق الكون من أرض وسماوات وماء وجبال وصخور وسحاب وهواء وإنس وجنّ وملائكة. فحقّ لأهل البلاغة أن يدهشوا ويعجبوا برجل هو أعرف بطرق السماوات منه بطرق الأرض^(١). لكن العجب سيزول حين يعي المرء أن هذا المتكلم هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى، وأنه الأذن الواعية التي صبّ فيها رسول الله بأمر ربه العلم صبّاً^(٢) فحقّ لها أن تعي وتحفظ ثم تبلّغ على رغم أنف الناكثين والمارقين والقاسطين والنواصب.

لقد وصل إلينا كتاب نهج البلاغة وفيه من خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق

(١) قال (عليه السلام) في نهج البلاغة: الخطبة ٢٣١، ص: ٢٣٨: (أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض).

(٢) ينظر: صحيح مسلم ١٠١٩ ومجمع البيان ١٠/٢٩/١٠٧.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

النبوي، والنظر فيه يورث الشجاعة والشهامة والمروءة وعظمة النفس لأنه من روح بطل صنيديد واجه المصاعب بعزائم الأسود^(١). وهو كتاب ضمّ بين دقّيته عيون البلاغة وفنونها وتهيأت به - للناظر فيه - أسباب الفصاحة ودنا منه قطفها. إذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منطقاً وأشدّهم اقتداراً وأبرعهم حجّة وأملكهم للغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي يملأ القلب سحر بيانه، والعالم الذي تهيأ له من خلال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتابة الوحي والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حدوثه ما لم يتهيأ لأحد سواه^(٢).

ومن حق المرء أن ((يطيل التعجّب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالها من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه - إذا اراد الموعظة - بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسسي المسوح الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً...))^(٣). ومهما أطال ذوو الصنعة النظر في نهج البلاغة والتأمل في ألفاظه وتراكيبه لن يجدوا في أنفسهم نفورا ولا صدودا بل أن هو اجسهم تجرّهم إليه بعد حين جرّاً فيقبلوا عليه مجددا كأن لم يقرؤوه بالأمس، وفي كل يوم لهم فيه جديد فيظفرون منه بالمزيد، وهذا حال الشارح ابن أبي الحديد المعتزلي مع النهج إذ قرأ خطبة للإمام يصف فيها الأموات والبرزخ أكثر من ألف مرة وفي كل مرة تترك أثرا جديدا في نفسه عجزت كل طرق البلاغة عن محاكاة بعضه فقال: ((أقسم بمن تقسم الأمم

(١) ينظر: شرح النهج لابن أبي الحديد ١١/١٥٣ وتمام نهج البلاغة ١/٨٩.

(٢) ينظر: مقدمة شرح النهج لمحمد عبده ٢-٣.

(٣) ينظر: يتيمة الدهر: ٣/١٣٦ والرجال ٣٩٨ وتاريخ بغداد ٢/٦٤٦ وعمدة الطالب ٢٠٧ شذرات الذهب ٣/١٨٢ وروضات الجنات ٥٤٦.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفا وعظما وأثرت في قلبي وجيبا، وفي أعضائي رعدة ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودي وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله. وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي))^(١).

لقد اقترن نهج البلاغة باسم الإمام علي (عليه السلام) اقترانا يذكر الملائم باسم جامعته الشريف الرضي المولود في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والمتوفى فيها سنة ٤٠٦ هـ (رحمه الله)، وهو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وينتهي نسبه إلى الإمام علي (عليه السلام)، ومن الحفيد إلى جده اثنا عشر علما^(٢).

وقد عكف الرضي على جمع النهج منذ عام ٣٨٢ هـ حتى ٤٠٠ هـ، فكان زمن جمع النهج سبعة عشر عاما^(٣). ثم غلبت شهرة الشريف الرضي - الذي لم يجاوز عمره العقد الخامس - الآفاق بعد جمعه النهج، إذ فشا عمله هذا بين الناس معرّفا به ومشيرا إليه ومغطيا على جهده الآخر في الأدب واللغة والحديث، ولذا فاقت شهرة الرضي شهرة أخيه الأكبر الشريف المرتضى المولود سنة ٣٥٥ هـ، والمتوفى سنة ٤٣٦ هـ عن عمر ناف على الثمانين زاخر بمسائل العقيدة والفقه والأصول^(٤). ولكن الرضي جمع النهج فسمّا بسموه، ولو أتى بالنهج وحده لكان الظفر له في ساحة المقايسة بالكتب.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١١/١٥٣.

(٢) نفسه ١١/١٥٣.

(٣) ينظر: نهج البلاغة (خاتمة الرضي) ٦٩٧ ودراسة حول النهج ١٤.

(٤) ينظر: الرجال ٢٧٠-٢٧١ والمنتظم ٧/٢٧٦.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

لقد عاش الرضيّ عصامياً عظيماً في نفسه حاملاً رسالته الدينية والأدبية بأحسن وجه فأمضى العمر زاهدا عالماً مؤلفاً في القرآن الكريم والسنة النبوية والبلاغة العلوية في سلسلة منتظمة مترابطة من البحوث النافعة التي أنارت الطريق للأجيال فكان الفارس الوثّاب الذي جرى خفيفاً إلى العلا بخطى راسخة، فحقّ له القول إذ يصف نفسه^(١):

حَدَفْتُ فُضُولَ الْعَيْشِ حَتَّى رَدَدْتُهَا	إِلَى دُونَ مَا يَرْضَى بِهِ الْمُتَعَفِّفُ
وَأَمَلْتُ أَنْ أَجْرِيَ خَفِيفاً إِلَى الْعُلَى	إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تَلْحَقُوا فَتَخَفُّوا
حَلَفْتُ بَرَبِ الْبُدنِ تَدْمَى نَحْوَرُهَا	وَبالنَّضْرِ الْأَطْوَارِ لَبَّوْا وَعَرَّفُوا
لأَبْتَدِلَنَّ النَّفْسَ حَتَّى أَصُونَهَا	وغيرِي فِي قَيْدٍ مِنَ الذَّلِّ يَرشُفُ
فقد طالما ضيّعت في العيش فرصة	وهل ينزع الملهوف ما يتلهّف
وإن قولي في الشعر ما لم أكن لها	مُسَفِّسَةً، فِيهَا عَتِيقٌ وَمُقَرِّفُ
أَنَا الْفَارِسُ الْوَثَّابُ فِي صَهَوَاتِهَا	وكل مجيد جاء بعدي مردف

وقد تولّى الرضيّ عدة مناصب معظمها دينية وترك في المكتبة العربية كتباً قيمة إذ كان ((نقيب النقباء وهو ذو الفضائل الشائعة والمكارم الذائعة كانت له هبة وجلالة وفيه ورع وعفة وتقشف ومراعاة للأهل والعشيرة. وُلِّي نقابة الطالبين مراراً وكانت إليه إمارة الحاج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه ذي المناقب، ثمّ تولّى ذلك بعد وفاته مستقلاً وحج بالناس مرّات، وهو أول طالبي جعل عليه السواد، وكان أحد علماء عصره، قرأ على أجلاء الأفاضل وله من التصانيف: كتاب المتشابه في القرآن وكتاب مجازات الآثار النبوية وكتاب نهج البلاغة وكتاب

(١) ديوان الشريف الرضيّ ٢١/٢.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

تلخيص البيان في مجازات القرآن وكتاب الخصائص^(١) وغيرها.

وفي يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وأربعمئة توفي الشريف الرضي،
ورثاه جمع غفير من الشعراء أبرزهم تلميذه مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) من
قصيدة طويلة يقول فيها^(٢):

أَبْكَيكَ لِلدُّنْيَا الَّتِي طَلَّقْتَهَا وَقَدْ اصْطَفَيْتَ شَبَابَهَا وَعَرَامَهَا
وَرَمَيْتَ غَادَتَهَا بِفَضْلَةٍ مَعْرُضٍ زَهْدًا وَقَدْ أَلَقْتَ إِلَيْكَ زَمَامَهَا

لقد وثق الرضي في تقديمه للنهج مسيرته المباركة في جمع هذا السفر الجليل،
فقال: ((إني كنت في عنفوان السنِّ وفضاضة الغصن. ابتدأت بتأليف كتاب في
خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم...
فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير
في المواعظ والحكم والأمثال والآداب؛ دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة،
فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين
ببدائعه ومتعجبين من نواصعه. وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي
على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه
من خطب وكتب ومواعظ وأدب... فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من
عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر))^(٣).

(١) عمدة الطالب ٢٠٧.

(٢) ديوانه ٣/٣٦٦-٣٧٠.

(٣) نهج البلاغة (مقدمة الرضي) ١١.

ونهج البلاغة فيض من خطب أمير المؤمنين ورسائله ووصاياه وحكمه مما قدر للرضي أن يجمعه وقد صرح الرضي بأن ما جمعه بعض من كلام الإمام (عليه السلام)، فقال: ((ولا أدعي - مع ذلك - أي أحيط بأقطار جميع كلامه (عليه السلام) حتى لا يشدّ عني شاذّ ولا يند ناد بل لا أبعء أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي، وما عليّ إلا بذل الجهد وبلاغ (الوسع))^(١) ثم سمّى الرضي ما جمعه بنهج البلاغة وبين وجه التسمية بأن نهج البلاغة ((يفتح للنّاظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها))^(٢).

وقد قسّم الرضي كتابه على ثلاثة أبواب بعد أن رأى ((كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها الخطب والأوامر. وثانيها الكتب والرسائل. وثالثها الحكم والمواعظ))^(٣) والفرق بين الخطب والأوامر هو أن الخطبة كلام منتظم يتضمن محاسن البلاغة ويراعي حفظ الأوزان والفواصل. وأما الأوامر فهي الأحكام والتكاليف المتعلقة بأفعال المكلفين لما فيه صلاحهم في الدين والدنيا. والفرق بين الكتب والرسائل هو أن المراد بالكتب الكلام المكتوب الصادر منه (عليه السلام) إلى الناس من ولاية وخصوم وأصحاب وأبناء. والرسائل كتب صغيرة في مقام بعث السفراء والرسل أو ما كان جواباً لهم. وأما الفرق بين الحكم والمواعظ فهو أن الحكم كلمات قصار ترفع الإنسان عن فعل القبيح. والمواعظ هي وصايا بالتقوى والحثّ على الطاعات^(٤).

(١) نفسه ١٤ .

(٢) نفسه ١٤ .

(٣) نفسه ١٢ .

(٤) ينظر: منهاج البراعة للختوي ١ / ٢٨١ .

وأبواب النهج الثلاثة التي أقرها الرضي هي:

الأول: وهو المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة^(١).

الثاني: وهو المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياهم لأهله وأصحابه^(٢).

الثالث: وهو المختار من حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ويدخل في ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه^(٣).

ووضّح الرضي منهجه في الجمع فقال: ((ابتدأت باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف بابا ومفصلا فيه أوراها لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذّ عني عاجلا ويقع إليّ آجلا. وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار أو جواب سؤال أو غرض آخر من الأغراض - في غير الأنحاء التي ذكرتها وقرّرت القاعدة عليها - نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدّها ملامحة لغرضه. وربما جاء في ما اختاره من ذلك فصول غير متّسقة ومحاسن كلم غير منتظمة، لأنّي أوردت النكت واللمع، ولا أقصد التتالي والنسق))^(٤).

(١) نهج البلاغة ١٥.

(٢) نفسه ٤٥٧.

(٣) نفسه ٥٩٧.

(٤) نهج البلاغة (مقدمة الرضي) ١٢.

ونوه الرضوي على ما في النهج من كلام مكرّر فقال: ((ربّما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المرّد والمعنى المكرّر. والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا. فربّما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه، ثم وُجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة فتقتضي الحال أن يُعاد استظهارا للاختيار، وغيره على عقائل الكلام، وربّما بُعد العهد بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا، لا قصدا واعتمادا))^(١).

٢- معارضو النهج وشبهاتهم.

بعد أن حظي نهج البلاغة بإقبال العلماء في القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت بواكير التشكيك في القرن السابع، ثم توالى الشكوك مع مرّ الزمن لعدة بواعث بعضها مذهبي وأكثرها سياسي. ولذا شقّ نهج البلاغة طريقه بدءا من منتصف القرن السابع بين فريقين: الأول له، والآخر عليه. وإنّما انطلق أكثر المشككين من باعث سياسي في التشكيك بمضمون النهج لأنّه يحدّد مفهوم السلطة تحديدا دقيقا، ويشيع الحقوق العامة، ويحثّ على الحرّية والعدالة الاجتماعيّة. وهذه المفاهيم لم يرتضها الحكام بعد عصر الراشدين إلى الآن، فشجّعوا ثقافة الطعن بعليّ (عليه السلام) أولا حتّى سبّ علي المنابر ثمانين حولا. ولما جمع النهج بعد حقبة من الزمن بادر الحكّام وقضاتهم إلى إبطال نسبة الكتاب إلى علي (عليه السلام) بغية إبعاد الناس عن مفاهيمه التي تزلزل حكم الجبابرة والطواغيت^(٢).

ويمكن تقسيم المشككين على قسمين: قدماء ومحدثين. وأول القدماء هو

(١) نفسه ١٤.

(٢) ينظر: صوت الإمام في نهج البلاغة ١/٦٨.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

قاضي قضاة دمشق في زمانه ابن خلكان (ت ٦٨٦هـ) الذي عرض شكّه في النهج لما وقف على ترجمة الشريف المرتضى، فقال: ((اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضيّ؟ وقد قيل: إنّه ليس من كلام عليّ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم))^(١).

ثم شايع ابن خلكان فريقاً من القدماء منهم الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) الذي رأى أنّ النهج مكذوب على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لما فيه من السبّ الصراح والحطّ على الصحابة والتناقض والركاكة^(٢). وكرّر ابن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ما قاله ابن خلكان والذهبي لا سيما شبهة الرضيّ والمرتضى^(٣). والأمر نفسه يلحظ لدى اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، والعسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، وابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)^(٤).

وأما المحدثون فأبرز المشككين في النهج منهم هو أحمد أمين (ت ١٩٥٤م)، وملخص شكوكه في النهج أن فيه سجعا منمّقا، وصناعة لفظية لا تعرف في ذلك العصر، وفيه تعبيرات فلسفية لم يألفها العرب إلا بعد أن نُقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية، وبعد تدوين العلوم، وفيه أوصاف دقيقة منمقة بأسلوب لم يعرف إلا في العصر العباسي كوصف الخفّاش الطاووس^(٥).

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٣.

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٩.

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات ٧/ ٢١.

(٤) ينظر: مرآة الجنان ٣/ ٥٥ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٥ وميزان الاعتدال ١/ ١٠١ ولسان

الميزان ٤/ ٢٢٣ وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٧.

(٥) ينظر: فجر الإسلام ١٤٨-١٥١.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

ومن المشكّكين المحدثين شوقي ضيف (ت ٢٠٠٥م)، وشكوكه تتلخص بأنّ الكتاب للرضي أم لأخيه؟ وفي وجود السجع في متن النهج، ورأى ليس من الطبيعي أن يسجع عليّ في خطابه مع نبي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) عنه^(١).

وشكّك محمد كرد علي في الخطب الطوال من النهج لان التطويل في الخطب لم يكن معهودا آنئذ، ورأى أنّ النهج زيدت فيه زيادات كثيرة قبل عهد الرضيّ وبعده، وأكثره من كلام فصحاء الشيعة وغيرهم بدليل الاختلاف الكبير في نسخه^(٢).

وجمع أحمد زكي صفوة^(٣) شكوكا كثيرة طوّل في سردها كما طوّل في مناقشتها، فرد بعضها وآمن بأكثرها واهمها: خلو المصادر الأدبية والتاريخية قبل الشريف الرضيّ من كثير مما ورد في نهج البلاغة. وورود الأفكار السامية والأحكام الدقيقة والعلوم المختلفة في نهج البلاغة مع أنها أمور عرفت في عصور متأخرة. وإطالة الكلام وإشباع القول في طائفة من الخطب كما في عهد الإمام (عليه السلام) إلى الأستر النخعي الذي جاء مسهبا مطنبا مشتملا على كثير من الحيلة والحذر والتوكيدات والمواثق والنظرات السياسية والقواعد العمرانية التي لم تكن معروفة في عصر الإمام (عليه السلام). والتعريض ببعض الصحابة وذمهم كما في خطبته المسماة بالشقشقية. وطغيان النزعة الصوفيّة الفلسفية في كثير من خطب النهج مما لم يعرف بين المسلمين الا في القرن الرابع الهجري. ودقة الوصف وغلبة السجع

(١) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ٦٠-٩٣.

(٢) ينظر: أمراء البيان ٢٢.

(٣) ينظر: ترجمة عليّ بن أبي طالب ١٢٠-٢٠٨.

وتنميق الكلام مما لم يعهد في صدر الإسلام.

ووقف محمد طاهر درويش موقف المشكك في قسم من خطب النهج لاسيما تلك التي وردت خالية من بعض الحروف وغلبت عليها الصبغة الفلسفية والصناعة اللفظية وتلك التي تصف الطاووس والخفاش والزرع والسحاب وصفا دقيقا لم يكن معروفا آنذ، وتلك التي تصف الملاحم والفتن وتخبر بالغيب من نبواته بالحجاج، وفتنة الزنج، وغارات التتر، وتلك التي تتناول الخلفاء قبله بما لا يليق بهم^(١). ولخص محمد محيي الدين عبد الحميد شكوكه في النهج بعدة نقاط منها: التعريض بالصحابة، وادّعاء صاحب النهج علم الغيب، ودقة الوصف، واستفراغ صفات الموصوف، وإحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما في وصف الخفاش والنحلة والجراد والطاووس، وهذا الوصف لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباءه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس^(٢).

وشكك محمد سيد كيلاني في معظم ما جاء في النهج إن لم يكن كله، وبعض شكوكه جديدة لم يسبق إليها، وبعضها الآخر تكرر لسابقه، فأما جديده فهو إن متن النهج طويلٌ وواسع يتعدّد نقله مشافهة وحفظا عن علي (عليه السلام) إذ ليس من شك في أنّ حفظ هذا المقدار الضخم من الأمور المتعدّرة، وفي النهج خطب طويلة جدا ليس من السهل وعيها وتذكر ألفاظها بعد أجيال. وأما الشكوك المردّدة عن السابقين فأهمها: إنباء خطب النهج بالغيب، واشتمالها على علوم فلسفية وروحانية لم تعرف في المجتمع الإسلامي كدقائق علم التوحيد وأبحاث الرؤية، ودقته في وصف أصناف الطيور والحشرات، والدعوى إلى

(١) ينظر: الخطابة في صدر الإسلام ١/ ٣٣٠-٣٣٣.

(٢) ينظر: شرح النهج لمحمد عبده بتحقيق محمد محيي الدين، مقدمة المحقق ٧-٩.

الرهبنة، والاختلاف الكبير في أساليب الخطب، والطعن على الخلفاء والقضاة والوزراء، والتطويل بالحمدلة في صدر الخطب، وذكر الوصي والوصاية، وهي خرافة لم تظهر إلا بعد قتل علي^(١).

٣- أنصار النهج وردّ الشبهات.

الثابت لدى المعنيين بالنهج أنّ معظم ما جاء فيه موجود في كتب المتقدمين وإن لم يشر الشريف الرضيّ إلى ذلك ((ولو لم يعر بغداد ما عراها من الدمار على يد التتر، ولو بقيت خزانة الكتب الثمينة التي أحرقها الجهلاء لعثرنا على مرجع كل مقولة مندرجة في نهج البلاغة))^(٢). ولذا تلقف البلغاء المتقدمون خطب النهج غير مرتابين من إنّ عليّاً (عليه السلام) قالها؛ لقوة متونها من حيث جزالة اللفظ، وقوة السبك، وعجيب النظم، وسحر البيان. وهذه أقوى القرائن لدى البلاغيين في الاطمئنان إلى صحة نسبتها إلى الإمام (عليه السلام). ثم لا ريب لديهم في صحة سندها، إذ هو منقول عنه (عليه السلام) بالاستفاضة والشيعاء المفيد للاطمئنان وتواتر جانب كبير منه. وقد عني فريق من العلماء بتحقيق متن النهج من جانبين^(٣): الأول: أسناد النهج إلى جامع الشريف الرضيّ. الآخر: تواتر النهج من الرضيّ إلى الإمام (عليه السلام) فلاحظوا ان السند إلى الشريف الرضيّ قوي ومعروف من عدة طرق منها تصريح الشريف الرضيّ بعمله الكبير هذا في كتبه الأخرى وأقوال المشايخ المعاصرين للرضيّ أو المتأخرين عنه ووجود نسخة النهج التي كتبها الرضيّ بخط يده وكثرة النسخ الأخرى التي نسخت على منوالها^(٤).

(١) ينظر: أثر التشيع في الأدب العربي ٥١-٦٧.

(٢) دراسة حول نهج البلاغة: ٧ وينظر: استناد نهج البلاغة ٢٠.

(٣) ينظر: دراسة حول نهج البلاغة ٨-٩.

(٤) ينظر: شرح النهج للكيدريّ ١/ ٥٤-٥٦ وما هو نهج البلاغة ١٣ ودراسة حول نهج البلاغة ١٢٦.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

فضلا عن أمانة الرضيّ وتحرّره من التعصب المذهبي، إذ خلص الدكتور زكي مبارك إلى ((إنّ الشريف الرضيّ كان قليل الرعاية للعصبيّة المذهبيّة، وكان حرّ العقل إلى حد بعيد، فقد كان يدرس جميع المذاهب الإسلاميّة ليمد عقله بالأنوار التي يرسلها اختلاف الفقهاء))^(١).

وأما تواتر النهج من الرضيّ إلى الإمام (عليه السلام) فيعضده كثرة المصادر التي نقلت كثيرا من خطب الإمام عليّ (عليه السلام) قبل ان يخلق الرضيّ بكثير. فنهج البلاغة ((قد طبقت معروفيته الشرق والغرب، ونُشر خبره في أسمع الخافقين، وتنور من تعليمات النهج جميع افراد نوع البشر لصدوره عن معدن الوحي الإلهي))^(٢) والرضيّ يرتبط بجده الإمام علي (عليه السلام) بسند قوي لا مجال للشك فيه والطعن به هو سند الحفدة عن الأبناء عن الآباء عن الأجداد، وهو السند نفسه الذي أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ»^(٣). وأكثر من عني بمصادر نهج البلاغة وأسانيده هو عبد الزهراء الخطيب الذي وثق نسبة النهج إلى الإمام علي (عليه السلام) معتمدا على أربعة أنواع من المصادر:

الأول: مصادر ألفت قبل سنة ٤٠٠ هـ وهي سنة ظهور النهج إلى الملأ ولا

(١) عبقرية الشريف الرضيّ ١ / ١٢٥ والشريف الرضيّ (محمد عبد الغني) ٣٠.

(٢) الذريعة ١ / ١٤ - ٥.

(٣) أصول الكافي ١ / ٤١، وينظر: مصادر نهج البلاغة ١ / ١١٠.

تزال تلك الكتب موجودة إلى اليوم.

الثاني: مصادر ألفت قبل صدور النهج، ولكنها لم تصل إلينا وكثير منها مبثوث في كتب أخرى وصلت إلينا.

الثالث: كتب ألفت بعد الرضيّ دونت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بإسناد متصل لم يمر على الرضيّ ولا على كتابه.

الرابع: كتب صدرت بعد الرضيّ ونقلت كلام الإمام (عليه السلام) بصورة تختلف عما ورد في النهج ولم تشر إليه البتة.

وقد أحصى عبد الزهراء الخطيب من المصادر في القسمين الأول والثاني مئة وأربعة عشر مصدراً رتبها ترتيباً الفبائياً^(١). أما المصادر والروايات التي صرح الرضيّ بذكرها فبلغ مجموعها خمسة عشر مصدراً ورواية^(٢).

وقد تبين لعبد الزهراء الخطيب أنّ الشريف الرضيّ لم يكن هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين ولا السابق إلى تدوينه، إذ عني الناس به عناية بالغة قبل الرضيّ، فدونوه في عصر الإمام (عليه السلام)، وحفظوه في أيامه، وكتبوه ساعة إلقائه. ودلل عبد الزهراء الخطيب على ذلك بذكره اثنين وعشرين مصدراً قبل الرضيّ كلها مختصة بخطب أمير المؤمنين ورسائله وحكمه^(٣). ثم عضد ذلك بأربعة وعشرين مصدراً جمعت كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الرضيّ^(٤). ومن هنا انبرى مناصرو النهج للشبهات التي أثيرت حوله بالرد والتخطئة؛ فأما شبهة

(١) ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١/ ٢٩-٤١.

(٢) ينظر: نفسه ١/ ٤١-٤٢.

(٣) ينظر: نفسه ١/ ٥١-٦٦.

(٤) ينظر: نفسه ١/ ٦٦-٨٦.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

الرضيُّ أو المرتضى فقد رُدَّتْ بأنَّ كُلاًّ من الشريف الرضيِّ والمرتضى كانا ينتسبان إلى السيد إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، فكان الأخوان كلاهما يلقبان بلقب جدّهما (المرتضى) ثم وقع اللبس بين لقب الابن (الرضيِّ) ولقب جدّه (المرتضى)، ولم يزعّم أحد أنّ الشريف المرتضى جمع النهج أو شارك في جمعه. ورأى هبة الدين الشهرستاني أنّ الشريف الرضيِّ كان يلقب بالمرتضى أحياناً، كما أنّ أخاه كان يلقب بذلك، ثم بقي أخوه على هذا اللقب، ولقب الأول بالرضيِّ يوم رضوه نقيباً، وكلّ من الرضيِّ والمرتضى لقبان يُتصرّف بهما في كثير من المواقف وليس اسمين ثابتين لهما^(١). وقد وثق الشريف الرضيِّ جمعه للنهج في عدة مواضع من كتبه ومنها حقائق التأويل والمجازات النبوية^(٢) وغير ذلك.

أمّا شبهة رواية الخطب الطويلة فرُدَّتْ بأنَّ حفظها أمر متيسّر لا متعذّر على أرباب الفصاحة والبيان والذوق الأدبي الرفيع، وليست بأعجب من رواية المعلقات السبع والقصائد الأخرى التي عُرفت بالطوال، فضلاً عن إن العناية بالحفظ والكتابة كان أمراً شائعاً في تلك الحقبة. وقد عُرف بين الصحابة من كان يحفظ المطوّلات لأوّل مرّة من سماعها كابن عباس وغيره، والنيل من نهج البلاغة بدعوى ان العرب لم يعرفوا الخطب الطوال ما هو إلقاء قول باهت لا يقوم على دليل، ويأباه العقل والنقل، فأما العقل فيؤكد لنا ان الخطيب يتكلم بما يملي عليه الجمهور والموقف، فربّما قصّر وربّما طوّل، وأمّا النقل فأقرّ خطبا كثيرة وُصفت بالطويلة ذكرتها كتب اللغة بعضها أطول من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٣). وربّما شعر الرضيِّ بفتور همّة الناس - في زمانه - عن حفظ المطوّلات

(١) ينظر: ما هو نهج البلاغة ١٨ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٣٩.

(٢) ينظر: حقائق التأويل ١/٢٨٧، ٥/١٦٧ والمجازات النبوية ٤٠، ٦٧، ١٩٩، ٢٥١.

(٣) ينظر: ما هو نهج البلاغة ٥٢-٥٣ والمدخل إلى علوم نهج البلاغة ٢٤٠-٢٤١.

من الخطب والرسائل، فعمد إلى تقطيع بعض الخطب الطويلة في النهج إلى عدة أجزاء، كخطبة (الوسيلة) التي أوردتها العلماء تامة لكن الرضيّ أوردتها في أجزاء مستقلة في باب الحكم والمواعظ للتسهيل على الحفاظ والمتلقين^(١).

أما اتهام الرضيّ بانتحال النهج والكذب على جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) فمن الاعتساف أن يقال مثل هذا في الرضيّ وهو من هو في الأمانة والصدق والتقوى والورع. ومن درس سيرة الرضيّ وأدرك حقيقته عرف أنه على جانب كبير من الصلاح والتقوى، وهو بعيد عن الكذب والانتحال والتقول. وخلص السيد القبانجي إلى ((إنّه إذا ثبت أنّ كلّ ما في نهج البلاغة للإمام عليّ فهو معجزة أدبية، وإذا أراد النافون أن ينفوه عنه وينسبوه إلى جامع الكتاب فتكون معجزة الإمام أعظم إذ يستطيع حبّه أن يملي على محبّيه أن يأتوا بمثل هذه الدرر الغوالي))^(٢).

٤- شرح نهج البلاغة عبر القرون.

أقبل ذوو الصنعة عبر القرون إلى نهج البلاغة بين حافظ وناسخ ومترجم إلى غير العربيّة ومجاز من المشايخ لتدريسه وروايته، وقد توالى شروحاتهم له وتعليقاتهم عليه، وأخذت تلك الجهود بالاتساع حقبة بعد أخرى. إذ استحوذ نهج البلاغة على جانب واسع من الجهد العلمي الإنساني قديماً وحديثاً فنجد المعنيين به من قوميات شتى سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين.

وقد عني جمع غفير من علماء العربية بسرد أسماء شراح النهج وشروحاتهم

(١) ينظر: المدخل إلى علوم نهج البلاغة ١٣.

(٢) صوت الإمام عليّ ٤٦/١.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

المعروفة أو المفقودة. كما فعل المحدث حسين بن محمد النوري (ت ١٩٢٠م)^(١)، والسيد محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي (ت ١٩٥٢م)^(٢)، والمحدث آغابزرك الطهراني (ت ١٩٧٠م)^(٣) والشيخ العلامة عبد الحسين بن أحمد الاميني (ت ١٩٧١م)^(٤).

وجمع السيد عبد الزهراء الخطيب معظم ما أُلّف في نهج البلاغة في مبحث نافع عنوانه (مكتبة نهج البلاغة)^(٥) قسّمه على قسمين رئيسين: الأول خصصه بشروح النهج، فجمع منها مئة وشرحا واحدا، رتبها ترتيبا زمنيا، والقسم الثاني عرض فيه ما أُلّف في النهج من ترجمات ونظم ومصادر واستدراكات وأشعار ودفاع عنه وتأليف على نسقه. وجمع من هذه المؤلفات ثلاثة وثلاثين مؤلفا. لكن الزمن أتى على مكتبة نهج البلاغة ففقد كثير من الشروح وبقيت أسماؤها مدونة في كتب الفهارس والرجال فضلا عن ورودتف منها في ما وصل إلينا من الشروح المطبوعة. وفي ما يأتي أسماء الشّراح من أصحاب الشروح المطبوعة بالعربية، مرتّبين بحسب الزمن:

١- ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم زيد بن محمد البيهقي المعروف بفرید خراسان المتوفى ٥٦٦هـ (رحمه الله)^(٦) وشرحه بعنوان: معارج نهج البلاغة^(٧).

٢- قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة ٥٧٣هـ في قم (رحمه

(١) ينظر: مستدرك الوسائل ٣/٥١٣.

(٢) ينظر: أعيان الشيعة ٤١/٢٦٧.

(٣) ينظر: الذريعة ١٤/١١١-١٦٠.

(٤) ينظر: الغدير ٤/١٨٣-١٩٣.

(٥) ينظر: مصادر نهج البلاغة ١/٢٠٠-٢٧٣.

(٦) ينظر: البداية والنهاية ١٣/١٩٨-١٩٩ وروضات الجنات ٤٠٨-٤٠٩ وفوات الوفيات ١/٥٢٢-٥١٩.

(٧) حققه محمد تقي دانش، وعنيت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي سنة ١٤٠٩هـ.

... التحليل اللغوي لنهج البلاغة ...

الله^(١). شرحه بعنوان: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة^(٢). نُسب إليه تسمّحاً أنه أوّل من شرح النهج^(٣).

٣- قطب الدين أبو الحسين محمد بن الحسين الكيدريّ، من علماء القرن السادس الهجري (رحمه الله)^(٤)، وشرحه على نهج البلاغة بعنوان: حقائق الحقائق في فسر دقائق أفصح الخلائق^(٥).

٤- عزّ الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزليّ البغداديّ المتوفّي سنة ٦٥٦ هـ (رحمه الله)^(٦)، وشرحه بعنوان: شرح نهج البلاغة^(٧).

٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفّي سنة ٦٧٩ هـ (رحمه الله)^(٨)، وله ثلاثة شروح على نهج البلاغة أهمّها شرحه الكبير (شرح نهج البلاغة)^(٩).

٦- أبو الحسن يحيى بن حمزة بن علي الحسينيّ (ت ٧٤٩ هـ)^(١٠)، وشرحه بعنوان

(١) تنظر ترجمته في الغدير ٣٨٠/٥ ومعجم رجال الحديث ٩٣/٨ وروضات الجنات ٣٠٢ وأعيان الشيعة ٢٣٩/٧، والذريعة ٥٥/٣ ومستدرك الوسائل ٣٦٣/٣ ومنهاج البراعة للراونديّ ١/٥٠-٦٦.

(٢) حققه عبد اللطيف الكوهكمري، وعينت بطبعه مكتبة اية الله المرعشي النجفي في ثلاثة اجزاء عام ١٤٠٦ هـ.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥/١.

(٤) ينظر: الغدير ١٣/٦ وأعيان الشيعة ٣١٧/٧ ومصادر نهج البلاغة ١/٢٠٩.

(٥) حققه عزيز الله العطاردي، ونشره بجزأين في طهران سنة ١٣٧٥ هـ.

(٦) تنظر ترجمته في الذريعة ١١٣/١ والغدير ١٨٧/٤ ومستدرك الوسائل ٣/٣٦٣.

(٧) طبع مرارا آخرها في عشرين جزءاً وهي أجزاء الكتاب حسب تجزئة مؤلفه.

(٨) ينظر ترجمته في: مستدرك الوسائل ٧٥/٥ والذريعة ١٥٩/٤ ولؤلؤة البحرين ٢٢٦

ورروضات الجنات ٤١٣-٤١٤ والغدير ١٨٩/٤ ومصادر نهج البلاغة ١/٢٢٣-٢٢٦.

(٩) الذي طبع مرارا آخرها بخمسة مجلّدات في بيروت.

(١٠) ينظر: البدر الطالع للشوكاني ٢/٣٣١-٣٣٣ والانتصار على علماء الأمصار ليحيى بن

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

الديباج الوضيّ في الكشف عن أسرار كلام الوصيّ (١).

٧- الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ (رحمه الله)، من علماء الأزهر ومفتي الديار المصرية في زمانه (٢)، وشرحه بعنوان: شرح نهج البلاغة (٣).

٨- السيد حبيب الله بن السيد محمد المعروف بأمين الرعايا الموسوي الخوئي (٤)، له شرح واسع للنهج سمّاه: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، وهو تكرر لعنوان شرح الراونديّ، وصل فيه إلى منتصف الخطبة (٢٢٨) فتوفّي قبل إتمامه ثم طبع عام ١٣٦٥ هـ في سبعة أجزاء وأخرى عام ١٣٧٧ هـ في أربعة عشر جزءاً بعناية السيد إبراهيم الميانجي الذي أتم شرح الخطبة (٢٢٨) إلى آخرها وألحقها بالشرح في ختم الجزء الرابع عشر. ثم قصرت همّة الميانجي عن شرح ما لم يشرحه الخوئي من النهج فنهض بهذا العمل نجم الدين حسن زادة الأملي وشرح الباقي من خطب الإمام ووصاياه، فزاد ستة أجزاء أخرى على الشرح ليبلغ العشرين، ثم زاد محمد باقر الكمري جزءاً واحداً هو الحادي والعشرون خصصه بشرح الحكم فتمّ الكتاب وطبع في واحد وعشرين جزءاً في طهران عام ١٤٠٠ هـ.

٩- الشيخ محمد جواد مغنية المتوفى سنة ١٤٠٠ هـ (رحمه الله)، وشرحه بعنوان:

حمزة (التقديم).

(١) حققه خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ونشرته مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية في ستة أجزاء، عام ٢٠٠٣ في اليمن.

(٢) ينظر: دراسة حول النهج ١٦٦ ومصادر نهج البلاغة ١/ ٢٤٧ وشرح النهج لمحمد عبده ١٢-١٤.

(٣) طبع شرح عبده عدة مرات أولها في سنة ١٨٨٥ م في بيروت.

(٤) تنظر ترجمته في: الذريعة ١٤/ ١٥٧ ومصادر نهج البلاغة ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

في ظلال نهج البلاغة / محاولة لفهم جديد^(١).

١٠- الشيخ محمد تقى بن كاظم بن الشيخ محمد علي التستري المولود في النجف عام ١٣٢٠هـ المتوفى في بلدة آباءه تستر في إيران سنة ١٤١٥هـ (رحمه الله). شرحه بعنوان (بَهج الصبَاغة في شرح نهج البلاغة) مطبوع في أربعة عشر جزءاً.

١١- الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد راشد السامرائي المتوفى سنة ٢٠٠٤م^(٢) (رحمه الله)، له كتاب: (مع نهج البلاغة / دراسة ومعجم)^(٣). وجاءت دراسته على هيئة معجم لألفاظ النهج رُتبت موادّه ترتيباً الفبائياً بحسب الحرفين الأول فالثاني وكان يورد عبارة النهج التي تضطّم على اللفظة ثم يعلق بها دراسة موجزة. وينماز كتاب السامرائي هذا بتلمس أثر نهج البلاغة في اللهجات العربية الحاضرة وأقوال المنشئين المعاصرين.

١٢- آية الله العظمى السيد محمد بن المهدي الشيرازي، له: توضيح نهج البلاغة^(٤).

١٣- آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي صاحب تفسير الأمثل، وشرحه للنهج بعنوان: نفحات الولاية / شرح عصري جامع لنهج البلاغة.

١٤- السيد أبو علي عباس علي الموسوي الملقب بالخطيب، من علماء لبنان له: شرح نهج البلاغة، مطبوع في لبنان عام ١٤١٨هـ في خمسة أجزاء.

(١) طُبِعَ في لبنان في أربعة أجزاء، ثم في ستة أجزاء بعناية سامي الغريزي في عام ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر في ترجمته: إبراهيم السامرائي وجهوده اللغوية ٦- ٢٣.

(٣) مطبوع في عمّان عام ١٩٨٧م.

(٤) مطبوع في قم عام ١٤١٠هـ بأربعة أجزاء فرغ من تأليفه عام ١٣٨٥هـ عندما كان مقيماً في مدينة كربلاء.

... التمهيد: نهج البلاغة بين أنصاره ومعارضيه ...

١٥- السيد محمد تقى النقوي، شرحه بعنوان مفتاح السعادة في شرح نهج

البلاغة^(١).

وشاعت على نحو واضح - في العقد الأخير - حركة التأليف في نهج البلاغة في الجامعات العراقية فكانت المحصلة مئات من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه فضلا عن عشرات الدراسات الجامعية في الوطن العربي. أما البحوث والدراسات القصيرة فأوسع من أن يبلغها الحصر. ولما تزل حركة التأليف زاخرة في نهج البلاغة لما في متنه من مادة علمية خصبة يستقي منها أولو النهى على اختلاف مشاربهم جيلا بعد جيل ثم لا تنقضي عجائبه ولا ينضب معينه لأنه قبس من نور القرآن الكريم.

(١) طبع في ثمانية عشر مجلدا في طهران (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م).

القسم الأول

التحليل اللغوي لخطبة التوحيد

توطئة

نص الخطبة:

احتوت الخطبة الأولى المعروفة بخطبة التوحيد على موضوعات متنوعة موزعة في اثني عشر مقطعاً تكلم فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) عن معرفة الله وصفاته التي توصل للدارس أصول التوحيد من منابه المباركة، ثم يتحدث (عليه السلام) عن خلق العالم وصفة السماء وخلق الرياح ثم خلق الملائكة وأنواعهم. ثم خلق آدم (عليه السلام). ثم خلق الأنبياء. وفيها حقائق قرآنية تبين تنزيه الأنبياء عما لا يليق بهم. ثم يصف (عليه السلام) المبعث النبوي الشريف فوصف القرآن الكريم وبيانه. ثم وصف الحج وسبيله والغاية منه. وهي قوله (عليه السلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلَائِقَ ^(١) بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَدَّ ^(٢) بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ ^(٣).

أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَعَالَ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَعَالَ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَعَالَ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَعَالَ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ

(١) فَطَرَ الْخَلَائِقَ: ابتدعها على غير مثال سبق.

(٢) وَوَتَدَّ- بالتشديد والتخفيف -: ثبَّت.

(٣) مَيْدَانَ أَرْضِهِ: تحرَّكها بتمايل.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

صِفَةٌ أَنَّمَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةٌ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جِهَلَهُ،
وَمَنْ جِهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهْ، وَمَنْ حَدَّهْ فَقَدْ عَدَّهْ، وَمَنْ
قَالَ: (فِيمَ؟) فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: (عَلَامَ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ^(١)، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ
كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ^(٢)، فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ
خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا^(٣)، وَلَا تَجْرِبَةَ اسْتَفَادَهَا، وَلَا
حَرَكَةَ أَحَدَتْهَا، وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ^(٤) اضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَلَا أَمَّ^(٥)
بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَعَرَّزَ عَرَائِزَهَا^(٦)، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطًا
بِحُدُودِهَا وَأَنْتِهَائِهَا، عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَحْنَائِهَا^(٧).

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ - فَتَقَّ الْأَجْوَاءَ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَّائِكَ^(٨) الْهَوَاءَ، فَأَجَارَ
فِيهَا مَاءً مُتَلَطِّمًا تَيَّارُهُ^(٩)، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ^(١٠)، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ،

(١) لاعن حدث: لا عن إيجاد موجد.

(٢) المزايلة: المفارقة والمباينة.

(٣) الروية: الفكر، وأجالها: أدارها ورَدَدَها.

(٤) همامة النفس: بفتح الهاء: اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

(٥) لأم: قرَن.

(٦) عَرَّزَ عَرَائِزَهَا: أودع فيها طباعها.

(٧) القرائن: هنا: جمع قُرُونَةٍ وهي النفس، والاحنَاء: جمع حُنُوٍ - بالكسر -: وهو الجانب.

(٨) السكائك: جمع سُكَاكَةٍ - بالضم: وهي الهواء الملاقي عنان السماء.

(٩) التيار: هنا: الموج.

(١٠) الزَّخَّارُ: الشديد الزخر، أي الامتداد والارتفاع.

وَالزَّرْعَ ^(١) الْقَاصِفَةَ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَمَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيْقُ ^(٢)، وَالْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقُ ^(٣).

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَهَا ^(٤)، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا ^(٥)، وَأَعَصَفَ مُجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنَشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ ^(٦) الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةَ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ ^(٧) مَخَضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَضْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوْلَاهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ ^(٨) عَلَى مَائِرِهِ ^(٩)، حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَامَهُ ^(١٠)، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوِّ مُنْفَهَقٍ ^(١١)، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا ^(١٢)، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ ^(١٣) يَنْظُمُهَا.

ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ ^(١٤)، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ^(١٥)،

(١) الزَّرْعُ: الريح التي تزرع كل ثابت.

(٢) الفتيق: المفتوق.

(٣) الدفيق: المدفوق.

(٤) اعْتَقَمَ مَهَبَهَا: جعل هبوبها عقيمًا، والريح العقيم التي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا.

(٥) مُرَبَّهَا - بضم الميم - مصدر ميمي من أَرَبَ بِالْمَكَانِ: لازمه، فالرَّبُّ: المُلَازِمَةُ.

(٦) تَصْفِيقِ الْمَاءِ: تحريكه وتقليبه.

(٧) مَخَضَتْهُ: حركته بشدة كما يُمَخَضُ السَّقَاءُ.

(٨) الساجي: الساكن.

(٩) المائر: الذي يذهب ويحيى.

(١٠) رُكَامُهُ: ما تراكم منه بعضه على بعض.

(١١) الْمُنْفَهَقُ: المفتوح الواسع.

(١٢) المكفوف: الممنوع من السيلان.

(١٣) الدَّسَارُ: واحد الدَّسْرِ، وهي المسامير.

(١٤) الثَّوَابِقُ: المنيرة المشرقة.

(١٥) مُسْتَطِيرًا: منتشر الضياء، وهو الشمس.

وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ^(١) مَائِرٍ.

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ: مِنْهُنَّ سُجُودٌ لَا يَرِ كَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ^(٢) لَا يَتَزَايِلُونَ^(٣)، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعِيُونَ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ. وَمِنْهُنَّ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ. وَمِنْهُنَّ الْحَفِظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ^(٤) لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ. وَمِنْهُنَّ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُنَّ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُنَّ، وَالخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائُهُنَّ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُنَّ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُنَّ، مُتَلَفِّعُونَ^(٥) نَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمُصْنُوعِينَ، وَلَا يُحَدِّثُونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُنْشِرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ^(٦) الْأَرْضِ وَسَهْلَيْهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا^(٧)، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالمَاءِ^(٨) حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَّا^(٩) بِالْبَلَّةِ^(١٠) حَتَّى لَزَبَتْ^(١١)، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ

(١) الرَّقِيمُ: اسم من أسماء الفلك: سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ مَرْقُومٌ بِالْكَوَاكِبِ.

(٢) صَافُونَ: قَائِمُونَ صَفُوفًا.

(٣) لَا يَتَزَايِلُونَ: لَا يَتَفَارِقُونَ.

(٤) السَّدَنَةُ: جَمْعُ سَادِنٍ وَهُوَ الْخَادِمُ.

(٥) مُتَلَفِّعُونَ: مَنْ تَلَفَّعَ بِالثَّوْبِ إِذَا التَّحَفَّ بِهِ.

(٦) حَزْنُ الْأَرْضِ: وَعَرُّهَا.

(٧) سَبَخَ الْأَرْضِ: مَا مَلَحَ مِنْهَا.

(٨) سَنَّ المَاءِ: صَبَّه.

(٩) لَا طَهَّا: خَلَطَهَا وَعَجَبَهَا.

(١٠) البَلَّةُ - بِالْفَتْحِ: مِنَ الْبَلَلِ.

(١١) لَزَبَ: مِنْ بَابِ نَصَرَ، بِمَعْنَى التَّصَقُّ وَثَبْتُ وَاشْتَدَّ.

أَحْنَاءٌ^(١) وَوُضُولٌ، وَأَعْضَاءٌ وَفُضُولٌ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا^(٢) حَتَّى صَلَّصَلَتْ^(٣)، لِيَوْقَتْ مَعْدُودًا، وَأَجَلَ مَعْلُومًا، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ^(٤)، إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا^(٥)، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.

وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيَعَتَهُ^(٦) لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْأَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ، اغْتَرَّتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَعَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَأَغْرَتَهُ^(٧) عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجُدَلِ^(٨) وَجَلًّا^(٩)، وَبِالْإِعْتِرَارِ نَدْمًا. ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ

(١) الأحناء: جمع جنو - بالكسر - وهو الجانب من البدن.

(٢) أصلدها: جعلها صلبة ملساء متينة.

(٣) صلصلت: يسست حتى كانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها الرياح.

(٤) مثل - ككرم وفتح: قام منتصبا.

(٥) يختدمها: يجعلها في خدمة مآربه.

(٦) استأدى الله سبحانه الملائكة وديعته: طالبهم بأدائها.

(٧) اغترت آدم عدوه الشيطان: أي انتهز منه غرة فأغواه.

(٨) الجدل - بالتحريك: الفرح.

(٩) الوجل: الخوف.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسَلَ الدَّرِّيَّةُ.

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ^(١)، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ^(٢) مَعَهُ، وَاجْتَالَتَهُمْ^(٣) الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمُ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ^(٤) مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِمَّهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشِ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالِ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابِ^(٥) تَهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثِ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ^(٦) قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقْصِرُ بِهِمْ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ.

عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتْ^(٧) الْقُرُونُ، وَمَضَّتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ^(٨) وَتَمَامِ

(١) ميثاقهم: عهدهم.

(٢) الأنداد: الأمثال، وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى.

(٣) اجتالتهم: بالجيم: صرفتهم عن قصدهم.

(٤) واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة، وقوله (ليستأذوهم): ليطلبوا الأداء.

(٥) الأوصاب: المتاعب.

(٦) المحجة: الطريق القويم الواضحة.

(٧) نسلت: بالبناء للفاعل: مضت متتابعة.

(٨) الضمير في (عِدَّتِهِ) لله تعالى، والمراد وعد الله بإرسال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على لسان أنبيائه السابقين.

نُبُوَّتِهِ، مَاخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتِهِ^(١)، كَرِيماً مِيْلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُتَشَابِهَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَابِهَةٌ، بَيْنَ مُشَبَّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحَدٍ^(٢) فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمَحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى، فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً.

وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ^(٣) قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ [فِيكُمْ]: مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ^(٤)، وَرُخْصَةَ وَعَزَائِمَهُ^(٥)، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ^(٦)، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ^(٧)، مُفَسِّرًا مَجْمَلَهُ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَاخُوذٍ مِيثَاقِ عِلْمِهِ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ^(٨)، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضَهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَنِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَنِ أَخْذُهُ، وَمُرْخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَدٍ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ عُفْرَانُهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، وَمَوْسَعٍ فِي أَقْصَاهُ.

(١) سِمَاتُهُ: علاماته التي ذُكِرَتْ فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ الَّذِينَ بَشَرُوا بِهِ.

(٢) الْمُلْحَدُ فِي اسْمِ اللَّهِ: الَّذِي يَمِيلُ بِهِ عَنْ حَقِيقَةِ مَسَاهِهِ.

(٣) الْعِلْمُ - بفتحين: مَا يَوْضَعُ لِيُهْتَدَى بِهِ.

(٤) نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ: أَحْكَامُهُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي رَفَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

(٥) رُخْصَةٌ: مَا تُرْخَّصُ فِيهِ، عَكْسُهَا عَزَائِمُهُ.

(٦) الْمُرْسَلُ: الْمَطْلُوقُ، الْمَحْدُودُ: الْمَقْيَدُ.

(٧) الْمُحْكَمُ: كَأَيَاتِ الْأَحْكَامِ وَالْأَخْبَارِ الصَّرِيحَةِ فِي مَعَانِيهَا، وَالْمُتَشَابِهِ كَقَوْلِهِ: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ).

(٨) الْمَوْسَعُ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ: كَالْحُرُوفِ الْمَفْتُوحَةِ بِهَا السُّورُ نَحْوِ الْمِ وَالرِّ.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيَأْهُونَ إِلَيْهِ^(١) وُلُوهَ الْحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لَتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِدْعَائِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَّفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلإِسْلَامِ عِلْماً، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ^(٢)، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) يَأْهُونَ إِلَيْهِ: يَلُودُونَ بِهِ وَيَعْكفُونَ عَلَيْهِ.

(٢) الْوِفَادَةُ: الزِّيَارَةُ.

المقطع الأول: حمدُ الله (عز وجل)

وهو قوله (عليه السلام): «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ
الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ
الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ عَوْصُ الْفِطَنِ،
الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ
مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ. فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ
بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَدَّ بِالصُّحُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ».

المعنى العام.

ركّز المقطع الأول من خطبة التوحيد على حقيقة إلهية مهمّة مفادها أنّه لا يمكن معرفة الخالق سبحانه، فالعبارات تؤكّد العجز عن إمكان تصوّره ولو بالأوهام أو الخيالات؛ لأنّه لو عُرف الخالق لم يبقَ فرقٌ بينه وبين مخلوقاته، فلا يمكن أن يكون خالقا. قال الإمام السجّاد (عليه السلام) كما في الصحيفة السجادية: «انحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقا إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»^(١).

المستوى الصوتي.

س: استعمل أمير المؤمنين لفظ (الميدان) لوصف حركة الأرض ولم يستعمل (المور)، فما الفرق بين (ماد ومار) في وصف حركة الأرض.

المور: الجريان السريع. يقال: مَارَ يَمُورُ مَوْرًا، والمور: الثراب المتردّد به الريح، وناقية تمور في سيرها، فهي مَوَّارَةٌ^(٢). واستعمل (المور) للسماء وما تشتمل عليه في مشاهد يوم القيامة فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]. و﴿أَأَمْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]. للدلالة على التحرك السريع الخاطف غير المنتظم السماء كأنها تنكفي على ما فيها. فالمور هو الانكفاء والدوران التام حول المحور، والراء يناسب الدلالة على الحركة المستمرة حول المحور؛ لأنّه صوتٌ مرفرفٌ مكرّرٌ يلفُّ اللسان نحو سقف الخنك الأعلى، ومور السماء بمعنى دورانها المستمرّ وهو يلائم حالها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

(١) المناجاة (١٢).

(٢) ينظر: لمفردات (مور).

نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجَلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿[الأنبياء: ١٠٤].

أما الميد فيعني الاضطراب نحو الجانين يقال: مَادَتِ الْأَغْصَانُ تَمِيدًا، ومنه المائدة: الطَّبَقُ الَّذِي عَلَيْهِ الطَّعَامُ لِأَنَّ الْأَدَبَ يَمِيدُ بِهِ أَي يَمِيلُ نَحْوَ الْجَانِبِينَ^(١). فالמיד حركة الأرض المضطربة نحو الجانين إذ تميل نحو جانب معين أثناء جريانها ثم نحو الجانب المعاكس له لعدم التوازن في كرويتها فجعل الله الجبال في الجهة لم تنظم فيها كروية الأرض ليحصل التوازن الطبيعي في الكتلة الأرضية بين جانبيها فيكون جريانها منتظما وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين بقوله «وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانَ أَرْضِهِ». وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

وقريب من هذين اللفظين لفظ (الميل) الذي يكون للحركة نحو جهة واحدة. وصفة الميل هذه الصفة في الحركة يلائمها صوت اللام الذي يخرج من جانب اللسان. أي إن (المور والميد والميل) تشترك بأنها ألفاظ دالة على حركة معينة لا يتضح معناها الدقيق إلا بالحرف الثالث. ويبدو أن معنى التمايل والتحرك ذهابا وإيابا قد اكتمل في (الميم والحرف المعتل) وتثليث هذين الحرفين يمنح التشكيل دلالة مستقلة نحو (الميلان) لحركة واحدة نحو جهة واحدة إذ اللام بطبيعته صوت جانبي أمّا (الميدان) للحركة بالتعاقب نحو الجانبيين، إذ الدال يصنّف ضمن حروف القلقلة. و(الموج) لحركة الماء بالتعاقب نحو جهة واحدة، والجيم صوت مركب يبدأ شديدا وينتهي رخوا وهذا حال الموج، و(المور) للحركة المستمرة حول المحور.

(١) ينظر: المفردات (ميد).

المستوى الصرفي.

س: لفظ الجلالة (الله) جامد أم مشتقّ؟

نقل عن الإمام العسكري (عليه السلام): أنّ الله هو الذي يُتألّه إليه عند الحوائج والشدائد^(١)، وهذا يعني أن لفظ التألّه مشتقّ من لفظ الجلالة كما يشتقّ الارتجال من (الرجل) والتنمّر من (النمر)، ومن ثم يكون لفظ الجلالة جامدا لا اشتقاق له بل الاشتقاق منه، وهذا مذهب جملة من النحويين القدماء أولهم المازني (ت ٢٤٩هـ) إذ قال الزجاجي (ت ٣٤٨هـ): ((قال أبو إسحاق الزجاج، حدّثني المبرّد عن أبي عثمان المازني قال: سألتني الرياشي فقال لي: ما أنكرت أن يكون أصل (الله) الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية كما أجزت في الناس أن يكون تخفيف الأناس ثم أدغم؟ قال: فقلت له: من قبل أن الناس على معنى الأناس وكذلك كل شيء خُفّف من الهمزة فهو على معناه مخفّفاً، وأنت إذا قلت الإله فلم تُعلم الله جلّ جلاله على معنى إله، فلو كان الله مخفّفاً من إله لبقى على معناه))^(٢).

والدليل على إن لفظ الجلالة مرتجل وليس مشتقا أنه شائع في اللغات السامية بلفظ مقارب للعربية عماده الهمزة واللام والهاء وهذا يعني أنه لفظ سامي قديم شاع في اللغات الجزرية بالمادّة اللغوية نفسها ولكن العربية لما كانت لغة اشتقاقية تصريفية اشتقت من لفظ الجلالة أفعالا وأسماء على الجذر (أله) ومنها لفظ (الإله) ذو الدلالة القريبة من لفظ الجلالة، ولكن التعبير القرآني استعمل (الله) أخصّ من (الإله) لأنّ الإله من أله بالفتح، إلهة، أي: عبد عبادةً، و(إلاه) فعال

(١) ينظر: تفسير الإمام العسكري ٢٢/١ وتفسير نور الثقلين ١٢/١.

(٢) اشتقاق أسماء الله ٣٦-٣٧ ومجالس العلماء ٦٩.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

بمعنى مفعول، أي: معبود، كقولنا: إمام على فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به. وقد كان المشركون وهم من أهل اللغة يطلقون (الإله) على الأوثان، ولا يطلقون لفظة (الله) إلا على موجد العالم، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]

س: ما الدلالة الصرفية للفظ (مِيدَان) في قوله (عليه السلام): (ووتد بالصخور ميدان أرضه).

المِيدَان مصدر بزنة فعَلَان من ماد يَمِيد، أي: تحرك يمينا وشمالا، وفي الأرض هو ميلانها يمينا وشمالا وهذا دليل على كرويتها، لأن الشكل الكروي إذا تحرك يتخذ حركتين: الأولى دائرية حول محوره، والأخرى جانبية نحو اليمين والشمال. ولكي تنتظم حركة الأرض فلا تتمايل بأهلها جعل الله تعالى في أول نشأتها الجبال الصخرية التي تثقل من حركتها وتحول دون تأرجحها وهو ما عبر عنه الإمام (عليه السلام) بالفعل (وتد) المشتق من الوتد وهو الواحد من أوتاد الخيمة، ومنه قوله (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية يوم الجمل: «تد في الأرض قدمك»^(١) أي: ثبتها ولا تنفر من القتال، ولكن لا يطلق على التويد لفظ التثبيت؛ لأنه يلاحظ فيه الانتقال في الحركة، فالجبال تعمل على تنظيم حركة تمايل الأرض دون أن يشعر بها ساكنوها. ولذا لا فرق بين تعبير الإمام عن الأوتاد بلفظ الصخور وبين التعبير القرآني عنها بلفظ الجبال في قوله تعالى ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧] لأن الجبال في حقيقتها هي سلسلة صخرية شاخمة وممتدة على مسار معين، ولكن ثمة فرق بين الجبال والرواسي ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. فالتعبير القرآني استعمل لفظ الرواسي دالا على قوى مغناطيسية خارجية تؤثر على الأرض

(١) الخطبة (١١).

من فوقها فتنظم حركتها في السماء حول نفسها تارة وحول الشمس تارة أخرى فقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

س: زنة مفعول الواردة في قوله (عليه السلام): «الَّذِي لَيْسَ لِيَصِفَتِهِ حَدٌّ مُحَدُّودٌ»، قيل: إنها عدل بها إلى صيغة (فاعل) ليكون المعنى: الذي ليس لصفته حدٌّ حادٌّ، على نحو ما نجد لدى بعض شراح النهج متابعة منهم لكلام الصرفيين في دلالات صيغة (مفعول)، فما رأيك في هذه النيابة الصرفية؟.

أجاز اللغويون مجيء صيغة مفعول بمعنى فاعل في موارد كثيرة^(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. والحقيقة أن صيغة مفعول تنصرف للدلالة على من وقع عليه الفعل، على حين تختص صيغة فاعل بالدلالة على من قام بالفعل، والقول بالعدول الصرفي فيه إخراج للكلام عن ظاهره، وهو تضمين لمعنى آخر لا يقوم به دليل لغوي. والالتزام بالظاهر أولى من التأويل، ويدرك السامع لكلام الإمام (عليه السلام) أنه قصد بالحدود وصف الحد المرتبط بصفات الله تعالى، إذ نفى وجود الحد لصفته سبحانه من خلال وصف الحد بالحدود ليكون المعنى أنه لا حد يمكن أن يدرك ويقيد للصفة الإلهية، لا أن الحد يتصف بأنه حاد ومقيد للصفة، إذ ليس من شأن الحد أن يقوم بالتحديد وإنما التحديد يقع عليه. وكذلك القول في (حجبا مستورا) إذ الحجاب هنا يؤدي دلالة فاعل، أي يقوم بالحجب، على حين دلت صيغة مفعول في مستور على كون هذا الحجاب مستورا عن الأعين. ولذا يكون وصف

(١) ينظر: الصحابي ٢٢١ والمخصص ١٥/١٧ والكليات ٣/٣١٩ و٤/١٩٢.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

الحدّ بالمحدود من باب المبالغة والتأكيد من قبيل شعر شاعر، وحجراً محجوراً، ونسياً منسياً، ونحو ذلك، وليس من قبيل كون المفعول بمعنى الفاعل. والمراد بصفته: الصفات الذاتية، وهي العلم والحياة والقدرة والاختيار وأمثالها، والمراد بالحدّ: الغاية والنّهاية، يقال: هذا حدّ الأرض أي غايتها ومنتهأها، والمحدود من حدّ الشيء عن الشيء إذا عيّنه، فالمعنى أنّه ليس لصفاته غاية معينة، ونهاية مميّزة.

س: صيغة (فعللة) الواردة في قوله (عليه السلام): (الذي لا يبلغ مدحته القائلون) لماذا جاءت بكسر الفاء دون فتحها؟

هذه الصيغة تدلّ على هيئة الحدث لا على وروده مرّة واحدة كما في صيغة فعللة بالفتح، يقال: جلس جلسة، للدلالة على حصول الجلوس مرّة واحدة، على حين يقال: جلس جلسة بالكسر للدلالة على هيئة الجلوس، ولم تستعمل صيغة المرّة؛ لأنّها قد تثبت وقوع المدح للخالق بالتعدّد، أي لا يبلغ القائلون مدحة واحدة بل مدحتين أو ثلاث أو... وهذا المعنى غير مطلوب بل المراد من قول الإمام (عليه السلام) أن ينفي القدرة على مدحه سبحانه، فاستعمل مصدر الهيئة ليدلّ على نفي القدرة على المدحة وهي الهيئة اللازمة للمادح مع خالقه فكيف بالمدح نفسه.

المستوى النحوي.

س: لم قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحمد لله) ولم يقل (أحمد الله) وهل تجد فرقاً دلاليّاً بين التعبيرين؟

(الحمد لله) جملة اسمية دالة على الثبوت واللزوم، وهذا التعبير يدلّ على أنّه (عليه السلام) حمد الله تعالى، وأنّه ثابت عليه مدّة حياته، وأمر غيره في فحوى كلامه أن يحمده أيضاً ثابتين على ذلك، ولو كان عبّر بلفظ (أحمد الله) لم يفهم منه

... المقطع الأول: حمد الله (عز وجل) ...

جميع ذلك لأن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث^(١).

س: ما نوع (أل) الواردة في لفظتي (الحمد، والقائلون) في قوله (عليه السلام):
(الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون)؟

أل التعريف في العربية على نوعين رئيسين^(٢)؛ الأول: (أل) العهدية التي تدل على معهود مذكور في الكلام أو حاضر في الذهن، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥-١٦] ونحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وهي الشجرة المعهودة في أذهان السامعين.

والآخر: (أل) الجنسية، وهي التي تدخل على الألفاظ التي تحمل المفرد والجمع في دلالتها، نحو لفظة (الإنسان) الدالة على جنس البشر أو على إنسان واحد، فتصرف (أل) الجنسية الدلالة إلى العموم دون الأفراد في اللفظة. و(أل) في لفظة (الحمد) هي الجنسية؛ لأن حمد الله تعالى قد يكون لحالة معينة أو في كل الأحوال، لذا نفي هذه اللام الإحاطة بأنواع المحامد كلها دون المستقل منها بنقطة معينة. والإمام (عليه السلام) نبه بذلك المعنى على أن الخالق تعالى هو السبب وراء كل ما يستحق الحمد وإن لم يكن السبب المباشر. أي إن تعريف الحمد باللام الجنسية يفيد الدلالة على الدوام والاستمرار، وأنه تعالى مستحق للحمد من كل حامد، فكما حمده هو (عليه السلام) يجب أن يحمده كل مخلوق مثله. وروي عن الباقر (عليه السلام) أنه فقد بغلة له، فقال: لئن ردها الله تعالى لأحمدنه بمحامد

(١) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١/ ١٩١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ١/ ٧١-٧٨.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

يرضاها، فما لبث أن أتى بها بسر جها ولجامها، فلما استوى عليها وضم إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، فقال: الحمد لله فلم يزد. ثم قال: ما تركت ولا أبقيت شيئاً، جعلت كل أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت^(١). وقد صدق (عليه السلام) وبرّ بقسمه، فإن الألف واللام في قوله تعالى: (الحمد لله) لا استغراق جنس الحمد.

أما أَل في لفظة (القائلون) فهي (أَل) العهدية التي تدلّ على صنف المتوجهين إلى الله تعالى من البشر دون غيرهم من الغافلين عن حمده سبحانه.

س: ما نوع الإضافة في قوله (عليه السلام): (الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا غوص الفطن)؟ ولماذا عبر الإمام (عليه السلام) بالمصدر دون الصفة المشبهة؟

تأتي الإضافة^(٢) على تقدير اللام، نحو: غلام زيد، أي: يعود لزيد. أو تدلّ على (من) نحو: خاتم حديد، أي: مصنوع من حديد. وفي قوله (عليه السلام) السابق أفادت الإضافة معنى اللام، أي: بعدُ للهمم، إذ إنَّ لكلِّ همّة بعداً تصل إليه حسب مقدرة صاحبها. واستبداله بتركيب آخر نحو: الهمم البعيدة يغيّر المراد، فالصفة المشبهة (بعيدة) تفيد تحديد الهمم بما هذه صفتها، وهذا يقتضي وجود همم بصفات أخرى يمكن أن يحصل بها الإدراك، على حين التعبير بالمصدر (بُعد) يفيد مطلق الهمم؛ لأنَّ من شأن الهمّة أن يكون لها بعدٌ فلما نفى البعد نفى مطلق الهمم.

س: ما إعراب: (ولا نعت موجود) في قوله (عليه السلام): (الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود)؟

هذه الجمل صفات للفظ الجلالة المذكور ابتداءً في (الحمد لله...) كما تقول:

(١) ينظر: كشف الغمة ٢/ ١١٨ والبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٠٩.

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ١٧٣ ومعاني النحو ٣/ ١١٣-١١٨.

... المقطع الأول: حمد الله (عز وجل) ...

زيد العالم الشاعر الشجاع. و(نعت) معطوف على اسم ليس (حد) و(لا) هي التي يسميها النحويون بالزائدة للتوكيد، والمعنى: ليس حد ولا نعت لصفته تعالى؟ والمعنى: لا رسم موجود يُرسم به قياسا على الأشياء المرسومة بلوازمها وأوصافها، وبخلاف هذا تكون الدّات محلاً للأعراض والأوصاف. وهو منزّه (سبحانه) عن ذلك. والله لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فلا يُوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك، وعن عليّ بن الحسين (عليهما السلام)، قال: «لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا الله بعظمته لم يقدرُوا»^(١).

المستوى المعجمي.

س: وردت لفظتا (الحمد والمدح) في عبارة واحدة هي: (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون) فهل اللفظتان مترادفتان أم ثمة فرق بينهما؟.

القول بالترادف التام أمر بعيد عن واقع المفردات العربيّة، إذ لكلّ تعاقب صوتي للفظية ما دلّته التي ينماز بها عن غيره من الألفاظ، وإن كان المعنى العام لهما يوحى بالتطابق. فالحمد والمدح كلاهما ذكراً للمحمود والمدوح على جهة التعظيم، غير أنّ الحمد لا يكون إلا لما يصدر من المحمود من فعل خارجي نحو الحامد، وهو في حقّ العباد من بعضهم لبعض لا يكون إلا على نعمة تصدر من المحمود، أمّا في حقّه تعالى فيعمّ النعمة وغير النعمة، أي يحمد العبد ربّه على نعمة أو شدة؛ لأنّها تكون في نطاق الابتلاء الإلهي الذي من شأنه إيجاب المغفرة والرضوان إن صبر العبد على ذلك، فالؤمن مبتلى، فاللام في (الحمد) جنسيّة، أي

(١) الكافي ١/ ١٠٢ (باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه) حديث رقم ٤.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

تشمل كل ما يُذكر به الخالق على سبيل الرضا سواء في العسر واليسر. على حين تختص لفظة المدح بالنعمة الصادرة من الممدوح نحو المادح، وتشمل هذه اللفظة فضلا على الفعل الصادر من الممدوح وهو الأنعام، الوصف الذاتي للممدوح دون أن يكون له أثر واصل إلى المادح أي يجوز مدح الإنسان بطول القامة أو حسن الوجه أو بغزارة العلم أو بصفات الكرم أو الشجاعة فهي أمور لا يلحظ فيها وصول نفع للمادح وإنما تختص بصاحبها.

وثمة لفظة تشترك مع هاتين في دلالتها العامة وهي (الشكر)، إذ جاء في الأثر قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما قال العبد الحمد لله على نعمة إلا أدى شكرها». فكيف ذلك والإمام (عليه السلام) يقول: لا يبلغ مدحته القائلون؟. والاجابة عن هذا الأشكال تتضح من الوقوف على المعنى الدقيق للألفاظ، فالشكر هو ذكر للمشكور أيضا بصفات التعظيم غير إنه لا يكون إلا على سبيل الاعتراف بالنعمة، فهو بمنزلة قضاء الدين، ولا يكون إلا على النعمة وحدها. لذلك يمكن للعبد أن يشكر ربه معترفا بفضله ومنه دون أن يصل إلى مدحه؛ لأن المدح ذكرٌ للممدوح بما يليق بمقامه، وهو متعذرٌ مع خالق الخلق عز وجل^(١).

س: ثمة فرق بين العدّ والإحصاء، كيف تدلّ عليه؟

العدّ واضح في الماديات المتمثلة للعيان مما يجري عليه الحساب لشخصه أمام العين الباصرة. أمّا الإحصاء فهو حصر ذلك المعدود والإحاطة به؛ وذلك لاقتراب جذر هذه اللفظة وهو (حصى) صوتيا من (حصر) التي تفيد الإمام بالشيء المحصور، ولذا استعمل الإحصاء في المعنويات كما في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

(١) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١/ ١٩٠-١٩١.

... المقطع الأول: حمد الله (عز وجل) ...

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّمْ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿الكهف: ٤٩﴾، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، فمع الإحصاء لا يفلت شيء من أعمال الخلائق^(١).

وعُطفت اللفظتان في الاستعمال القرآني للتأكيد على مغايرتهما لبعضهما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤]، إذ لا ترادف تام بين الألفاظ المتقاربة المعاني. ولذا تختلف عنهما لفظتا (الحساب) و(الحسبان) المشتركتان في الجذر (حسب) في كونهما دالّتين على العدّ والإحصاء معا، فاستعمل الحساب للزمن كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] وكذا الحسبان في ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

س: اقترنت لفظتا الصفة والنعته بواو العطف في قوله (عليه السلام): (الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود) فما الفرق الدلاليّ بينهما؟

ذكر العسكري ((أَنَّ النَّعْتَ هُوَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الصِّفَاتِ وَيَشْتَهَرُ وَهَذَا قَالُوا هَذَا نَعْتِ الْحَلِيفَةِ كَمَثَلِ قَوْلِهِمُ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ وَالرَّشِيدُ وَقَالُوا أَوْلَى مِنْ ذِكْرِ نَعْتِهِ عَلَى الْمُنْبَرِ الْأَمِينُ وَلَمْ يَقُولُوا صِفَتُهُ وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُمُ الْأَمِينُ صِفَةً لَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّ النَّعْتَ يُفِيدُ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَا لَا تَفِيدُهُ الصِّفَةُ ثُمَّ قَدْ تَتَدَاخَلَتِ الصِّفَةُ وَالنَّعْتُ فَيَقَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ لِتَقَارُبِ مَعْنِيهِمَا وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الصِّفَةُ لُغَةً وَالنَّعْتُ لُغَةً أُخْرَى وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مِنْ

(١) ينظر: المفردات (عدد، حصي).

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

النُّحَاة يَقُولُونَ الصِّفَةَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ يَقُولُونَ النَّعْتَ وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَهُمَا^(١).

س: اقترنت لفظتا الوقت والأجل في قوله (عليه السلام): (ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود)؟

الوقت مرتبط بحركة الأفلاك فهو على أقسام: الصبح والضحي والظهر والعصر والأصيل والمغرب والليل والنخ، على حين يرتبط الأجل بالموجودات نفسها، فهو وقت انقضاء الشيء، فلا يقال: أجل العصر؛ لأنه يعني انعدام الحياة. ولذا قيّد الإمام (عليه السلام) الوقت بالعدد؛ لأنّهما ممّا يتجزأ إلى الأقسام الزمنية السالفة الذكر، وقيّد الأجل بالمدّة؛ لأنّته وقت مقدّر لانتهاء الشيء الذي ينظر فيه إلى تغيير هذا الموعد المحدّد بالمدّة فيه وفي الحديث الذي رواه ابن أبي داود وغيره أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» والخالق سبحانه لا يوصف بزمن فهو أزليّ أبديّ خالق للوقت والأجل لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء لبقائه سبحانه.

المستوى البلاغي.

س: ختمت الجمل الثلاث في قوله (عليه السلام): (فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووّدد بالصخور ميدان أرضه) بصوت واحد هو الهاء المهتوت، وهذه التقفية تعرف بالسجع وهو من المحسنات اللفظية، فهل تحرّى الإمام (عليه السلام) هذه الفواصل المتشابهة على حساب المعنى إذ اختلفت الجملة الثانية عن الأوليين بتقديم الجارّ والمجرور، أم جاءت منساقاً مع المعنى المراد؟

في كلام المعصومين تبعاً لكلام الخالق لا تقصد الفواصل لذاتها، وإنما تتبع

(١) الفروق اللغوية ٣٠.

... المقطع الأول: حمد الله (عز وجل) ...

الفاصلة المعنى خلافا لكلام غيرهم من الفصحاء والخطباء. وقد تقدّمت شبه الجملة (بالصخور) مراعاة للسامع على ما يقرّه علم المعاني، إذ خاطب الإمام (عليه السلام) أناسا لم يسبق لهم أن سمعوا بحقيقة تكوين الأرض وأنها ذات ميدان لذا قدّم لهم (عليه السلام) الظاهرة الأرضية التي يلاحظونها بأعينهم، وهو وجود الصخور الجبلية ثم علل لها بتثبيت الأرض بما لها من ثقل.

س: في قول الإمام (عليه السلام): (الذي لا يبلغ مدحته القائلون) عدول عن أسلوب الجناس غير التام مع إمكانه وهو استعمال لفظة المادحين بدل القائلين، علّل لذلك مع تعريف موجز بالطباق؟

ج: لم يستعمل (عليه السلام) الجناس فلم يقل: لا يبلغ مدحته المادحون، تحريّا للمعنى، وذلك أنّه (عليه السلام) نفى القدرة على مدح الذات الإلهية بهيئة من هيئاتها، وهذا يستلزم عدم وجود القادر على المدح، لذا لم يُسمّ قائل المدح مادحا؛ لأنّه عند ذلك سيثبت وجود مادحين للذات الإلهية غير قادرين على الوصول لهيئة المدح، وهو (عليه السلام) أراد نفي الاثنين معا.

س: قوله (عليه السلام) (لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنِ) مقتبس اقتباسا معنويا من القرآن الكريم، أين تجد ذلك؟

قول أمير المؤمنين هذا هو تفسير لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وسأل أبو هاشم الجعفري الإمام الجواد (عليه السلام) عن معنى الآية فقال (عليه السلام): «يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك. وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟»^(١).

(١) ينظر: الكافي ١ / ٩٩، ح ١١ وبحار الأنوار ٣ / ٢٠٨، ح ٣.

المقطع الثاني: توحيد الله (عز وجل)

وهو قوله: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهَ، وَمَنْ حَدَّهَ فَقَدْ عَدَّهَ، وَمَنْ قَالَ: (فِيمَ؟) فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ، وَمَنْ قَالَ: (عَلَامَ؟) فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كَائِنٌ لَّا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَّا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَّا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لَّا بِمَعْنَى الحُرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَّا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَّا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ».

المعنى العام

في المقطع بيان لنوعين من الصفات الإلهية: صفات ثابتة له سبحانه إلا أنها لا حد لها يمكن أن تقف عنده أو تدرك، ونوع آخر هو الصفات المتتبية في حقه تعالى، والنوع الأول لصفات الخالق هو الصفات التي تبين العلاقة بينه تعالى وبين المخلوق، وهي صفات ثابتة له إلا أنها لا تنتهي ولا يمكن وصفها بمقدار أو وقت لأنه سبحانه خارج المكان والزمان فهو تعالى رحيم ورحمن وعليم وقادر. أما الصفات المنفية فهي تلك التي تصف ذاته المقدسة، وهذه لا وجود لها؛ لأنها لو توهمت عليه سبحانه ستجعله مخلوقا لا خالقا؛ لأن الموصوف إن وُصف فقد حُد وصارت له حقيقة مُدركة فهو إذن مخلوق.

والإمام (عليه السلام) يسدّ على العقل البشري طريق التقول على الخالق بما لا يجوز، فقد ابتليت الفلسفة الإسلامية بهذا المنحى، فأثبت المتكلمون من علماء المسلمين نفي الصفات عنه تعالى بطريقة خاطئة، إذ أثبتوا لله سبحانه يدا، ولكنّها ليست مثل يد البشر، وأثبتوا له عينا ليست مثل عين البشر، وأثبتوا له ساقا ليست مثل ساق البشر. وأكدوا أنّ له كلاما بأصوات ليست مثل أصوات البشر، مع أنّه سبحانه يقول ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا انطلاقا من التفاسير العقلية للآيات القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] و﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] و﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. دون الرجوع إلى العترة الطاهرة التي أوضحت المراد

من هذه الآيات بما ينفي التجسيم بكل أشكاله، إذ قال أمير المؤمنين: «مَا وَحَدَهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلَهُ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُودٌ. فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ. لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَرْفِدُهُ الْأَدْوَاتُ، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ، وَالْإِبْدَاءَ أَرْزُلُهُ.... يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ. يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَعْضِبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ»^(١).

والساق في كلام العرب هي كناية عن شدة الأمر^(٢)، واليد دالة على القدرة ومعنى (يد الله فوق أيديهم)، قوة الله فوق قوتهم في نصرته رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣)، والنظر إلى الربِّ هو الانتظار للرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] أي: انتظرونا، وفي خبر ملكة سبأ ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] أي: منتظرة^(٤).

وأما تأكيده (عليه السلام) على معرفة الله تعالى وأنها من أولويات الدين فهي المعرفة بما أقره سبحانه وأراده للبشر أن يعرفوه وهو أنه واحد لا شريك له، وأنه حق مطلق، يدعو الخلق إلى شريعة حقة توجب عليهم عبادته والإذعان لأوامره. وأنه لا بد من الإقرار لله تعالى بلا شريك ولا نقص التصديق به. وقد سأل أحدهم أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ هل رأيت ربك؟ قال: ويلك! كيف أعبد

(١) في الخطبة ١٨٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٣/٥٥٤.

(٣) جامع البيان ٢٢/٢١٠.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/٥٨٨.

ربّا لم أراه!، فقليل له: وكيف رأيته؟ فقال: ويلك! لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رأتها القلوب بحقائق الإيمان^(١).

المستوى الصوتي

س: في المقطع حذف لألف (ما) الاستفهامية مع حرفي الجر (فيم، وعلام) إذ الأصل: (فيما؟ وعلما؟). فما التعليل الصوتي لحذف هذا الصائت الطويل؟.

يدخل حرف الجرّ على (ما) الاستفهامية، و(ما) الموصولة، وللتفريق بينهما تحذف الألف تخفيفاً في أسلوب الاستفهام بـ(ما)، وتثبت في الخبر بالاسم الموصول (ما)، وبهذا جاء رسم المصحف كقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤] ومسوّغ ذلك أنّ الاستفهام يؤدّي بالتنغيم الصوتي وليس مقصورياً على أداة الاستفهام وحدها فجاز للمستفهم التصرف بالأداة بأن حذف الألف منها اعتماداً على نغمة الاستفهام الشاملة للجمله كلّها.

المستوى الصرفي

س: ما دلالة همزة القطع في الفعل (أخلى)، والتضعيف في الأفعال: (جزّاه، ثناه، ضمّنه)، والهمزة والسين والتاء في الفعلين: (يستأنس، يستوحش)؟

دلّت همزة القطع في الفعل أخلى على التعدية، إذ المجرد منه لازم فيقال: خلا المكان من أهله. والمعنى أنّه لو صحّ السؤال عنه تعالى بـ(علام؟)، لثبت له الفوقية دون الجهات الأخرى، وثبت كونه محمولاً على شيء يمسكهن أي؛ إخلاء الجهات

(١) أصول الكافي ١/ ٩٩.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

والأماكن عنه عدا الفوقية، وهذا لا يجوز في حقه تعالى؛ لأنه لا يخلو مكان منه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

أما التضعيف في الأفعال المذكورة فأفاد الجعل، فمعنى (جزأه): جعله أجزاء، ومعنى (ثأه): جعله اثنين، ومعنى (ضمّنه) جعله ضمن محيط.

أما همزة الوصل والسين والتاء فقد أفادت الطلب في (يستأنس)، فلفظة السكن في (إذ لا سكن) مصدر، والمراد: لا يطلب الخالق سكنا لذاته المقدّسة؛ لأنه منزّه عن الاحتياج إلى شيء، وأما في (يستوحش) فالمراد الصيرورة؛ لأنّ السكن مصدر يطلق على ما يتحصّل به السكون النفسي، فلا سكن له سبحانه من الموجودات التي يسبب فقدانها الوحشة.

س: وردت لفظة التوحيد في كلامه (عليه السلام) وهي مصدر من وَّحَد، ولفظة (متوَّحد)، وهي اسم فاعل من توَّحد، فما الفرق في الدلالة الصرفية بين مشتقات الفعلين (وَّحَد وتوَّحد)؟

إنّ مادّة (وحد) تدلّ على الانفراد، فبناء فعّل بتضعيف العين يفيد الجعل بملحظ التعدية، أي: صيّرّه واحدا لا يعبد غيره ولا يشرك به شيئا. والواحد يطلق ويراد به الانفراد من وجوه ثلاثة: الأوّل: أنّ الواحد يطلق لأوّل العدد، فالواحد أوّلا وبعده (اثنان) الذي يتكوّن من اجتماع الواحد مع واحد آخر وهكذا. وكذلك يراد به الذي لا نظير له، يقال: هو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله. ومن جهة ثالثة يختصّ بالخالق تعالى، فإنّه يراد بالواحد: الذي لا يتجزّأ ولا يتكثّر.

ومّا سبق نجد أنّ بناء (توَّحد) على تفعل يراد به وجوده سبحانه وتعالى على هذه الصفة (الوحدانية) من التفرّد وعدم النظير في امتناع احتياجه تعالى لشيء من زوج أو شريك أو ولد أو غير ذلك. أمّا دلالة هذا البناء في المخلوقين فهو يراد به

... المقطع الثاني: توحيد الله (عز وجل) ...

الصيرورة، أي: صار الشخص منعزلاً عن الآخرين لوحده بلا ملحظ التعدية، أي من تلقاء نفسه.

س: هل يمكن استبدال لفظة (ناظر) بزنة اسم الفاعل بلفظة (منظور) على زنة اسم المفعول في قوله (عليه السلام): (بصير إذ لا منظور إليه من خلقه)، ولماذا؟.

لا يمكن ذلك؛ لأنّ المعنى يتغيّر، إذ المراد من (لا منظور إليه)، بصيغة اسم المفعول أنّ الله تعالى بصير قبل أن يخلق مخلوقاً من شأنه أن يبصر، إذ نقل الكليني وغيره قول الإمام الصادق (عليه السلام): «لم يزل الله تعالى ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاتها ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور»^(١). فلفظة (منظور) هنا مستعملة بمعنى الاسميّة لا الوصفية، أي اسماً للمخلوق عموماً، كأنّ المعنى: أنّه سبحانه بصير في وقت لا يوجد فيه مخلوق يمكن أن يرى ويُنظر إليه فضلاً عن وجود مخلوق له عينان ينظر بهما. ولا يجوز استعمال اسم الفاعل هنا؛ لأنّ المعنى سيشير إلى وجود مخلوقات تنظر وأخرى لا تنظر، فينفي التي تنظر ويثبت المخلوقات التي لا تنظر، وهذا غير مراد إذ المعنى نفى كلّ المخلوقات لأنه يتكلم عمّا قبل الخلق. وبهذه الصيغة (منظور) جمع الإمام (عليه السلام) نفى المخلوقات الناظرة والمنظورة معاً بدلالة استعمال شبه الجملة (عليه) فالهاء تعود على المنظور (المخلوق) المستعمل اسماً.

(١) أصول الكافي ١/ ١٥٥ وبحار الأنوار ٦٤/ ١٦١.

المستوى النحوي.

س: قيل: إنَّ حرف الجرِّ اللام في (وكمال توحيدهِ الإخلاص له): إنَّه زائد على معنى جعله تعالى خالصاً من النقائص، وقيل: إنَّها للتعليل على معنى إخلاص العمل له سبحانه، فما رأيك؟.

كثرت معاني حرف الجر اللام عند النحويين إذ زادت على الثلاثين معنى^(١)، والتدقيق في هذه المعاني يبيِّن أنَّ تشعُّب معاني اللام مرده إلى نوع الفعل الذي يتعلَّق به، فضلاً عن التركيب اللغوي المنساق فيه. أمَّا المعنى العام للام فهو دلالتها على المآل والغاية. وفي قوله (عليه السلام) نجد أنَّ معنى (خلص) يفيد التنقية للشيء ممَّا يشوبه، وبزيادة همزة القطع أريد التعدية، أي: القيام بتنقية الشيء من شوائبه، ولما كان محور كلامه (عليه السلام) عن الدين (أول الدين)، فالمعنى تنقية العبد الموحد لدينه من الشوائب والعقائد الفاسدة، وهذا يعني:

أ- نفي إشراك أحد معه سبحانه

ب- نفي تشبيهه تعالى بالأجسام الأخرى

ج- نفي النقائص عنه من جهل أو ضعف وغيرها.

د- إثبات كون الأعمال ابتغاء رضاه وليس وراء لأحد.

وهذه التنقية للعقيدة المفهومة من الفعل (أخلص) تنسجم مع الدلالة العامة للام على المآل، فالإخلاص في الدين مآله الله تعالى ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. أمَّا التعلُّق بأحد صور التنقية فيجعل الشارحين لكلامه (عليه

(١) كما في كتاب اللامات للزجاجي.

السلام) يخرجون اللام عن معناها العام، فمن أراد من الإخلاص سلب النقائص عنه تعالى أي جعله خالصا منها ذهب إلى أن اللام زائدة، بتقدير: أخلصه سبحانه من النقائص، وهنا تكون التعدية مباشرة، وهذا لا يجوز في حقّه تعالى، ومن أمثلة دلالة اللام على المآل والمنتهى قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] و﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ [المعار ١٦]، مع إنه لا زيادة للام في الكلام وإنما هي تدلّ على المآل إذ إن التقدير: (فَعَالٌ ما يريد)، يختلف عن (فَعَالٌ لما يريد)، فالأولى بمعنى: كن فيكون، والثانية بمعنى تهيئة الأسباب لها لا أنّه سبحانه يفعلها بنفسه فيبطل الثواب والعقاب، وكذا (نَزَاعَةُ الشَّوَى) التي تقوم بنزعه بعد إحراقه بها، على حين (نَزَاعَةُ للشَّوَى) يراد بها أنّها تقصد هذا الشوى لتحرقه ثم تنتزعه، وهنا الصورة أكثر ترهيبا؛ لأنّ النار تقصد للشوى ومآها طلب إحراقه ونزعه لا أنّه احترق بها ونزعته.

ومع حصر معنى الإخلاص بأنّ العمل لا مراعاة فيه رجّح معنى التعليل في اللام دون المآل، مع كون التعليل مفهوما من مآل الشيء، أي نتيجته التي هي علّة للفعل. وإنما استظهروا دلالة اللام على التعليل حملا على قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] فكأنّ الإخلاص علّة للأمر بالعبادة وهو الأمر المذكور في التركيب نفسه من الآية، مع أنّ ظاهر الآية يجعل الإخلاص مبيّنا لكيفية العبادة، أي: أمروا بالعبادة على صفة واحدة هي الإخلاص، وهذا الإخلاص مآله إلى الله، أي: إخلاص الدين لله سبحانه، وهو إخلاص للدين من الرياء والعقائد الفاسدة، فمعنى اللام يجعلها تعمّ كلّ صور الإخلاص والتقية، والمعاني الفرعية تحدّد الإخلاص بصورة دون غيرها.

س: ذكر بعض الشراح^(١) أنّ حرف الجرّ (عن) في قوله (عليه السلام) (كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم) بمعنى (من) منظرين له بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] فما معنى (عن) أصالة؟ وهل يجوز التضمين في معاني الحروف؟

إنّ إخراج الأداة عن معناها الثابت لها بالاستقراء اللغويّ يحتاج إلى دليل، فضلا عن عدم جوازه في كلام الخالق تعالى، و(عن) حرف جرّ يفيد الدلالة على المجاوزة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وهو كذلك في (يقبل التوبة عن عباده)؛ لأنّهم تابوا بعد خطأ ارتكبه، لذا فسبحانه يقبل التوبة منهم متجاوزا عن هذا الخط، ولو كان يقبل التوبة منهم لكان راضيا بأخطائهم. وكذا هو معنى (عن) في قوله (عليه السلام) المذكور آنفا، فهو سبحانه كائن في الأزل بلا حدث سبب تكوينه، وكيونته تتجاوز تصوّر الأسباب في أحداثها، ولو كان التقدير: كائن لا من حدث، لفهم أنّه سبحانه كائن من شيء آخر غير الحدث لأنّ (من) تفيد ابتداء الغاية.

س: تكرر استعمال (لا) في كلامه (عليه السلام)، فهل كلّها بمعنى واحد؟ ولماذا؟

لا في الجمل الخمس الأوّل نافية، وفي الجملة السادسة لنفي الجنس، وذلك لدخولها على لفظة تفيد العموم وهي: سكن. وأمّا في (ولا يستوحش) فمنهم من عدّ (لا) زائدة كزيادتها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، والواو عاطفة،

(١) ينظر: منهاج البراعة للحوثي ١٧٩/٢.

ليكون التقدير: إذ لا سكن يستأنس به ويستوحش لفقده. ومنهم من عدّها نافية، والكلام مستأنف وليس معطوفا^(١) على نحو: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩]، والأولى أن تكون الواو عاطفة و(لا) هي النافية للجنس كسابقها التي عطفت عليها وإنّما لم يذكر اسمها معها هنا لذكره السابق مع الخبر الأول وهو (يستأنس به). وكذا لا يصح القول بالاستئناف؛ لعود الضمير في الجملة الجديدة على الظاهر قبلها، ولأنّ العطف بالجملة الجديدة يغيّر تركيب الجملة السابقة، مع ان الاستغناء عن إعادة اسم لا وهو (سكن) مفهوم من ذكره أوّلا والقول بزيادة (لا) تلاعب بالتركيب اللغويّ، فهي نافية معطوفة على ما قبلها وإن لم يكرّر المنفيّ لتقدّمه (سكن) وإضماره في الفعل المنفيّ (يستوحش)، وتكرار (لا) هنا يفيد نفي كلّ من الاستئناس والاستيحاش على حدة، وهذا يعني نفي الحاجة لكلّ سكن يحصل بوجوده أنس أو وحشة أي نفي النوعين من السكن، ولو لم تتكرّر (لا) لفهم نفي نوع واحد من السكن وهو السكن الذي يأنس له ويستوحش لفقده، أمّا السكن الذي لا يستوحش لفقده فلم ينفه، إذ الإنسان ربّما يأنس بالآخر دون أن يستوحش لفقده. وأمّا قوله تعالى في تفرّيع إبليس (ما منعك ألا تسجد) ف(لا) هنا ليست زائدة، لأنّ الآية تخبر عن إنّ إبليس امتنع عن السجود لآدم بنية مسبقة، لا أنّه امتنع عن السجود بعلة الترفع، أي إنّ (لا) أفادت الدلالة على إصرار كامن في إبليس على الامتناع عن السجود، وهذا المورد للآية في سياقها القرآني يسرد قصة خلق آدم مع التركيز على إغواء إبليس وتحديده للخالق سبحانه.

(١) منهاج البراعة للخوئي ٢/ ٣٤٤.

المستوى المعجمي

هل يمكن استبدال لفظة (العلم) بلفظة (المعرفة) في قوله (عليه السلام):
(أول الدين معرفته) لأتّهما مترادفتان أم لا؟

لا يمكن ذلك؛ لأنّ الألفاظ لا تترادف، وإن كان معناها العام واحداً، فثمة فرق بين العلم والمعرفة^(١)، إذ إنّ العلم أعمق من المعرفة، ويراد به حقيقة الشيء المعروف، وهذا يستحيل مع الخالق تعالى، ولذا يجيء (علم) من الباب الرابع الدالّ على الامتلاء، أي امتلاء المعرفة بالمعلوم، على حين يأتي (عرف) من الباب الثاني، ولذا يصحّ الخطأ في الأمور المتعارف عليها لا المعلومة فقيل: المعرفة إدراك الجزئيات، والعلم إدراك الكلّيات. والمعرفة من عرف الديك وهو أعلاه فكأنّ العارف بالشيء يعلم ظاهره لا باطنه أما العلم فأصله من العلم والجبل قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢] فكأنّ العالم بالشيء يحيط بكل أبعاده وليس أعلاه فالمعرفة إذن أقل رتبة من العلم. والإمام (عليه السلام) ذكر أدنى مراتب إدراك الخالق وهو المعرفة ومن لوازمها توحيد الله وعدم الإشراك به فسائر المعارف التي ذكرها (عليه السلام) في خطبته لأن الإدراك الكلي المعبر عنه بلفظ العلم متعذّر على البشر في حقّ الباري عز وجل.

س: ما العلاقة الاشتقاقية بين لفظ (أول) في قوله (عليه السلام): (أول الدين معرفته)، ولفظة (الألة) في قوله (عليه السلام): (فاعل لا بمعنى الحركات والآلة).

كلا اللفظين من الأصل (أول)^(٢)، فالأول - في أرجح الأقوال - على أفعل التفضيل وأصله (أول) وهو مبتدأ الشيء، وقد يكون له ثان كما في صفات

(١) الفروق اللغوية ٨٠ .

(٢) ينظر: لسان العرب (أول) .

المخلوقين، أو لا يكون له ثان فيكون مختصا به تعالى الذي لم يسبقه شيء في الوجود ولم يوجد له نظير يثنيه. أمّا الآلة فهي من الجذر نفسه بزنة (فَعَلَة)، وهي الأداة التي تستعمل في عمل الأشياء وتصييرها إلى حالة كانت متصوّرة لها أوّلا. وكأنّ الآلة هي الشيء الذي يُرجع بالأشياء إلى صورتها الذهنيّة قبل أن تعمل وتظهر بصورتها الأخيرة.

المستوى البلاغي

س: أسلوب التقديم والتأخير في قوله (عليه السلام): (أول الدين معرفته) يصنّف ضمن أي علم من علوم البلاغة؟ وما الغرض منه؟ وهل ثمة أسلوب آخر يبرز في كلامه (عليه السلام) ضمن هذا العلم؟

يصنّف التقديم والتأخير ضمن علم المعاني، والغرض منه إثبات أمر أولى بالاهتمام لتقريره في نفس السامع، وهذا العلم يراعى فيه مطابقة الكلام لحال السامع كونه خالي الذهن من المعرفة بالأمر أو منكراله^(١). والترتيب الأوّل للكلام: معرفة الله تعالى أوّل الدين، فابتدأ (عليه السلام) بأول الدين لينبّه أذهان المخاطبين على أهميّة ما سيقوله فهو أصل الدين ومفتاح كلّ عمل عباديّ.

ومن هذا العلم أسلوب الشرط: (فمن وصف الله سبحانه فقد...) إذ استعمل (عليه السلام) هذا الأسلوب ليوضّح فيه ما أقرّه من نفي الصفات عن الخالق، وكأنّ المخاطب لم يدرك تماما هذه الحقيقة وشابه نوع من الإنكار لها فجاء الشرط ليعلّل له هذا النفي ويؤكد حقيقته في نفسه.

(١) ينظر: دلائل الأعجاز ١/١٠٦.

المقطع الثالث: بدء خلق الكون

وهو قوله (عليه السلام):

«أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةَ أَجَاهَا، وَلَا تَجْرِبَةَ
اسْتَفَادَهَا، وَلَا حَرَكَةَ أَحَدِثَهَا، وَلَا هَمَامَةَ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا.
أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا، وَلَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا،
وَالزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطًا بِحُدُودِهَا
وَإِنْتِهَائِهَا، عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا وَأَخْنَائِهَا».

المعنى العام

بعد كلامه (عليه السلام) عن صفات الله سبحانه وكيفيته توحيداً أردف ذلك بالكلام عن أكبر مخلوقات الله تعالى وهو خلق السموات والأرض إذ قال تعالى: ﴿خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] ففصل الإمام (عليه السلام) في كيفية خلق الله تعالى للسموات ليثير دلائل توحيداً سبحانه فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦] و﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥] و﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]. ولم يذكر (عليه السلام) في هذه الخطبة خلق الأرض تفصيلاً، وذكر ذلك في خطب أخرى منها الخطبة الحادية والتسعون، ربّما لأنّ الأرض متكونة بالطريقة نفسها التي خلقت بها السماوات، وهذا ما تدلّ عليه روايات أهل البيت (عليهم السلام)^(١).

المستوى الصوتي.

س: في لفظة (اضطرب) لماذا أبدلت التاء طاء؟

بحكم التجاور الصوتي؛ لأنّ التاء مهموس مرقق، وصوت الضاد مجهور مفخّم، فيصعب الانتقال من التاء إلى الضاد في الموضع نفسه مع تنافر بين صفاتهما لذلك يوتى بصوت الطاء وهو منزلة بين التاء والضاد إذ هو من مخرجهما ولكنه مهموس كالتاء ومفخّم كالضاد.

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٢٦/١ وفي ظلال نهج البلاغة ٢٨/١.

المستوى الصرفي.

س: زن الألفاظ الآتية، وبين معانيها الصّرفيّة؟ رويّة، تجربة، همامة، لاءم، عزّز، قرائن.

(الرويّة) اسم على فعيلة من (رأى) مخفّف الهمز، ذلك أنّ الرأى لما يراه الإنسان في الأمر ببصيرته، ومنهم من جعلها فعيلة من (روى)، لأنّ الراوي هو من يأتي بخبر من شأنه أن يروي أهله من العلم به. ومراد الإمام (عليه السلام) أن ينفي عن الله سبحانه أن يكون له رأي يتفكّر به ويقلّبه على وجوهه حتى يقرّر بعده أنشاء الخلق؛ لأنّ سبحانه لا يحتاج إلى صفات كالتي عند البشر، فهو عالم بالوجودات يقول للشيء كن فيكون. ويمكن أن يكون من (رواً) في الأمر: نظر فيه ولم يعجل، ثم ترك همزها تخفيفاً.

(تجربة) مصدر مرّة من فعّل بمعنى اختبر مرّة بعد مرّة حتى وصل إلى هذا الخلق، أي: لم يخلق قبل ذلك أجساماً فحصلت له تجربة أعانته على إيجاد الخلق. والمصدر الأصلي هو (التجريب) ولكن لما لحقته هاء المرّة حذف المدّ (الياء) منه تخفيفاً، ومثله التبصرة في قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨] إذ الأصل (تبصير) لأنه مصدر (بصّر) ثم لحقته هاء المرّة فاستغني عن ياء المدّ.

(همامة) مصدر همّه الأمر إذا أحزنه، لأنّ الأمر المحزن هو الذي يذيب صاحبه من كثرة انشغاله به. وهمّ: أصل يدلّ على ذوبان مادّيّ هو ذوبان الشحم ثم استعمل فيما يحدث حزناً وقلقاً من الأمور. وهذا محال على الخالق تعالى؛ لأنّ سبحانه فعّال لما يريد وهو المقدّر الجبار. وقيل إنّ الهمامة مصطلح مجوسيّ يراد به ما تكوّن من اقتطاع جزء الشّرّ مع جزء الخير بعد غزو كلّ منهما للآخر، ومن

هذا الاقتطاع نشأ الكون^(١).

(لاءم) فاعلٌ دالٌّ على المشاركة بين الأشياء المخلوقة بملحظ المبالغة في اشتراك الأشياء المخلوقة - وهي لا حصر لها - بعضها مع بعض في التناسب فطبيعة الأشياء مجبولة فيها من حرٍّ وبرد ورطوبة، وكذا طبيعة الإنسان مهيئة للقيام بتكاليفه الشرعيّة.

(غرّز) فعّل من الغرز، والتضعيف يفيد المبالغة، ليدلّ على أنّ الأشياء مجبولة على طبيعتها التي غرزت فيها كما تغرز الابرة في الخيط في القماش ويصبح جزءاً منه. ومن ذلك سميت الغريزة لما طبع عليه المخلوق؛ لأنّه لا ينفكّ عنه.

(قرائن) جمع قرينة، وهي اسم لكلّ ما يجتمع مع غيره، فالنفس تجتمع مع بدن الإنسان، والزوج مع زوجه، وقرن الثور مع نظيره، والنبات بالماء والترربة، والحيوانات الصحراويّة مع بيئتها الحارّة، والسهول مع الأنهار، وهكذا. وربّما كانت جمع قرونة بمعنى النفس الإنسانيّة، أمّا القرن من الزمان فلا اجتماع أهله في تلك الحقبة، أي أهل زمان واحد.

المستوى النحوي.

س: ما نوع (لا) في قوله (عليه السلام): (بلا رويّة أجالها) وما بعدها؟

تأتي (لا) في الكلام على ثلاثة أنواع: ناهية؛ وهي التي تدخل على الأفعال المضارعة، ونافية عاملة عمل ليس، ونافية غير عاملة. وهي التي تدخل على الجمل أو الصفات. أمّا التي يدخل عليها الجارّ فقد اختلف فيها، فالكوفيّون يعدّونها بمعنى (غير) وأنّ الاسم بعدها مجرور بحرف الجرّ. والبصريّون يعدّونها

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٨١.

زائدة تفيد النفي، وإنما زيدت لتوسطها بين الجارّ والمجرور، كقولهم: جئت بلا زاد. وهي في قول الإمام (عليه السلام) متوسطة بين الجارّ والمجرور.

س: ما دلالة اللام في (أحبال الأشياء لأوقاتها)؟

من نظر إلى المعنى المعجمي (المادي) جعل اللام بمعنى (على)؛ لأنها من قولك: حال في متن فرسه، أي: وثب، وأحاله غيره، أي: أوثبه على متن الفرس، على نحو: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]. ومن نظر للمعنى العام جعل (اللام) بمعنى (في) على نحو: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، والمعنى أنه سبحانه لما أقرّ الأشياء في أوقاتها صار كمن أحال غيره على فرسه. والصواب أن (اللام) وكلّ حرف لا بدّ أن يبقى على معناه المخصّص له بلا تأويل أو تضمين لمعنى حرف آخر، فإحالة الأشياء تركها تمضي وتتحرك على ما خلقها الله تعالى له لتحوّل بإرادة الخالق، أي ترجع إلى أول نشأتها من العدم، فاللام للمال، أي تتحرك متجهة نحو مالها وهو وقتها الذي خصّص لها ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. واللام في (تله للجبين) تجعل (التل) وهو الصرع والكبّ يؤول إلى جهة الوجه الذي عبّر عنه بالجبين؛ لأنه محلّ استقرار الوجه، ولو استعمل (على) لفهم أن الجبين شيء منفصل كالحجر وشبهه وأنّ الجسد استقرّ عليه لأن (على) للاستعلاء.

وكذا لو كانت اللام بمعنى (في) كما قيل في تأويل: (ونضع الموازين ليوم القيامة) لكان المعنى أن يوم القيامة ظرف زمانيّ لوضع الموازين التي ليس لها وجود قبله، على أن استعمال اللام يفيد أن الوضع للموازين منذ الخلق وانتهاء

يوم القيامة، وفيه تعظيم وترهيب أعظم من أن يكون الوضع مقتصرًا على ذلك اليوم فقط. وكلامه (عليه السلام) يفيد هذا التوقيت للأشياء التي ذكر (عليه السلام) أن الله سبحانه أنشأها وابتدأها لوقت تحول فيه وترجع إلى انعدامها.

المستوى المعجمي.

س: هل الإنشاء والابتداء مترادفان، أم لا ترادف بينهما لمحيئتهما متعاطفتين؟.

الخلق مصدر سمّي به كل ما خلقه الله تعالى وقدره، والإمام (عليه السلام) يتكلم عن إيجاد الله تعالى لهذا الخلق، فذكر الإنشاء والابتداء، ليدلّ بالأول على المخلوقات المنتصبة في خلقها أي الماثلة أمام العيان، لأنّ الإنشاء هو ارتفاع الشيء وظهوره قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤] أي السفن المرتفعة كالجبال، وكذا ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦] وهي ساعاته التي ينتصب المصلون فيها للصلاة، و﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥] أي: جعلناهن على هذه الصفات الجميلة الظاهرة في الرفة والعلو في الحسن. ومن هنا نجد أنّه (عليه السلام) لما أراد الكون المائل أمام المخاطبين استعمل الإنشاء، وعطف عليه الابتداء وهو لفظ يفيد تحديد أوليّة الصنع، أي إنّ هذا الخلق أظهره الله تعالى للوجود ولم يتقدّم عليه خلق يماثله، فهو السابق في الإيجاد، وإنشأؤه على هذه الصورة ولا قبله مماثل له^(١).

المستوى البلاغي

س: ما أبرز الفنون البلاغيّة في النصّ المتقدّم؟

يلاحظ في النصّ أنّ الفاصلة من رويّ واحد وهو صوت الهاء وهو لون من

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٣٤.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

فنون علم البديع يسمى بالسجع في النثر، ويؤتى بها على رويٍّ واحد لتحسين الأداء الكلامي ولا يكون ذلك على حساب المعنى، والفاصلة في كلامه (عليه السلام) منساقة مع المعنى لما يضيفه هذا الصوت الخفي الهشّ من إحياءات للنفس الإنسانية عن غموض هذا العالم الكبير وأسراره الدقيقة التي لا يعلمها إلا خالق الكون سبحانه.

ويلاحظ أيضا في هذا التّصّ أسلوب ذكر الخاصّ بعد العامّ، في ذكره (عليه السلام) للمعرفة بعد العلم (علما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها، عارفا بقرائنها واحنائها)، فالمعرفة خاصّة، والعلم عامّ إذ يشمل المعرفة وأكثر منها كما ذكرنا سابقا، ولما أثبت (عليه السلام) علم الخالق ابتداء بالأشياء، ساغ ذكر معرفته بلوازم هذه الأشياء من القرائن والأحناء التي تُدرِكُ ظاهرةً للمخلوقين، أيّ إنّه سبحانه يعرف المخفيّ والظاهر لما خلق. وهذا أسلوب بلاغي له نظائر قرآنية من ذلك ﴿تَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

المقطع الرابع: خلق السماء

«ثُمَّ أَنْشَأَ - سُبْحَانَهُ - فَتَقَ الْأَجْوَاءِ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ، وَسَكَّائِكَ الْهَوَاءِ، فَأَجَارَ فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِمًا تَيَّارُهُ، مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّعْزَعَ الْقَاصِفَةَ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءَ مِنْ تَحْتِهَا فِتِيْقُ، وَالْمَاءَ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيْقُ.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وَأَدَامَ مُرَبَّهَا، وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنَشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِنَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرْدُ أَوْلَاهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عِبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبْدِ رُكَّامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا، وَعُظْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَسَمَكًا مَرْفُوعًا، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا، وَقَمَرًا مُنِيرًا: فِي فَلَكَ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ».

المعنى العام^(١):

يعدّ أصل خلق الكون من الأمور غير المحسومة علمياً، وفيه نظريات كثيرة تتحدث عن انفجار وتفاعلات حدثت صدفة نشأ عنها الكون. والامام (عليه السلام) في هذه الخطبة يفصل نشأة الكون تفصيلاً تعلّم من ذي علم، بأنّ الأصل فيه ومصدر تكوّنه هو (الماء). ويسبق الماء خلق الهواء الذي يحمل هذا الماء، ثمّ تأتي الرياح بنوعيتها لتقوم الأولى بشدّ الماء والسيطرة عليه، وتقوم الثانية بمخض الماء وإخراج الزبد منه، ومن هذا الزبد خلقت السماوات السبع.

وربّ سائل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] إذ لم يرد ذكر مرحلة الدخان في كلامه عليه السلام، والحقيقة أنّ الدخان هو مجموعة الغازات المتكاثفة المتصاعدة، يقال: دخن الغبار: ارتفع، أيّ إنّه قد يكون الدخان من غير نار، ولذا فالدخان في كلامه (عليه السلام) هو نفسه في قوله: (ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتح، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سموات) أيّ إنّ المراد بالدخان هو الزبد الذي نشأ من مخض الماء المتلاطم، إذ يرتفع الزبد على شكل غازات ليتكاثف ويكوّن السموات، والزبد في اللغة ما دلّ على تولّد شيء عن شيء، من ذلك زبد الماء وزبد الحليب. أمّا الزبد في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧] فهو ما نشأ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٨٣-٨٤ ومنهاج البراعة للخوئي ٢/ ٣٧٣-

من اختلاط حطام النباتات وغيرها بهاء السماء، والزبد في كلامه (عليه السلام) هو ما نشأ من مخض الماء لإخراج الصفو منه الذي من شأنه تكوين السماء، وفي المرويات تأكيد لهذه الحقيقة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحار حتى أزبدتها، فخرج عن ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء)، أي إنَّ الزبد وهو مادة هلامية رُفع ليتكاثف ويتجانس ويكون الدخان الذي نمى قوة الجذب في مكوناتها بسبب تكاثفه فاستقطب الجزيئات إلى بعضها على شكل دوامات ليشتدَّ ظلامها كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٠]، وشدة التجاذب هذه أسفرت عن تحرر طاقة وضوء لتكوّن الشمس، بينما كوّنَت الدوامات الأبعد الكواكب. والشمس تجذب الدوامات حول محورها لتولّد قوى طرد مركزيّ تسبب تفلطح الأرض وهو الدّحو. والأرض خلقت من عذب الماء الذي هو على الهواء، وقد ضربت الريح الماء حتى أزبد فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد ثم دحا الأرض من تحته.

ثمّ تكلم (عليه السلام) عن السماء الدنيا، ووصفها بما وصفت به في القرآن الكريم من الحفظ والارتفاع بغير عمد، والتزيين بالكواكب والشهب والشمس والقمر، غير أننا نجد تخصيص السماء الدنيا بلفظ (علياهن) والمستعمل في القرآن (الدنيا)، وأثبتت الدراسات الحديثة أنّ الاتجاهات تحدّد حسب النظرية النسبية، أي بالنسبة إلى نقطة ما؛ لأنّ الكون كلّه متحرّك لا ثابت فما يكون أعلى الآن يصير بعد زمن ما أسفل. وربّما عنى الإمام ع (علياهن) نسبة السماء الدنيا إلى الأرض لأنّها تعلو الأرض فهي سقف لها. على حين عنى ب (سفلاهن) نسبة إلى الكون،

فنحن بمجرّتنا الشمسيّة نقع في الطرف الأقصى لذيل من ذيول مجرّة درب التبانة. ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم أخبر بحقائق عن الكون لم تكن معروفة في وقت نزوله، إذ كان العالم آنذاك يؤمن بنظرية بطليموس وهي أنّ الكون قبة فلكيّة علّقت فيها النجوم كما تعلّق المصاييح، وهي تدور حول الأرض ووجدوا أربعة كواكب مرئية بالعين تغيّر مواضعها فسمّوها بالدراري، على حين أخبرهم القرآن الكريم بوجود سبع سموات ومن الأرض مثلهن، وأنّ الكون في توسّع مستمر ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وأنّ الأرض متحرّكة والسموات كذلك ولها أجل وأعمار ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، وبعد أن توالى الاكتشافات جاءت مطابقة لما أخبر به القرآن ابتداءً.

المستوى الصوتي.

س: هل يُوجد التعاقبُ الصّوتيّ في فاء اللفظتين (عصف وقصف) فرقا بين صنفَيّ الريح في قوله (عليه السلام): (حمله على متن الريح العاصفة والززع القاصفة)؟

نعم، إذ إنّ صوت العين الناصع الذي يخرج من أقصى الحلق وهو من الأصوات المائعة التي لا عائق أمامها لكنه صوت شديد الجهر فيحاكي سرعة الريح، على حين يكسب صوت القاف الشديد (الانفجاريّ) المفخّم (المستعلي) هذه الريح شدة أكثر فاقرن القصف بلفظة (ززع) التي تومئ بمقطعها المكرّر إلى شدّة التحريك.

المستوى الصرفي

س: في المقطع المتقدم ألفاظ لها وزن صرفي واحد، استخراجها وبين دلالاتها الصرفية؟

١- (زخار، تيار) على وزن (فعل)، وهو بناء يدل على المبالغة، وزخار من زخر بمعنى امتلأ، يقال: زخر الوادي إذا امتدّ وارتفع. أمّا (التيار) فليس على وزن (فعل) لعدم سماع جذر في العربية أجوف يائي من هذه المادة و((التير الحاجز بين الحائطين فارسي معرب))^(١) ولذا قال ابن الأثير: ((هو موج البحر وجتته والتيار فيعال من تار يتور مثل القيام من قام يقوم غير أن فعله مُماتٌ ويقال قطع عرقاً تياراً أي سريع الجزية وفعل ذلك تارة بعد تارة أي مرة بعد مرة))^(٢) وذكر الفيروز آبادي من مشتقات الجذر المات (تور) ((التور: الجريان، والرّسول بين القوم، وإناء يُشرب فيه))^(٣). فعلى هذا يكون أصل التيار هو (التيار) فقلبت الواو ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون الأصلي.

٢- (متراكم ومتلاطم)، وهما صيغتان لاسم الفاعل من (تفاعل) على زنة متفاعل للدلالة على اشتراك أمواج البحر في التلاطم والتراكم بعضها مع بعض.

٣- (فتيق ودفيق ورقيم) على زنة (فيعيل)، وقيل إنها تدل على مفعول، أي: مفتوق ومدفوق ومرقوم لأنه أي الفلك يشبه الثوب المنقوش لرقمه بالكواكب، أو تشبيهاً باللوح لأنه مسطح.

والصواب أنّها صفات مشبهة دالة على ثبوت الوصف للماء لدلالة الصفة

(١) لسان العرب (تير) .

(٢) النهاية في غريب الحديث (تير) .

(٣) القاموس المحيط (تور) .

المشبهة على الثبوت، لا على افتراق الوصف على ما هو عليه من دلالة صيغة مفعول الدالة على المضيّ.

٤- (مهَبَّها ومرَّبَّها ومجراها ومنشأها)، هذه الألفاظ على زنة (مَفْعَل) وهي صيغة تشترك بين المصدر الميميّ واسمي الزمان والمكان من حيث الاشتقاق، والسياق هو الذي يحدّد دلالتها. وفي هذا السياق الألفاظ الثلاث الأول تفيد المصدرية إذ ليس المراد هو وصف عمل الريح بأنّها (عقيم) في هبوبها، أي لا تلقح وإنّما المراد منها تصفيق الماء وإثارته، وكذا فهي دائمة المرَبّ، أي اللزوم، من: أربّت السحابة بهذه البلدة: إذا دامت، فهي لم تكن مؤقّنة، وإنّما أخذت وقتا طويلا حتى أتمّت مخض الماء وأخرجت زبده وعبّت عبابه، وكذا وصفت الريح بأنّ جريانها كان عاصفا أي شديدا. على حين تحمل اللفظة الأخيرة (منشأها) أن تدلّ على المصدرية واسم المكان بدلالة فعلها (أبعد) إذ البعد من لوازم المسافات، أي: يكون مكان نشوئها بعيدا فلا تعرف له زيادة في إظهار قوّة هذه الريح.

٥- (عُباب ورُكام) في قوله (عليه السلام): (حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه)، صيغة (فُعال) ذات معانٍ صرفية متعددة، إذ تأتي صفة مشبهة نحو: سُجاع وفُرات، وتأتي مصدرا دالا على صوت أو داء نحو: صُراخ ورُكام، وتأتي اسما دالا على تفتت الشيء ثم اجتماعه في نقطة ما، نحو: الحُطام والرّفات، وهي بهذا المعنى في قول الإمام عليه السلام، فالعباب يراد به معظم السيل الذي يجمع بعد أن عبّ أي ارتفع بفعل الريح العاصفة، وكذا الرُكام: ما تجمّع بعضه على بعض من هذا المرتفع، وكأنّه باجتماعه على بعضه انفصل عن أصله ولثقل كتلته المجتمعة طُرح الزبد الناتج من المخضّ، لأنّ الرُكام هو القاء بعض الشيء على بعض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى

الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿النور: ٤٣﴾ والبناء فُعال دال على اسم الذات، فإذا أريد وصف الحدث المتجدد قيل مركوم ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

٦- (سقاء ودسار وسراج) على صيغة فِعال، وهذه الثلاثة دالة على الآلة، فالسقاء آلة يوضع فيها الماء أو الحليب تستعمل للسقي. وكذا الدسار هو المسمار وجمعه دُسر. والسراج آلة للإضاءة بفتيلة ودهن.

المستوى النحوي.

س: ما دلالة (ثم) في قوله (عليه السلام): (ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء)

الدلالة الرئيسة لـ(ثم) هي التشريك في الحكم مع التراخي والترتيب، جاء زيد ثم عمرو. وقد تأتي بلا ترتيب كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفِئْ تَصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦] ففي الآية قدم خلق الأبناء وأخر خلق أمهم (حواء) فلم تفد (ثم) ترتيباً هنا. ووجهت الآية بأن ثم باقية على دلالتها في الترتيب وهي هنا لترتيب الأخبار، فنقول: أعجبنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس، وقيل أنها تأتي بمعنى الواو، أي للجمع المطلق كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]^(١).

(١) ينظر: الجنى الداني ١/٤٢٦-٤٣٢.

فمن ذهب إلى أن دلالة (ثم) في هذا النص يراد بها الترتيب والتراخي يجعل الكلام معطوفا على قوله (عليه السلام): (فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه، وهذا يعني أن خلق الأرض سابق لخلق السموات، وربها استدلوأبه على تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩] و﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] و﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] و﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]. ويرى الشارح ابن أبي الحديد المعتزلي أن الكلام على تقدير أن التعقيب والتراخي لا في مخلوقات الباري سبحانه بل في كلامه (عليه السلام)، كأنه يقول: ثم أقول الآن بعد قولي المتقدم. ومن جعل (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الحكم الذي جعل السماء مخلوقة قبل الأرض، وكذا إذا عدت (ثم) تفيد الجمع المطلق كالواو^(١).

والصواب أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي إذا كان العامل واحدا، فان تعددت الأحداث (الأفعال) تكون حسب مراد المتكلم. ف(ثم) هنا للترتيب الذكري، إذ العوامل مختلفة: (أنشأ وفطر) وهو المعنى الذي ساقه الشارح المعتزلي من دون حذف في سياق القول. وفي كلامه (عليه السلام) تفصيل لخلق السماوات بعد إجمال في ذكر المخلوقات عموما دون ذكر لخلق الأرض، وإنما بين وجهها من أوجه تكوينها وهو تثبيت ميدانها دون تفاصيل خلق الأرض. وفي آية فصلت لا دليل على خلق الأرض

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨٤ / ٢ ومنهاج البراعة للخوئي ٣٧٥ / ٢.

قبل السماء؛ لأنه سبحانه ذكر الاستواء إلى السماء فهي - أي السماء - موجودة بصورة دخان، وقبلها لم يشر إلى تقدم خلق الأرض على السماء، وإنما ذكر المدة التي حددها لخلق الأرض وتقدير الأوقات. وهذا المذكور تفصله سورة النازعات ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٠] أي إن الأرض بعد بناء السماوات دحاهها رب العزة وجعل فيها أسباب الحياة. وفي سورة فصلت الكلام في شأن الأرض كان مقتصرًا على بيان مدة اكتمال خلقها لا عن أسبقيتها، فالعطف بين الأفعال لا بين الأزمان، أي عطف الخلق والتقدير للأرض على الاستواء للسماء لانه عطف زمن خلق الأرض على زمن خلق السماء، كما تقول: استضفت فلانا في ساعتين وأعطيته كتابا يقرأه في ستة أيام، فالعلان في آن واحد والأزمنة مختلفة.

س: ما نوع الإضافة في (فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء)، (ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب)؟

الإضافة على نوعين^(١)؛ الأوّل: إضافة محضة وهي بتقدير حروف الجرّ: من، في، اللام، نحو: خاتم حديد، مكر الليل، كتاب زيد. والآخر: الإضافة غير المحضة وهي من إضافة الصفة إلى الموصوف أو المشتقات إلى معموها، نحو: قتيل العبرة وقاتل زيد.

والإضافة في (فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء) يجوز فيها أن تكون محضة بمعنى اللام، أي: فتق للأجواء، وشق للأرجاء، وسكائك للهواء، ويجوز أن تكون من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: الأجواء الفاتقة، والأرجاء الشاقّة، والهواء المسكوك.

(١) ينظر: اللمع في العربية ٨٠ والمفصل ١١٥.

وأسلوب الإضافة يوجّه المعنى وجهة أخرى تختلف عمّا لو دخلت اللام أو وصف الشيء بصفة ما، إذ لو قال: فتقُّ للأجواء لفهم منه عدم شمول الفتق للأجواء كلّها، وكذا لو قيل: إنشاء الأجواء الفتيقة، لفهم منه اتصاف الأجواء بهذه الصفة ابتداءً دون تدخل محدث في فتقها، والمراد إحداث عملية الفتق للأجواء كلّها التي خلقها سبحانه وتعالى بلا استثناء، لتكون الأجواء متباعدة عن بعضها منفصلة، والأرجاء وهي النواحي والجوانب منشقة أي منبسطة، وكذا الهواء في سكيكة أي: في طريقة منتظمة مصطفة ممّا يبيّن مساحة واسعة لتلقّي الماء المتلاطم.

أمّا الإضافة في (ثم زيّنها بزينة الكواكب) فهي معتمدة على لفظة (زينة)، فإذا أريد بها المصدر مثل (حلية) مصدر للهيئة، تكون الإضافة على وجهين: أولهما إضافة المصدر إلى فاعله، والتقدير: زيّنت الكواكب السماء بضوئها. والآخر إضافة المصدر إلى مفعوله، والتقدير: زيّن الله الكواكب فجعلها مشرقة. وإذا أريد بالزينة الاسميّة مثل (حلية) فالإضافة على وجهين: أولهما للبيان أي بمعنى (من)، من باب إضافة العامّ إلى الخاصّ، والتقدير: زينة من الكواكب. والآخر: بمعنى اللام، أي: ما زيّنت به الكواكب، والتقدير: زينة للكواكب.

وورد هذا التركيب في الاستعمال القرآنيّ منوّنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] على بدليّة الكواكب من الزينة، فالكواكب هي التي تزيّن السماء، وهذا يرجّح أن تكون الإضافة في قول الإمام دالة على البيان، أي بمعنى (من) لأنّه (عليه السلام) ذكر نوعاً آخر من الزينة معطوفاً على الكواكب وهو ضياء الثواقب.

س: ما المحلّ الإعرابيّ لجملة: في فلك دائر، في قوله (عليه السلام): (وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمرًا منيرا، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر)؟

جوّز الشراح أن تقع شبه الجملة المتعلقة بمحذوف (في فلك دائر) صفة ثانية للسراج والقمر، أو أن تكون، بدلا من الضمير في (فيها)، أي: السماء العليا، فيكون على هذا بدل كلّ من كلّ، فالسماء العليا هي الفلك الدائر والرقيم المائر. وجوّزوا أن تعرب ظرفا متعلّقا بـ(منيرا)، وعلى هذا تكون الشمس والقمر جزءا من الفلك الدائر، وربّما يكون هذا الوجه هو الأصحّ للمحظ الاستعمال القرآني، لكن المتعلّق به هو المذكورات كلّها من السماء السفلى والسماء العليا وكواكبها والثواقب والسراج والقمر لتكون كلّها جارية في (الفلك الدائر والسقف السائر والرقيم المائر) وهذا ما يجربنا به القرآن الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] و﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وجوّزوا أن تعرب (في فلك) في موضع حال من (سراجا وقمرًا).

المستوى المعجمي.

س: ذكر الإمام (عليه السلام) الفتق والشقّ، فهل ثمة فرق بينهما أم أنّ معنهما المعجمي واحد؟

كلاهما يدلّ على إبعاد في شيء، غير أنّ الفتق إبعاد وفصل لما هو ملتحم أجزاءه بحسب ما ذكر سابقا، يقال: فتقت الثوب، أي: فصلت أجزاءه بعضها عن بعض، أي الكمّ عن الأردان عن الصدر عن الظهر، ولذا هو ضدّ الرتق أي الالتحام ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] على حين يكون الشقّ خرما في الشيء الواحد غير المجزأ يؤدي

إلى ظهور المستور به، نحو: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] ليخرج منها النبات، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، ولذا استعمل الشق للأرجاء وهي النواحي والجوانب، والفتق للأجواء، وهي ما حوت على شيء في داخلها، أي: باعد بين الأجواء الممتلئة وفتح الجوانب المحيطة بها ليمتد الهواء في طريق منتظمة ليحمل الماء المسلط عليه كأنه كَوْن أرضية لحمل الماء. وأسند الشق إلى الأرض قرآنيًا لأنها كتلة واحدة، وكذا إلى سماء واحدة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] لا إلى كلِّها. وإتباعها وصفت السبع بالانفطار دون الانشقاق ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، فالانفطار يرد للجسم الواحد ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وللمجموع، أمَّا الانشقاق فلا يكون إلا للجسم الواحد.

س: يفرق كثير من المعجميين بين الريح والرياح^(١) على أن الأولى للعذاب والثانية للخير، فكيف توجه استعمال الريح في خلق السماوات في قول أمير المؤمنين؟

ليست الريح خاصّة للعذاب، فقد استعملت في مواضع الرحمة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنَّا أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، فالريح مستعملة في الخير والعذاب، والعلاقة بين الريح والرياح علاقة المفرد

(١) ينظر: المفردات (ريح)، والكشاف ١/ ٣٢٦.

بجمعه، إذ الرياح هي جمع للريح، نحو: ريم وريام. وفي التعبير القرآني أن الرياح ترسل مبشرات بالرحمة، ومنها لواقح، ومنها التي تثير السحاب، وتذرو الهشيم. وأمّا الريح فهي على أنواع: منها رياح العذاب وهي التي فيها صرّ، والريح العاصف والريح القاصف، والريح العقيم، والريح الصرصر، والريح العاتية، ومنها ريح الرحمة: ريح طيبة، وريح رخاء، وريح عاصفة، وهاتان الأخريان هما ممّا سخّره الله سبحانه لسليمان ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]. وإنّما لحقت التاء بناء (فاعل) في الريح العاصفة؛ لأنّ هذه الريح مأمورة أي مطيعة لسليمان فهي تقصف متى أراد منها ذلك، وتكون رخاء متى أراد ولو كانت عاصفا لما استطاع التحكم بها، لأنّ (عاصف) فاعل يتصف بالفعل لا قائم به فالعصف طبع فيها أي إن العاصف بمنزلة الصفة المشبهة التي ترد على زنة اسم الفاعل نحو (طاهر وحامض وغيرها). وكذا الريح القاصف هي التي تتصف بالقصف (وهي تكسّر ما تقع عليه) على وجه الثبوت فلا يوقفها أحد إلا الخالق تعالى فالقصف طبع لها ثابت. والريح في كلام الإمام (عليه السلام) على نوعين: الأولى هي التي حملت الماء ووصفها (عليه السلام) بالعاصفة والززع القاصفة، أي: الشديدة المتحركة بشدّة وتكسير، وهي تتحكم بالماء الذي تحمله، ولذا دخلتها التاء. والنوع الثاني هي الريح التي تقوم بتصفيق هذا الماء وتمخيضه لتخرج زبده، ووصفها (عليه السلام) بالعقيم.

س: استعمل الإمام (عليه السلام) في وصف البحر لفظة (الساجي) مقابل المائر، وهو الذي يدور ويتحرّك، قائلا: «تردّ أوّله على آخره، وساجيه على مائره»، فهل الساجي يدلّ على الساكن أم ثمة فرق بينهما؟.

في هذا النَّصِّ متضادات، أحدهما يقابل الآخر، والساجي يقابل المائر، ولمعرفة الساجي لابد من معرفة نقيضه وهو المائر، والمور حركة مضطربة متكررة سريعة، يقال: ناقة تمور في سيرها فهي مؤارة أي سريعة، والمور الطريق؛ لأن الناس يمورون فيه، أي: يترددون، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] أي: تتكفأ، ومار الجنين في بطن أمه، أي تحرك في كل اتجاه، ولم يتحرك بشكل دائري أو مائل نحو يمين أو يسار، وإنما تقلب في كل اتجاه^(١). ومن هنا نستطيع القول إن الساجي هو المتحرك حركة منتظمة، ولشدة انتظامها كأنها مستقرّة دائمة، ولذا وصف بها الليل في ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢]، وقد ذكر المفسرون أن سجا الليل معناه سكونه^(٢). وسجا الليل «سكن وركد ظلامه. وقيل: ليلة ساجية ساكنة الريح. وقيل معناه: سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه. وطرف ساج: ساكن فاتر»^(٣) وبقرينة المقابلة بين المور والسجى يمكن أن يقال: إن المراد بالساجي هو المتحرك حركة منتظمة لأن الليل متحرك في القرآن الكريم كما في الآيات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ﴾ [المدثر: ٣٣] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧] و﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧]، و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾ [الفجر: ٤] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦] و﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤] أي إن الليل الساجي معنى المتحرك، والسكون هو توقّف الحركة، لذا فالمراد من يردّ ساجيه على مائره، أي أمواجه الهادئة على المضطربة، والموج لا يوصف بالسكون بل تتحرك الموجات حركة اهتزازية في موقعها.

(١) ينظر: الصحاح (مور) والمفردات (مور) ولسان العرب (مور).

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٣٠.

(٣) الكشف ٤ / ٧٧٠.

المستوى البلاغي

س: اشتمل المقطع المتقدم على فنون بلاغية متعددة، اذكر أبرزها؟

١- (فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره). (متلاطماً تياره) يجوز أن يكون كناية عن كثرة الماء، وأصل اللطم: الضرب على الوجه بباطن الكف^(١)، وتلاطم الأمواج ضرب بعضها بعضاً كأنه يلطمه. ويجوز أن تكون استعارة مكنية إذ شبه الأمواج المتلاطمة بأشخاص يلطم بعضهم بعضاً ثم حذف المشبه به وأبقى لازمة من لوازمه وهي التلاطم.

٢- (حمله على متن الريح العاصفة... فأمرها بردّه) مجاز في الأمر بردّ الماء؛ لأنّ الحكيم لا يأمر الجهاد، أو هو أمر تكويني فالخالق يأمر الجمادات وتستجيب له كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

٣- (ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها) استعارة مكنية، إذ شبه هبوب الريح بالمرأة العقيم التي لا تتجب، ثم حذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو العقم. والريح العقيم خلاف اللاحق وهي التي لا تثير سحاباً ولا تلقح شجراً.

٤- (فمخضته مخض السقاء) تشبيه حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه فهو تشبيه بليغ، أي مثل السقاء الذي يمحّض فيه اللبن ليخرج ما فيه من الزبد، والتشبيه للإشارة إلى شدة التحريك.

٥- (فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً وَعَلِيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً)، فيه تشبيه بليغ إذ شبه السماء السفلى بالموج المكفوف وحذف الأداة ووجه الشبه، ويجوز أن يكون في الكلام استعارة، إذ استعار لفظ الموج للسماء لما

(١) ينظر: الصحاح (لطم).

... المقطع الرابع: خلق السماء ...

بينهما من المشابهة في العلوّ والارتفاع، وما يتوهّم من اللون، فحذف لفظ السماء لتقدم ذكره وأبقى المشبّه به وهو الموج فهي استعارة تصريحية، وقد يكون الكلام حقيقيّة لا مجازاً لأن الكواكب متحرّكة في أفلاكها.

المقطع الخامس: خلق الملائكة

وهو قوله (عليه السلام): «ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
فَمَلَأْنَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُنَّ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ
لَا يَنْتَصِبُونَ وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسَامُونَ لَا
يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةٌ
النَّسِيَانِ وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ وَخَتْلِفُونَ
بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهُمْ الْحَفِظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ
وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّاءِ
الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ
الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفَعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ
مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ لَا
يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمُصْنُوعِينَ وَلَا
يُحَدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ».

المعنى العام^(١)

لما ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) خلق السموات وتزيينها بالشمس والقمر والكواكب أشار بعد ذلك إلى سكّانها وحالات الساكنين فيها وصفاتهم وأصنافهم، غير أنّه (عليه السلام) لم يأت على ذكر الأصناف كلّها على وجه الاحاطة والشمول فلم يذكر (عليه السلام) خزنة النار (الزبانية)، ولم يذكر الملائكة المسوّمين، ولا الذين يتوفّون الأنفس، ولا التقسيات الأخرى من الملائكة الكروبيّين والروحانيّين الذين هم سادة الملائكة وعظماؤهم. لأنّ هذه الخطبة تنصبّ على بيان توحيد الخالق وقدرته في الخلق والايجاد، والعبرة من خلق الكون والعباد من الملائكة والبشر، لذا جاء كلامه (عليه السلام) في شأن الملائكة منصبّاً على الاهتمام بهذا الغرض العامّ للخطبة، فأوقف الأذهان على جانب العظمة في خلق الملائكة من حيث كثرتهم أوّلاً إذ بيّن ذلك بقوله: (فتق سبحانه ما بين السموات العلى فملاهن أطوارا من ملائكته) وهو كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]. ولفظة (الفتق) تدلّ على امتلاء السماوات بهم وكونهم لكثرتهم على أطوار متعدّدة، وهو كقوله (عليه السلام): (وليس في أطباق السماوات موضع إهاب الآ وعليه ملك ساجد أو ساع حافد)^(٢). والإهاب هو الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يُدبغ والجمع القليل آهبة.

ثمّ من حيث عظم خلقهم وسموّ طولهم بقوله (عليه السلام): (الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٥٧/١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٢/٢-٩٤.

(٢) في الخطبة (٩١).

الأقطار أركانهم...)، وهذا كله إظهارا لقدرته سبحانه. واهتمّ (عليه السلام) بإظهار جانب الرقيّ في عبادة الملائكة وتمييزهم عمّن سواهم فمنهم الساجد الذي لا يركع والراعي الذي لا ينتصب والصّاف الذي لا يزول عن مكانه. ثمّ أشار (عليه السلام) إلى بلوغ بعضهم مرحلة أرفع درجة فصار مؤتمنا على الوحي وإبلاغ الرسالة.

وتعدّ هذه الخطبة وأمثالها من كلامه (عليه السلام) في نهج البلاغة شرحا لما جاء في القرآن الكريم من آيات في الموضوع نفسه، وكذلك تعدّ حسما لما اختلف فيه من أمور تخصّ هذا الخلق الغيبيّ. من ذلك اختلافهم في ماهية الملائكة على أقوال: بين من عدّهم متولّدون من النور (وهم المجوس)، ومنهم من عدّهم خلقا بلا أبدان وأنهم نفوس ناطقة بذاتها (وهم النصاري والفلاسفة)، ومنهم من عدّهم أجساما نورانية تشكّل بأشكال مختلفة، بيّن (عليه السلام) أنّ للملائكة أبدانا لا تفتّر، وعيوننا لا يغشاها النوم، وعقولنا لا تسهو، غير أنّهم بقدرات تختلف عن البشر، وكذا بيّن (عليه السلام) أنّهم (لم يسكنوا الأصلاب، ولم يضمّنوا الأرحام، ولم يخلقوا من ماء مهين)^(١)، أي: لا يتناسلون.

وكذلك حسم كلامه (عليه السلام) بعض ما اختلف في تفسيره من آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، فهذه الآية ليس المراد بها الكرام الكاتبين في سورة الانفطار ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]. ولذا اختلف المفسّرون في الثمانية هل هم الملائكة أم هم الأنبياء أم العلماء الذين يحملون العلم لأنهم فسّروا العرش بالعلم فأكدت الخطبة أنّهم ملائكة يحملون العرش،

(١) في الخطبة (١٠٩).

وإنما أمكنهم الله تعالى على حمله بالقدرة التي أودعها فيهم، فقد سأل يهودي أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) فقال: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال (عليه السلام): الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيها وما بينهما، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]. قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] فكيف ذاك وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر وربك مالكة لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء)^(١). والمحصل من هذا التفسير أن العرش محمول لله تعالى لا حاملا له.

وكذا تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، إذ اشتبه على بعضهم كيف يحفظ الملائكة المعقبون من أمر الله تعالى؟ فجاء قوله (عليه السلام) ليبين ذلك باستعمال اللام: (الحفظة لعباده) التي تؤدّي معنى دقيقا وهو أن حفظهم للعباد من أمر الله إنما بتهيئة مسببات الحفظ الموصلة لحماية العبد، فلم يقل (عليه السلام): حفظة العباد، بالتعدية المباشرة وإنما باللام، وهذا مقصود الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] و﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، فإذا نزل القضاء رفعت أسباب الحفظ ونفذ أمر الله تعالى

(١) التوحيد الصدوق، ٣١٦؛ وبحار الأنوار ٣: ٣٣٤.

إذ نقل القمّي في تفسيره عن الأئمة الأطهار أنه «بأمر الله من أن يقع في ركيّ (بئر) أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلّوا بينهم وبينه، يدفعون إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان بالنهار يتعاقبان»^(١).

المستوى الصوتي

س: تنوّعت الفاصلة في هذا المقطع بين خمسة أصوات هي: النون واللام والميم والراء والهاء المهتوت، وهي أصوات عرفت بالمائعة (المتوسطة بين الشدة والرخاوة) وأثما ما دخلت بناء الآ حسنته، فهل لهذا التنوع علاقة بالمعنى أم أن المراد تحريّ الايقاع المؤثر في الأسماع بأصوات الغنة؟

الميم والنون من أصوات الغنة التي ترقق الكلام وتنغمه، وكذا فإنّ (اللام والراء والنون) من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، والتي ينطلق بها الصوت بلا عائق. والهاء معروفة بالصوت المهتوت الذي يليّ ويهشّش البناء عند النطق به، وإنّما اختيرت هذه الأصوات فاصلة لهذا الموضوع بحكم المعنى المتكلم فيه، فهو (عليه السلام) يصف الملائكة وهم رمز الطاعة والعبادة الخاضعة لله تعالى بلا نقص أو عيب لذا فالموضوع يفتح للسامع آفاقاً غيبية عن عالم غير مرئيّ، فيه روحانية القرب الإلهي عن طريق هيئات الملائكة وأوصافهم المادية ووظائفهم، وعن طريق السموّ العباديّ لهذه المخلوقات التي يفترض بالإنسان أن يصل إلى هذا المستوى المتكامل من العبادة، فكان دخول هذه الأصوات مراداً ومطلوباً في مثل هذه الموضوعات شأنه في ذلك شأن الآيات المكيّة التي تتكلّم عن الايمان بالله وفرض طاعته، وكذلك آيات الترغيب بالجنة والتخويف من النار.

(١) تفسير القمّي ١ / ٣٦١ ونور الثقلين ٢ / ٤٨٧.

المستوى الصرفي

س: مم اشتق (الملائكة) وما أثر الاشتقاق في المعنى؟

في وزن الجمع (ملائكة) خلاف حسب أصل اشتقاقه، فمن قال إنه من (مَلَك) فالجمع على زنة (فعائلة) يعدّ جمعاً شاذّاً، ومن قال أنه من (لأكه يأكّه) إذا أرسله فهو جمع لملاك على زنة مفعّل بمعنى مفعول ثم حذفت الهمزة تخفيفاً ليصير (مَلَك) على وزن (مَفْعَل) وهو جمع على القياس في الجمع على مفاعلة: ملائكة، بزيادة التاء لتأنيث الجمع^(١).

س: ما الدلالة الصّرفيّة لأبنية الألفاظ الآتية؟

١- سَبَّح: فَعَّل يفيد النحت، أي: قال سبحان الله.

٢- فترة: اسم مرّة على زنة فعلة بالفتح.

٣- متلفّعون: من تفعّل يدلّ على الاتّخاذ، تلفّع جناحه، أي: اتّخذ غطاء.

٤- يتوهّمون: يتفعّلون من تفعّل يدلّ على التدرّج أي الأتيان بالوهم شيئاً فشيئاً.

٥- وحيه: اسم مصدر من أوحى، وهو الأوامر الإلهيّة.

٦- مختلفون: مفتعلون من افتعل (اختلف)، دالّة على الاشتراك، والخلف ضدّ

القدّام، وخلفه: جاء بعده. ويلاحظ في توجيه دلّته العامّة تعلّق حرف الجرّ بهذا

الفعل، فإذا كان حرف الجرّ (في) كانت الدلالة على تعاكس اتجاهاتهم في الفعل أو

القول ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وإذا عدّي بـ(الى) أفاد تشارك الطرفين في المجيء

(١) ينظر: جامع البيان ١/١٩٨ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢/١٦٠ ومجمع البيان

١/١٥٩ والجامع لأحكام القرآن ١/٦٢ والبحر المحيط ١/١٣٧.

إلى أمر أو مكان أو شخص ما فيقال: اختلفوا إليه أي جاؤوه، وإذا كان حرف الجرّ (عن) يعني تفرّقوا وابتعدوا، والمراد في العبارة: (مختلفون بقضائه وأمره) أنّهم متردّدون بعضهم إلى بعض، أي هؤلاء الملائكة المشتركون في حمل الرسالة إلى الأنبياء يختلفون بعضهم إلى بعض في إيصال قضاء الله وقدره، فحرف الجرّ (إلى) غير مذكور لدلالة (بقضائه وأمره) فبوساطة هذا القضاء الذي لا بدّ من إيصاله للرسول يتردّد الملائكة المكلفون على بعضهم في إيصاله ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] فهم مأمورون ومتعاونون فيما بينهم. وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] أي على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصيائه عليهم السلام فهم مختلف الملائكة، أي مكان اختلافهم.

س: استخراج جموع التكسير واذكر المفرد والوزن والقاعدة الصرفية لكلّ منها.

س: استخراج أسماء الفاعلين، واذكر أوزانها وأفعالها.

المستوى النحويّ

س: في النّصّ تراكيب متضايقة متعدّدة، استخراجها وبيّن نوع الإضافة فيها؟

التراكيب المتضايقة هي: (نوم العيون، سهو العقول، فترة الابدان، غفلة النسيان، حجب العزّة، أستار القدرة، صفات المصنوعين). والإضافة فيها بمعنى اللام، وفي الأربعة المتقدمة منها تعريض بالإنس الذين يحصل لهم النوم والسهو والفترة والغفلة وهذا منتف عن الملائكة فهم ليسوا كالبشر في هذه الصّفات.

وإنّما لم يقل: (لا ينامون) بل قال: (لا يغشاهم النوم) للدلالة على أنّهم ينامون السيّء القليل؛ لأنّه نفى النوم الكثير أو غلبة النوم باستعمال الفعل (غشي) الذي

يدلّ على الاحاطة والشمول، فالغشي: إيتاء الشيء وإصابته أيضا، يقال: غشيه بالصوت: ضربه، واستغشى بثوبه: تغطى ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]: جعلوها غشاوة على أسماعهم ليمتنعوا من الإصغاء، والغاشية تغطي الخلق بأفزعها. وسئل الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حيٍّ إلا وهو ينام خلا الله وحده، والملائكة ينامون، فقلت: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فقال: أنفاسهم تسيح. وأمّا التراكيب الثلاثة الأخيرة فالإضافة فيها إشارة إلى الحصر بالمضاف إليه دون إرادة غيره، أي: مضرورة دونه حجب تتّصف بالعزّة وليس غيرها حجب أخرى بصفة أخرى، إذ لو قال: حجب للعزة لفهم مكان وجود حجب لشيء آخر كالعظمة أو شيء آخر.

س: ما نوع (لا) في قوله (عليه السلام): (فمنهم سجود لا يركعون، وركوع لا يتصبون، وصاقون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون)؟
هي (لا) النافية العاطفة التي تأتي بعد كلام مثبت، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، ولا في العريّة أمّا ناهية أو نافية عاملة أو نافية غير عاملة، أو نافية عاطفة، أو زائدة كما بيّنا سابقا.

س: ما إعراب (ناكسة) في قوله (عليه السلام): (ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم... والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنتهم) بالرفع، وإعرابها على رواية النصب؟ وما إعراب أكتافهم وأبصارهم بيّن عامل الرفع فيهما؟

تعرب (ناكسة) خبرا، والمبتدأ مفهوم مّا تقدّم، وتقديره (هم)، أي: الذين هم

ذوو أكتاف مناسبة لأركان العرش، هم لا يرفعون أبصارهم نحو العرش. والجملّة الاسميّة (هم ناكسة دونه أبصارهم) استثنائيّة. أمّا على رواية النصب ف(ناكسة) تعرب حالاً من (هم) في الجملة قبلها. أمّا (أكتافهم) فتعرب فاعلاً لاسم الفاعل (المناسبة) لأنّه معرفة فيعمل عمل فعله. وتعرب أبصارهم فاعلاً لاسم الفاعل: (ناكسة)، وساغ إعمال النكرة لوقوعها خبراً. وأجاز بعض الشراح وجهين آخرين في ناكسة: أوّلها صفة للمناسبة والآخر معطوفة على المناسبة بحذف حرف العطف وهما وجهان بعيدان^(١).

س ٤: لماذا وصف الجمع بالمفرد في قوله (عليه السلام): (ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم)؟ فقال الأرضين السفلى ولم يقل: السفل.

يجوز أن يراد بالجمع (الأرضين) الأقاليم والبقاع المجموعة في أرض واحدة ولذا وصفت الأرض بالمفرد، أو أنّ كلّاً من الأرضين السبع موضع قدم بعض الملائكة فكأن الأراضي السبع واحدة.

المستوى المعجمي

س: في كلام الإمام (عليه السلام) إضافة للغفلة إلى النسيان، وعطفها على السهو (ولا سهو العقول... ولا غفلة النسيان) ممّا يدلّ على عدم ترادفها، فما الفرق بين هذه الألفاظ؟.

ذكر أبو هلال العسكري^(٢) الفرق بين الثلاثة من منظور الزمن، فالسهو عمّا لم يكن، والنسيان عمّا كان، والغفلة عمّا يكون، تقول: نسيت ما عرفته، ولا يقال:

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٥ / ١ وفي ظلال نهج البلاغة ١ / ٦٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٩٧ - ٩٨.

سهوت عما عرفته، وإنما يقال: سهوت عن السجود في الصلاة؛ لأنَّ السجود لم يكن بعد. وأما الغفلة فيقال: غفلت عن هذا الشيء حتى كان، ولا يقال: سهوت عنه حتى كان؛ لأنَّك إذا سهوت عنه لم يكن. ويجوز أن تغفل عنه ويكون. وكذلك الفرق بينها من ناحية الفاعل: فالغفلة تكون عن فعل الغير، ولا يجوز أن تسهى عن فعل الغير.

س: تعدّ لفظة (القضاء) من المشترك اللفظي بيّن ذلك في ضوء قوله (عليه السلام): (ومختلفون بقضائه وأمره)؟
ذكروا للقضاء عدّة معان هي:

- الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

- الحكم ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]

- الإبلاغ والإعلام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]

- الإيحاء ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]

- الصنع ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَعَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢]

- الموت ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

- المضي ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]

- القدر ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]

- الفراغ من الشيء: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

الملاحظ على اللفظ المشترك أنّ معناه يتعدّد بالنظر إلى اختلاف السياق الذي يرد فيه اللفظ، والحقيقة أنّ للفظ المشترك معنى عامّ يضيّق أو يتّسع، ويختصّ ويعمّ، ويتغيّر اتجاهه حسب السياق المستعمل فيه، لذا يحكم باختلاف معناه أي: كونه مشتركاً لفظياً مع أنّ معناه العامّ واضح في استعماله السياقيّة المختلفة. والمعنى العامّ للفظ القضاء المأخوذة من الفعل (قضى) هو الفصل في الأمر على وجه الإحكام والالفاظ لجهته، وتنشعب من هذا المعنى العامّ المعاني المذكورة حسب استعمالات الفعل نفسه من حيث مجيئه متعدّياً أو لازماً أو حسب فاعله، فاذا كان القضاء من الخالق فهو فصل على جهة القطع والالفاظ الذي لا رجعة فيه، وليس بمعنى الأمر كما قالوا في ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ لأنّ توحيد الله وعدم عبادة غيره أمر على وجه الحتم والمسألة الفصل (وكان على ربك حتماً مقضياً) فالأمر شيء وقضائه شيء آخر: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥]، فالأمر قد يعمل به أو لا، فيكون الثواب والعقاب، أمّا قضاء الأمر فهو محتوم مفصول فيه ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦]. وكذا ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، أي إنَّ أمر خلق السموات قضاه الله أي فصل فيه وحتمه في يومين لا أنه سبحانه أتم خلقهن في يومين. وكذا يلاحظ الفعل مسندا إلى المخلوقين، فاذا كان متعديا إلى الذات بالواسطة بالحرف (على) فيراد به الاستعلاء ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] أي إنَّ فعل الوكز نفذ على وجهه في الموكوز فحصل القتل، لا أن (قضى) يعني: أمات، وإنما استعماله بالتعدية المفيدة للاستعلاء على الجنس الحي أفادت ذلك. وهكذا في باقي استعمالات معاني قضى، بدليل استعماله (عليه السلام) لهذا الفعل معطوفا عليه الأمر: (مختلفون بقضائه وأمره).

والقضاء غير القدر لأنَّ القدر اسم لما يبلغه الشيء، فإذا بلغ الشيء المقدّر الذي أَرادَه الله تعالى له وفصل القول فيه فهو القدر (بسكون العين) الذي قضاه الله للشيء. أمّا القدر (بفتحتين) فهو اسم للمقدار الذي يبلغه الشيء على الواقع^(١).

س: التخصيص الدلاليّ مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الذي يُعنى بمعنى اللفظ المعجميّ والتغييرات التي تطرأ على هذا المعنى، وضح ذلك في ضوء تتبّعك للفظ (الطور) الوارد في قوله (عليه السلام): (فملاهنّ أطوارا من ملائكته...)?

ذكر أصحاب المعجمات^(٢) معنى عامّا للفظ (الطور) وهو الدلالة على امتداد الشيء مكانا أو زمانا، يقال: طور الدار، وهو الذي يمتدّ معها من فنائها، ويقال

(١) ينظر: المفردات (قدر).

(٢) ينظر: الصحاح (طور) ولسان العرب (طور).

عدا طوره، أي: جاز الحدّ الذي حوله من داره. ثمّ خصّ المعنى بملحظ الامتداد هذا بما يمتدّ مرّة بعد مرّة فيما هو ايجابي، يقال: تطوّر المجتمع، أي: اتّجه نحو الأفضل حالا بعد حال. وعليه قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، أي أحوالا مختلفة، فمنهم من حمّله على المعنى العامّ فجعل الآية دالّة على كونهم أطوارا من بين صالح ومسيء، ومنهم من رأى فيه التخصيص الدلاليّ بما هو منتقل إيجابا من حال إلى حال، فعنى بها تغيير الخلق من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة وهكذا. أمّا في كلامه (عليه السلام) فهو في الدلالة الخاصّة للطور، إذ الملائكة على أحوال مختلفة يلاحظ فيهم الانتقال من مقام إلى آخر أعظم منه، لذا قسمهم (عليه السلام) مبتدئا بالطور الأوّل وهو الحالة العباديّة من سجود وركوع وقيام، وهي حالة تشترك فيها الأصناف الأخرى من الملائكة، ثم يأتي التقسيم الثاني ليراد به الطور الوظيفيّ الخاصّ بملائكة دون غيرهم وهم رسل الله إلى أنبيائه الذين كلّفوا بحمل أمانته سبحانه ووحيه. ثم يتقدّم التقسيم نحو الطور الثالث وهم حفظة العباد وسدنة أبواب الجنّة الذين اختصّوا بعباد الله (وهم خلقه المصطفون)، واختصّ بسدنة الجنان الذين ينفردون بمعرفة هؤلاء الصفوة من البشر فينتظرونهم عارفين لهم بعد فناء الخليقة لإدخالهم إلى الجنّة الالهية، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. ثم ينتهي التقسيم بالطور الرابع وهم حملة العرش الذين خصّهم سبحانه بحفظ الكون ووكّل إليهم تدبيره لما أعطاهم من عظمة خلقية. فالطور بملحظ الطول يدلّ على الامتداد لكنه يشمل الزمان والمكان، وأطلق على الأنواع المختلفة التي لا تعارض بينها للموصوف الواحد، فكل طور يكمل الآخر، فهو اذن تطوّر وانتقال.

المستوى البلاغي

س: استخرج الأساليب البلاغية في النصّ المتقدّم وبيّن نوعها والمراد منها؟

١ - في النصّ مجاز في قوله (عليه السلام):

أ - (ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله)، وهو مجاز مرسل، بعلاقة الجزئية، كما في: أرسل العيون، والمراد الجواسيس. وهنا وصف للملائكة بجزء منهم وهو اللسان للتنبه على وظيفة هذا النوع من الملائكة وهي القيام بحمل الرسالة الإلهية إلى الأنبياء عليهم السلام.

ب - في (ناكسة دونه أبصارهم)، إذ النكوس للرأس كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، وإنما ذكر جزءا منه وهو البصر للتأكيد على أنهم لا يجروؤن على النظر إلى نور العرش لهيبته وخوفا من الاقتراب منه.

٢ - في النصّ كناية في قوله (عليه السلام): (المناسبة لقوائم العرش أكتافهم)، وهذا كناية عن عظم خلق هذا الصنف من الملائكة، لأنهم يحملون العرش، فهم ضخام عريضو المناكب، وهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، والعرش محيط بجميع المخلوقات، والأرضين والسماوات جميعا وما فيها عند العرش كحلقة في فلاة. فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «ما السماوات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة خاتم في فلاة، وما الكرسي عند العرش إلا كحلقة في فلاة».

المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام)

وهو قوله (عليه السلام): «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ
وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ،
وَلَا طَهَّهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءِ
وَوُضُولٍ، وَأَعْضَاءِ وَفُضُولٍ: أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا
حَتَّى صَلُصَلَتْ، لِيَوْقْتَ مَعْدُودٍ، وَأَجَلَ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ
رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أذْهَانَ يُجِيلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ
يُخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَالأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ، وَالألْوَانِ وَالأَجْنَاسِ، مَعْجُونًا بَطِينَةَ الأَلْوَانِ
المُخْتَلِفَةِ، وَالأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالأضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالأخْلَاطِ
الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ، وَالبَلَّةِ وَالجُمُودِ، وَالمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ».

المعنى العام^(١)

ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) قصة خلق آدم (عليه السلام) في هذه الخطبة بصورة مفصلة تشرح ما تفرّق منها في القرآن الكريم، وهذا التفصيل في كيفية خلق الإنسان تعود إلى أسباب عديدة لها فوائد جمة، من ذلك تعرّف الإنسان على تركيبته المعقدة فهو مؤهل لأن يتسامى إلى عبادة الملائكة بفعل المكونات الطيبة من طينة الأرض، ومؤهل لأن يتدنّى ليلتحق بإبليس بفعل المكونات الرديئة من طينة الأرض قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، فالإنسان لديه استعداد للشر والخير بفعل جمعه من المساءة والسرور، وإذا فهم الإنسان حقيقة جمعه للمتناقضات والمتضادات فهم أنّه في صراع مستمرّ مع نفسه، وعليه أن يكون يقظاً، فينمّي جانب الخير ويغلبه على جانب الشرّ، وبذا يفهم أنّه في دنيا ابتلاء وأنّ راحتته في الآخرة إذا أحسن التعامل مع طبيعته هذه. ومن ناحية أخرى يلتفت الإنسان إلى عظم نعمة الله عليه قياساً بالخلق الآخرين، إذ خلق من أيسر الموجودات وهو التراب خلافاً للملائكة والجنّ، فلم يخلق من نور أو نار، بل أهون منهم جميعاً قبل نفخ الروح فيه، فهو لم يكن شيئاً مذكوراً، إذ لم يكن مسبّحاً لله تعالى، فلمّا أنعم عليه الخالق بنفخ الروح وتعليمه الأسماء تميّز عنهم جميعاً، ولذا عليه أن يشكر الخالق دوماً لإيجاده من أرخص الموجودات وتفضيله بأعظم المعطيات وهو العقل والقدرة على التفكير للوصول إلى تسييح الذات المقدّسة عن دراية وفهم.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٩٨-٩٩.

وهذه الخطبة تفسير راقٍ للقرآن الكريم، وتصحيح للمفاهيم المغلوطة لدى بعض المفسرين، الذين تخبطوا في تأويل مدلول (الصلصال، الحمأ، المسنون، الفخار) وغيرها من الألفاظ القرآنية التي عُبر بها عن خلق آدم عليه السلام.

المستوى الصوتي

س: ما الإيحاء الصوتي المفهوم من لفظة (صلصال) في قوله (عليه السلام):
(وأصلدها حتى صلصلت)، وهل ثمة فرق بين التعاقب المزدوج لصوتي اللام والراء في مادتي صلّ وصرّ؟

الصاد من الأصوات الصفيريّة (الرخوة)، المطبقة (المفخمة)، ومخرجه من اللثة والأسنان، وهو بهذه الصفات يلاحظ فيه ضيق مجرى الهواء بشكل واضح، فإذا أعقبه صوت اللام يلاحظ فيه زيادة في الاحتكاك لخروج الهواء عند النطق باللام من جانبي اللسان، فتزداد حدة الصوت في مادة (صلّ)، ولذا نجد توسم بهذه المادة حركة اصطدام الحديد ببعضه ببعض، كما في صوت لجام الفرس أو تضارب السيوف. أمّا إطلاق هذه المادة وصفا لحركة بقيّة الماء في المزايدة وكذا لصوت الخزف، فالظاهر أنّ هذه المادة تحاكي صوت دخول الهواء إلى المزايدة من فوهتها الضيّقة فيصطدم الهواء بالماء المتبقي بصورة مركّزة محدثا صوتا حادّا غير مرتفع، وكذا الحال في الخزف، إذ لا بدّ من شكل مجوّف يدخل فيه الهواء من فتحة ضيّقة. وفي صفة خلق آدم (عليه السلام) أنّ الريح كانت تدخل من منخرية وأذنيه وهي فتحات ضيّقة محدثة هذا الصوت، ثم تخرج من دبره، ولذا يتكرّر هذا الصوت بملحظ خروجه من مكان ضيّق فاستعملت صيغة (فعلل) للدلالة على التكرار الصوتي، إذ إنّ التضعيف المقطعيّ يفيد تكرير الفعل وترديده، وكذلك يقال: صلّ

اللجام إذا أصدر هذا الصوت، فإذا استمر ترجيع الصوت يقال: صلصل.
ولا يمكن استبدال (الصَّـرَّ) بـ(الصَّلَّ)- مع أن الرء واللام من مخرج واحد وهو اللثة واشتراكها في صفتي الجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة؛ لأنّ الصفير الواضح من صوت الصاد إذا ما أعقبه الرء (المكرّر) يؤدي به إلى رفع درجة الصوت في الأذن بفعل تكرّر ضربات اللسان على اللثة، ولذا استعمل في الدلالة على الصّيحة، وهي الصّوت المرتفع ﴿فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]. وكذا في الريح الباردة، وقيل الحارّة أيضا للمحظ شدة تأثيرها الضارّ على النبات والحيوان، فهي ريح مرتفعة البرودة نافذة إلى أبعد حدّ، ولكونها مسلّطة بشكل دائم كرّر معها المقطع، فصارت (صرصر) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]. والمراد من وصف دخول الريح في جوف الطين اليابس محاكاة هذه الحركة المستمرة التي لا يلاحظ فيها ارتفاع الصوت، وإنّما يلاحظ شدة الاحتكاك في منافذ التمثال الفخاريّ. وما قيل عن أنّ الصلصال في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] يعني به المتنن، من صلّل اللحم إذا أنتن (بإبدال اللام الثالثة صادًا، أو بملحظ دفن اللحم في أرض صلّة أي مبلّلة فهو قول يردّه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما وصف الطين المخلوق منه آدم (عليه السلام) بأنّه جمّد ثم أصلد، أي إنّ الماء الممزوج مع الطين جفّ فاستمسك الطين، ثم يبس الطين بعد أن تخلّص من الرطوبة فيه فصار صلدا، فنّبّه (عليه السلام) بالجمود والصلود على أنّه المصوّت لا المتنن؛ لأنّ التنن يرتفع مع حصول الجمود واليبوسة.

المستوى الصرفي

س: زن الكلمات الآتية وزنا صرفياً محكماً، واذكر دلالاتها؟

- إنسان: (فعلان) من الأنس؛ لأنه يأنس بغيره ولا يعيش دون المجتمع، وهذا مذهب البصريين. والثاني أنه (إفعان) من النسيان؛ لأنه ينسى ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] وهو مذهب الكوفيين، وأصله (إنسيان) على (إفعلان) ثم حذفت الياء لكثرة الاستعمال بدليل رجوعها عند التصغير: انيسين، وردّ البصريون رأي الكوفيين هذا بعدم سماع المفرد إنسيان في الكلام فضلاً عن كثرة الشذوذ الصرفي في المصغرات. أمّا دلالة إنسان الصرّفة فهو اسم جنس افراديّ، أي يطلق ويراد به المفرد أو الجمع حسب السياق^(١).

- تُربة: (فُعلة) من التراب، وتنصرف دلالتها إلى موضع الفعل فيما ظهر للحسّ، أي: ظهور أثر الفعل في مكان محدّد، فالتربة موضع تركّز المقدار المجموع من التراب، وهو هذا المقدار المعين ممّا جمع من أصناف التراب المأخوذ من بقع مختلفة من الأرض. والدلالة الصرّفة لفُعلة بالضمّ هي تركّز الشيء في الموضع، أي: موضع الحدث، نحو: الصُّلعة لموضع الصلح، والقُدرة لما يتجلّى من مقدرة الخالق أمام البشر.

- بِلَّة: (فُعلة) اسم هيئة من البلل، وهو يدلّ على مصدر الفعل ولكن بملحظ الحالة التي يحصل فيها، أي هيئة حصوله، فالبلل بفعل (اللوط) يختلف عن البلل الذي يصيب التراب بفعل المطر، أو البلل بفعل المزج لما تبّل به اليد لعجن الطين دون إصلاده، كما أنّ هيئة النبتة في الربيع تختلف عنها في الصيف، ففي الأوّل تكون

(١) ينظر: الأنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٨١١ وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ٨٥.

... المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام) ...

كثيرة يانعة، وفي الصيف قليلة وغلظة على ما وصفها به (عليه السلام) في الخطبة المعروفة بالشقشقية: «يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع».

- المعرفة: (مَفْعَلَة) من عرف يعرف، وهو مصدر ميمي دخلته التاء للدلالة على تجسيد الحدث، فالمصدر المسموع ل(عرف) هو العرفان مثل: الهجران، أمّا المعرفة فهي ما لمس من العرفان، إذ معرفة الإنسان محدودة ومتنامية زمنا بعد آخر.

- طينة: (فَعْلَة) مفرد لاسم الجنس الجمعيّ يقال: (طين: طينة)

- مساءة: (مَفْعَلَة) وأصلها (مَسَوَّة) وحصل إعلال بنقل الفتحة إلى السين ثم إعلال بقلب الواو ألفا لسبقها بالفتح. وهي أيضا مصدر ميميّ يجسّد السوء المأخوذ من البقعة السبخة من الأرض.

س: عيّن حروف الزيادة في الأفعال المزيدة الواردة في النصّ ثم بيّن المعاني الصّرفيّة التي أفادتها هذه الحروف؟

- أجمدها، أصلدها، يجلها: الزيادة بهمزة القطع، وهي تفيد فيها كلّها معنى التعدية إذ المجردات أفعال لازمة.

- تمثّلت، يتصرّف: الزيادة بالتاء وتضعيف العين يدلّان على المبالغة مع التدرّج.

- يقلّبها، يفرّق: الزيادة بتضعيف العين، للدلالة على التكثير والمبالغة. والتقليب خاصّ بالقلوب والأبصار قرآنيًا لأنّ بهما يحصل التفكير في قدرة الله وآياته ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَنذَرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

- يُخدمها: الزيادة بهمزة الوصل والتاء للدلالة على الاتخاذ، أي اتخذ جوارحه خادمة له.

س: استخراج الجموع الواردة في النصّ واذكر مفرداتها وفقا لأوزانها الصرفية؟

المستوى النحوي

س: ما دلالة (حتّى) في قوله (عليه السلام): (سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت)؟

(حتّى) عند النحويين^(١) على ثلاثة معان: أن تكون جارة بمعنى (إلى)، أو عاطفة بمعنى (الواو)، أو ابتدائية يراد منها استئناف الكلام، ومثّلوا هذه الأنواع بجملة: أكلت السمكة حتى رأسها بالحركات الثلاث، لتكون جارة إذا حرّكت السين بالكسر، وعاطفة إذا حرّكت بالفتح، وابتدائية إذا حرّكت بالضمّ على تقدير جملة اسمية: حتى رأسها أكلته. هذا إذا دخلت على الأسماء. أمّا إذا دخلت على الأفعال فتعدّ جارة لـ(أن) مضمرة إذا دخلت على فعل مضارع منصوب، وتعدّ ابتدائية إذا كان المضارع مرفوعا، وتعدّ ابتدائية أيضا إذا كان الفعل ماضيا خلافا لابن مالك الذي أجاز كونها جارة لـ(أن) مضمرة مع الفعل الماضي. وفي كلامه (عليه السلام) دخلت حتى على فعل ماض ومعناها يفيد انتهاء الغاية، أي إنّ سنّ الماء استحصال للطين ليخلص من شوائبه، وانتهى السنّ عند خلوص الطين منها، وكذا عملية اللوط انتهت بصيرورة الطين الخالص لازبا متماسكا، فحتّى في كلامه (عليه السلام) بمعنى (إلى) تفيد انتهاء الغاية. وهي داخلة على أن مضمرة في محلّ جرّ كما مثل ابن مالك لهذا الاستعمال بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضُّرُّ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

(١) ينظر: الجني الداني ٥٤٢-٥٤٥.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ [الأعراف: ٩٥].

س: ما نوع (من) في قوله (عليه السلام): (من حزن الأرض وسهلها)، و(فجبل منها صورة ذات أحناء)، (معجوننا بطينة الألوان المختلفة... من الحرّ والبرد والبلّة والجمود)، و(فنفخ فيها من روحه فتمثلت إنسانا)؟

ذكر النحويون^(١) خمسة عشر معنى لـ(من) أبرزها ثلاثة معان تخضع في تحديدها لضوابط السياق، الأوّل: ابتداء الغاية، وقرينتها ذكر المكان والجهة والمنشأ معها لتكون ابتدائية، نحو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] و﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. والثاني: أنّها للتبويض، وعلامتها إمكان سدّ (بعض) مسدّها (ومنهم من كَلَّمَ الله)، أي: بعضهم. والثالث: أنّها لبيان الجنس، وعلامتها أن تقع بعد مبهم ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] و(من) في قوله (عليه السلام) في الجملة الأولى للتبويض؛ لأنّه سبحانه لم يجمع كلّ الحزن والسهل، وإنّا بعضه، وكذا في الجملة الثانية إذ جبل من بعض هذه التربة صورة، ويجوز أن تكون ابتدائية، أي إنّ جعل الصورة ذات أحناء منشؤه وابتداؤه من هذه التربة مركّباً فيها تركيباً ثابتاً لها كثبوت الجبل. أمّا (من) في الجملة الثالثة فهي لبيان الجنس؛ للإيهام الموجود في الألفاظ السابقة من الأضداد والأخلاق بدليل تضادّ المساء والسرور، والحرّ والبرد، والبلّة والجمود. أمّا (من) في الجملة الرابعة فقد اختلف في تحديدها بناء على اختلاف معنى الروح، والظاهر أنّها تبويضية؛ لأنّ الروح مخلوقة، خلقها سبحانه وأضافها إلى نفسه تشريفا لها، أمّا إذا كانت

(١) ينظر: الجنى الداني ٣١٤-٣١٦ ومغني اللبيب ٤١٩/١-٤٢٢.

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

الروح متعدّدة، بمعنى أنّها روح اصطفاها سبحانه على سائر الأرواح ف(من) تفيد بيان الجنس على ضعف لعدم ذكر المحدّد كأن يقال: ونفخ فيها من روح الإيمان أو من روح القدس أو غير ذلك. وكذا إذا كانت الروح بمعنى القدرة الإلهية ف(من) ابتدائية، على ضعف أيضا؛ لعدم سبقها بالتحديد المكاني والزماني كما في: (من المسجد الحرام) و(من أول يوم)، كأن يقول: ونفخ روحه من أنفه.

س: أعرب (معجونا) في قوله (عليه السلام): (ونفخ فيها من روحه فتمثّلت إنسانا ذا أذهان يجيلها... معجونا بطينة الألوان المختلفة...)?

يعرب صفة للمفعول به (إنسانا)، أي إنّ نفسه تجمع المتناقضات والمختلفات من خير وشر وغير ذلك، وهذا ثابت في خلقته ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، والصفة تفيد ثبوت الوصف في صاحبه. ومنهم من جوّز إعرابه حالا، وهذا لا يساوق المعنى؛ لأنّ الحال وصف منتقل، أي ينفك عن صاحبه ولا يلازمه، والمراد أنّ هذه التركيبة المعجونة من متغيرات من طبيعة النفس الإنسانية^(١).

س: أعرب جملة (أجمدها) في قوله (عليه السلام): (فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول... أجمدها حتى استمسكت)?

جملة في محل نصب حال ومعنى الحالية مفهوم من تغيرها من الجمود إلى الإصلاذ لأنّ الحال منتقلة بخلاف الصفة فهي ثابتة، ومنهم من جوّز إعرابها استثنائية على تقدير: ثم، والقول بالتقدير يخالف الظاهر بلا دليل لذا تعرب حالا^(٢).

(١) ينظر: منهاج البراعة للخوئي ٤١/٢ وفي ظلال نهج البلاغة ٤١/١.

(٢) ينظر: في ظلال نهج البلاغة ٤١/١.

المستوى المعجمي

س: استعمل (عليه السلام) الوقت والأجل متعاطفين، مما يدل على عدم ترادفهما، وكذلك الفكر والذهن، فما الفرق الدلالي بين هذه الألفاظ؟

الوقت هو الزمان الفعلي لعمل شيء ما، على حين الأجل هو الوقت المحدد لانتهاء ذلك الشيء. فعمر الإنسان هو الوقت الذي يقضيه في الدنيا، أمّا أجله فهو وقت انتهاء عمله الدنيوي. وفي قول الإمام (عليه السلام) استعمل الوقت للدلالة على المدّة الزمنية التي بقي فيها آدم (عليه السلام) على صورته الإنسانيّة الجامدة، والتي ذكرت المرويات أنّه بقي مطروحا أربعين سنة تمرّ به الملائكة ولا تعرف لم خلق، حتى أنّ إبليس كان يمرّ به ويقول: لأمر ما خلقت. فالوقت الذي بقي فيه على هذه الحالة ممّا يعدّ زمنيا لذلك أضيف إلى لفظة: معدود، وهذا يفسّر قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. على حين أراد (عليه السلام) بالأجل الوقت الذي انتهت فيه حالة بقاءه جامدا لينتقل إلى حالة نفخ الروح فيه، فأجله كان نفخ الروح فيه، وهو معلوم عند الخالق تعالى وليس ممّا يعدّ زمنيا^(١).

أمّا الفرق بين الذهن والفكر^(٢)، فإنّ الذهن يراد به القوّة الباطنة التي بها يحصل الحفظ والإدراك للصور المختلفة لما يراه ويشعر به، أذهنني، أي: إنساني وألهاني، وهو قريب من ذهل وأذهل. والفكر هو النظر في الشيء، والتفكير هو أعمال النظر في الشيء وتردد القلب للأمر تأملا واعتبارا. لذلك استعمل الإمام (عليه السلام) الفكر مقترنا بالتصرف، أي إنّ الإنسان بعد أعمال فكره في الأمر

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٢٧٢.

(٢) ينظر ك الفروق اللغوية ٧٥، ٨٥.

ينطلق إلى العمل بما توصل إليه بعد التفكير، على حين قرن الأذهان بالإجالة؛ لأنها صور تنتقل في رأسه وأمور يحفظها ويستعيد النظر فيها.

س: هل يمكن الاشتقاق من أسماء الذات في لغتنا العربية، وضح ذلك وفقا لما جاء في النص المتقدم؟

ج: نعم يمكن ذلك وهو في العربية كثير، نحو: عاينه، جابهه، واجهه من العين والجهة والوجه. ومما جاء في النص قوله (عليه السلام): (فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول) إذ اشتق من الجبل الفعل (جبل) للدلالة على خلق آدم (عليه السلام) بهذه الصورة الثابتة، فالجبل في اللغة دال على الأمر الثابت، كأنه سبحانه ركب في الإنسان هذه الصورة التي يصعب على الناقل نقلها وتغييرها. أو أنه سبحانه طرح آدم (عليه السلام) على صورة عظيمة تشبه الجبل في الارتفاع والضخامة.

س: ما معنى (صلصلت) في قوله (عليه السلام) وما يقابله في التعبير القرآني؟

هذا المقطع من الخطبة يصحح المفاهيم المغلوطة لدى كثير من المفسرين الذين لم يهتدوا إلى معنى (الصلصال) في ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، إذ جوزوا في الصلصال أحد وجهين تباينوا في الاختيار بينهما، الأول: إن الصلصال: الطين اليابس الذي يصل ليئسه ومعنى يصل يصوت والآخر: أن يكون الصلصال «تضعيف صل اللحم إذا أنتن»^(١). وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) يوضح أن المراد هو الأول فالطينة وفت بالصلادة لا التانة في قول أمير المؤمنين «وَأَصْلُهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ». أما قولهم: «صل اللحم يصل

(١) ينظر: العين ٧/ ٨٤ ومقاييس اللغة ٣/ ٢٧٧ ولسان العرب (صلصل).

بالكسر صلولا أي أُنْتَنَ^(١) فمجاز من تحوّل الحمأ (الطين غير المتناسك) إلى الصلصال وذلك أنّ العرب كانت تجفّف اللحم فتعرضه في الشمس كي يبس، فيتنّ أولاً قبل أن يبس ثم يسمع له صليلاً إذ حُرِّك من فرط قسوته فيقال: صلّ اللحم. أي إنّ تفسير صلّ بأنتن محمول على مرحلة سابقة مرّ بها اللحم عند تعريضه للشمس بغية تجفيفه. فالوجه الراجح هو أن يكون الصلصال ترجيعاً لـ(صلّ) بمعنى يبس، وفيه تجتمع المعاني الثلاث: الصلابة والملاسة والتصويت، ومعناه هو أن يؤول الحمأ المسنون إلى جسم صلب لا ينكسر بسهولة وأملس ليس عليه شعر ولا لحم وليس فيه دم وهو يصوت إذا حُرِّك فيسمع منه صلصلة أو هو مشبّه في الصلابة بالحديد لأنّ «صوت الحديد إذا حُرِّك يقال: صلّ الحديد وصلل، والصلصلة أشدّ من الصليل ذلك» إذا توهمت في صوته مدّاً فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة^(٢).

س: ما معنى (سنّها) وما يقابله في التعبير القرآني؟

كلام المفسّرين في هذه اللفظة كسابققتها لا محصّل منه إذ تأرجحت أقوالهم في تفسير (الحمأ المسنون) بأنه المتغيّر وهو المتن، أي الذي يتغيّر بمرّ السنين عليه أي إنّهم اشتقّوه من السنّة وأصله (سنّه) كما في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي: لم يتغيّر، ورأى بعضهم أنه من (سنّ)، وأصل (يتسنّه) هو (يتسنن) والهاء للاستراحة^(٣). وهذا الاشتقاق غلط لأنّ المسنون من الأصل (سنن) لا من (سنه) الذي يشتق منه (يتسنّه) وكلامه (عليه

(١) ينظر: الصحاح (صلل) ومختار الصحاح صلل.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٤٠ وينظر: النهاية في غريب الحديث (صلصل).

(٣) ينظر: الكشاف ١/ ٣٩٠ والمحزر الوجيز ٢/ ٢١٣ والبحر المحيط ٢/ ٢٨٥.

السلام) يوضّح أنّ المسنون هو المصبوب؛ لقوله (تربة سنّها بالماء حتى خلصت) وعليه بعض الأقوال لأنّ المسنون مأخوذ من سنتت الماء، أي: أسلته، ويستعمل مجازاً في الطريق الواضح فقالوا: السنن، والسنة وجمعها سنن. أي جعله مصبوباً كغيره من المائعات، وأمّا التغيّر فهو من الأصل سنه، أي: تغيّر.

وثمة ألفاظ قرآنيّة لم ترد في كلامه (عليه السلام) بعينها وهي: الحمأ والفخار، والملاحظ تحبّط المفسّرين في مادّة الحمأ، إذ ذهبوا إلى أنّه الطين الأسود، وكذلك الطين المتنن، وعلى الرغم من أنّ المعجمات اللغويّة لم تذكر للحمأ معنى الطين أو الأسود أو المتنن وإنّما ذكرت أنّ هذه المادّة مأخوذة من (الحمأوة) فأصل اللفظة هو الحرارة، ومنه سمّي حما المرأة بذلك لأنّه يغضب للدفاع عنها، والحميّة: ما حمي من شيء، والحامية: الرجل يحمي أصحابه، والأصل هو الحرارة ثم استعير في الحماية، وربّما همز حما فقالوا: الحمأ. ومعنى الحماية لهذه اللفظة القرآنيّة المرتبطة بلفظة المسنون مفهوم من قوله (عليه السلام): (سنّها بالماء حتى خلصت)، أي صبّ الماء على التربة المجموعة من أديم الأرض فأخرج ما بها من شوائب، وصارت نقيّة شديدة النقاوة متماسكة وبعملية سنّ الماء عليها حميت من الشوائب فيها. إذ لا علاقة لهذه اللفظة بالطين أو التنن.

ولفظه الفخار المستعملة قرآنيّاً ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] مشار إليها في الخطبة بل أنّ الخطبة توضّح المراد من تشبيه الصلصال بالفخار، إذ بيّن (عليه السلام) وجه الشبه وهو ييوس الطين، قال (عليه السلام): (أصلدها حتى صلصلت)، وقبلها ذكر الانجماد. والفخار هو الطين المعرّض للنار حتى ييبس، وسمّي فخّاراً؛ لأنّ هذه المادّة تدلّ على شيء جيّد، والفخّار يوصف بالجودة لتحويله الطين المعجون بالماء إلى خزف يستفاد منه، وكذا طينة الإنسان

تحوّلت إلى صورة لبشر من تراب جامد، ويمكن لهذه الصورة أن ترقى بصاحبها إلى مستوى يفوق بطاعته للخالق طاعة الملائكة فهي طينة أصلدت بتركها للهواء وشعاع الشمس.

س: ما المعنى المعجمي للفعلين (لاط، لزب)؟.

لفظة (لاط) تدلّ على إلزاق في المادّيات: لطت الحوض لوطاً، إذا أكدته بالطين، أي حركت ماءه فثار فيه الطين، ثمّ انتقلت الدلالة من المادّيات إلى المعنويّات لتفيد شدّة التصاق الشيء المحبوب بالقلب: لاط الشيء بقلبي: التصق^(١)، ونقل ابن الأثير في النهاية ((حَدِيثَ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ: بِمَا اسْتَطَلَّتُمْ دَمَ هَذَا الرَّجُلِ؟ أَيِ اسْتَوْجَبْتُمْ وَاسْتَحَقَّقْتُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا صَارَ هُمْ كَأَنَّهُمْ أَلْصَقُوهُ بَأَنْفُسِهِمْ))^(٢). فمعنى (استلطتم دم هذا الرجل) أي استوجبتم وثبت عليكم الجرم. ومعنى (لاطها بالبله حتى لزبت) أن تحريك الطين والماء استمر حتى تجانس المائع فصار متماسكاً لأنّ اللزوب يعنى التماسك بين عناصر الطين النقيّة من الشوائب لتهيّأ للمرحلة اللاحقة وهي الصب في قالب لتصوّر على الهيئة المقدّرة، قالت تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

المستوى البلاغي

س: ما الفنون البلاغيّة المستعملة في النصّ المتقدّم، اذكرها مع التوضيح؟

١- في النصّ استعارة مكنية في قوله (عليه السلام): (وجوارح يخدمها)، فمعنى (يخدمها) هو أن يجعل أعضاء بدنه كالخدم له فحذف المشبه به (الخدم)

(١) ينظر: الصحاح (لوط).

(٢) النهاية في غريب الحديث (لوط).

وأبقى المشبّه (الجوارح) والبدال على المشبه به المحذوف هو فعل الاستخدام (يخدمها).

٢- في النصّ مجاز عقليّ في قوله (عليه السلام): (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض...)، وإسناد الجمع إليه تعالى من التوسع في الإسناد من باب بنى الأمير المدينة إذ الجمع حقيقة من فعل الملائكة بأمر الله سبحانه بعد أن اقتضت الحكمة خلقه آدم وجعله خليفة في الأرض.

٣- في النصّ كناية في قوله (عليه السلام): (والأخلاق المتباينة من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسرور) إذ كنّى (عليه السلام) عن الطبائع المختلفة والمتضادة في البشر من حبّ النساء، وطول الأمل، والحرص، وحبّ الطعام والشراب، والبرّ، والحلم، والرفق، والغضب، والسفه، والسكينة، والعجلة، والتجبر، والفساد.

المقطع السابع: معصية إبليس

وهو قوله (عليه السلام): «وَأَسْتَأْذِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةُ
وَدِيْعَتُهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، فِي الْأَذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ،
وَالْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ (وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمْ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقْوَةُ،
وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَأَسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ
تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلْسُّخْطَةِ، وَأَسْتِثْمَا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا
لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾»

المعنى العام^(١).

تتضمن قصة خلق آدم (عليه السلام) وأمر الملائكة بالسجود له وما حصل من عصيان إبليس عبراً كثيرة تهّم البشريّة جمعاء؛ لأنّ التفكّر فيها والاستفادة من مغزاها يحمل الجنس البشريّ على الفوز برضا الله تعالى. إذ تعرّض الملائكة الذين جبلوا على طاعة الخالق لابتلاء إخلاصهم في العبادة عن طريق توجيه الأمر لهم بالسجود لمخلوق لم يسبق لهم أن رأوا منه عبادة لله تصل إلى عبادتهم لخالقهم، فهو لم يركع ولم يسجد كركوعهم وسجودهم وتسييحهم فضلاً عن ضآلة حجمه إذا ما قورن بعظمة خلقهم، فريشة واحدة من جناح ملك منهم تفوق حجمه الصغير. وتذكر الروايات وكتب التفسير ان الله تعالى اهلك قري المؤتفكة بجناح جبرائيل عليه السلام.

وقد اختلفت أقوال المفسّرين في المراد بالسجود هل هو سجد عباد لآدم أم تكريم أم أنّ آدم كان قبله للملائكة ليس إلّا؟ وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يفصح عن أنّ السجود كان لآدم لا إنيهم اتخذه قبله، وأنّه سجد يراد به تكريمه فهو طاعة لله من خلال الخنوع والطاعة والانقياد لآدم عليه السلام.

وعلى بني آدم أن يتنبّهوا من هذه القصة على نوع معصية إبليس ليتجنّبوا وهي الكبر، إذ طغى إبليس وخالف الأمر الإلهيّ بالسجود لآدم معللاً ذلك بأنّ معدنه أفضل من معدن آدم وقد قال أمير المؤمنين في الخطبة المعروفة بالقاصعة في نهج البلاغة: «وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١٠٠-١٠١.

وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤُؤُهُ^(١)، وَطِيبَ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ^(٢)، لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَطَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَخَفَّتِ الْبُلُؤَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمَيِّزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِعَاداً لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجُهَيْدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةِ وَاحِدَةٍ. فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخَلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٣).

وعن الصادق (عليه السلام): أول من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أول معصية عصي الله بها، فقال إبليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فقال تبارك وتعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٧-٧٨]، فقال إبليس يا رب فكيف وأنت العدل الذي لا تجور فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثوابا لعملك أعطيك، فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتك، فقال سلطني على أولاد آدم، قال: سلطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم واحد إلا ولدي اثنان، وأراهم ولا يروني وأتصور

(١) الرُّؤَاءُ - بضم ففتح: حُسن المنظر.

(٢) العَرْفُ - بالفتح: الرائحة.

(٣) الخطبة رقم (١٩٢).

لهم في كل صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا رب زدني، قال: قد جعلت لك ولذريتك صدورهم أوطانا، قال: رب حسبي، فقال إبليس عند ذلك: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] و﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]^(١).

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) -أيضا أنه سئل بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟. فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قلت: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعهما في السماء في أربعة آلاف سنة. وعنه (عليه السلام) أنه قال: إبليس أول من قاس إبليس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين، وصفوا أحدهما على الآخر^(٢).

وطاعة العبد لخالقه يجب أن تكون مطلقة، ولا يطلب من رب العزة تعليلا لأوامره ونواهيه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالله تعالى يجب أن يعبد من حيث يريد هو لا من حيث يريد الناس. وكان على إبليس أن يطيع الله تعالى من خلال الخضوع لآدم لآته الخليفة المختار من قبل الخالق ولا يلزم الخالق أن يبين لمخلوقاته سر أفضلية آدم عليهم وتمييزه حتى ينصاعوا لأوامره، وكذا الحال مع خلفاء الله بعد آدم فهم اختيار الله وعلى الناس طاعتهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى

(١) ينظر: تفسير نور الثقلين ٢/ ١٠-١١.

(٢) نفسه.

يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾ طلبوا من نبيِّ لهم ان يجعل عليهم ملكا ثم رفضوا ما اختاره لهم نبيهم بحجة انه فقير.

ومن المآخذ التي أثارها المشككون حول هذه القصة أنه سبحانه استجاب لإبليس طلبه الإمهال، وكان لا بد من معاقبته، والجواب على هذه الشبهة يذكره الإمام (عليه السلام) باستعمال لفظة السخطة الدالة على العقوبة، إذ أعطاه النظرة لأنه سيزداد أثما بعد إخراجهم من رحمة الله واغوائه للخلق ليكونوا مثله في محاداة الله تعالى، فضلا عن هذا فان إبليس طلب الإمهال إلى يوم البعث لكنه سبحانه لم يمهل على شرطه هو وإنما جعل الإمهال إلى الوقت المعلوم وهو يوم الدين الذي يقتل فيه إبليس وجنوده ويتم فرز المؤمنين من المجرمين وتخلص البشرية من يد الشيطان ليميز الخبيث من الطيب ويتم الفصل بين الفئات على اختلاف العصور. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]

المستوى الصرفي

س - مم اشتق إبليس والشيطان وما وزنها ؟

اختلفوا في اشتقاقها وأكثرهم على أن إبليس عربي على زنة إفعيل، نحو إبريق وإكيل وإزميل، من البلس وهو اليأس والتحير، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢] أي: يشتد بأسهم فتقطع حجّتهم ويسكتوا، والسكوت من لوازم شدة اليأس، يقال: أبلست الناقة: إذا لم ترغ من شدة الضبعة. ومنه سمّي إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، أي: يئس، وكان اسمه عزازيل وكنيته

أبو الحارث، وإنما مُنِع من الصرف لأنه لم يسمَّ به أحد من العرب فصار كأنه دخيل على لغتهم فأشبهه الأعجمي، ومن اللغويين من عدّه أعجمياً للعلمية والعجمة^(١). أما الشيطان ففي اشتقاقه قولان أولهما إنه من الشطن وهو البعد وهو على وزن فيعال والآخر إنه من الشيط وهو الاحتراق ووزنه فعلان، والراجح الأول لأن الشيطان مصروف في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧] ولو كانت نونه زائدة لكان على فعلان ولكان ممنوعاً من الصرف لزيادة الألف والنون في آخره^(٢).

س: ما المعاني الصّرفيّة التي تؤدّيها حروف الزيادة في الأبنية الآتية: استأدى، استوهنوا، اعترته، تعزّز فأعطاه، انجازا، الاذعان، تكرمته، استحقاقا؟

- استأدى: مزيد بالهمزة والسين والتاء، من المجرّد (أدى اللبن يَأدي إذا وصل إلى الاختمار، وقالوا في المزيد بالتضعيف أدى يؤدّي إذا أوصل الشيء إلى الشيء فالتضعيف يفيد التعدية وأدى الأمانة أوصلها إلى صاحبها، والأداء اسم من أدى نحو: زكّى زكاة. وأمّا استأدى فهو دال على طلب أداء الوديعة من الملائكة، وهي السجود لآدم (عليه السلام) عند تمام خلقه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

- استوهن: وزنه استفعل دالا على ظنّ الشيء على صفة معينة، أي: ظنّ إبليس خلق آدم من الطين واهنا لا يرقى إلى عنصر النار ففي التعبير القرآني ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

(١) ينظر: جامع البيان ١/١٢٧ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢/١٩٢ والمفردات ٦٠ والمحرف الوجيز ١/١٣٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/٢١٧-٢١٨ والزينة في معاني الكلمات الإسلامية ٢/١٧٩-١٨٠.

[الأعراف: ١٢] وكأته ظنّ النار أرقى من الطين مع أنّ النار مصدرها التراب أيضا ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢].

- اعترته: على زنة افتعل بزيادة الهمزة والتاء، وتفيد الزيادة فيه المبالغة، إذ المجرد هو من عراه: إذا غشيه وأصابه، واعتراه: أصابه على وجه المبالغة، فالعوارى هي الأعضاء التي من شأنها الظهور وهي اليدان والرجلان والوجه، ويقال: عري من ثوبه فهو عريان. فالفعل من الباب الرابع لما هو مادي مما ينكشف، فالعراء هو الفضاء ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه: ١١٨] ثم انتقل إلى المعنوي فيل: عراه شيء.

- تعزز: على زنة تفعل مزيد بالتاء وتضعيف العين، أي أظهر إبليس العزة، وذكر الصرفيون أنّ هذا البناء في الإظهار يكون بتكلف الصفات المحمودة نحو: تصبرّ وتحلم، وربما جاء في تكلف الصفات المذمومة نحو: تلهى في سورة عبس، والعزّ هو الغلبة والقوّة، من عزّ الشيء حتى لا يكاد يوجد، أي لا يكاد يقدر عليه، وأرض عزاز أي: صلبة، ولذا تستعمل العزة في المدح وفي الذمّ، فان كانت بالله تعالى فهي مدح وقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل عزّ ليس بالله فهو ذلّ» وأما الذم فمثاله قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] أي: ليمتنعوا من العذاب. وإبليس أظهر الامتناع المذموم والتعالي على آدم الذي رفض الأمر الإلهي بالسجود لآدم معللا ذلك بخلقه من نار لا من عنصر أدنى ففعل إبليس هو تكبرّ على الخالق والمخلوق وهو مذموم ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢]

- أعطاه: على زنة أفعل المزيد بهمزة القطع، ومجرّده غير مستعمل، يقال: ظبي عطوّ وهو الذي يتناول إلى الشجر ليتناوله. والعطاء اسم مصدر لما يعطى، ودلالة همزة القطع هي التعدية، أي إيصال العطاء الإلهي لإبليس وهو إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم.

س: ثمة صيغ صرفية تعددت أمثلتها في هذا المقطع، اذكرها وبين دلالتها.

١- فعيل: وعلى هذا الوزن لفظ (قبيل) وهو اسم جنس دالّ على الجماعة من قبائل شتّى مثل الروم والزنج والعرب. ومفرده بالتاء (قبيلة) التي تجمع على قبائل تكسيرا، والقبيلة التي لأبٍ واحد. ويبدو أن الإمام (عليه السلام) أراد بقبيل إبليس كلّ من كان على شاكلته يماثله في فعله ويقبل عليه بالرضا والاقضاء. واللفظ مستعمل في التعبير القرآني ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]

٢- فعيلة: وردت على هذا الوزن الألفاظ الآتية:

أ/ وديعة: اسم مصدر من أودعت الشيء عند فلان، ويجمع على ودائع، ومجرّده غير مستعمل في الماضي وإنّما يأتي المضارع والأمر فقط (يدع، دع) بمعنى يترك اترك، أما الوداع فهو اسم مصدر من ودّع ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣] والمعنى لم يتركك ربك وحيدا بين قومك، وشاع استعمال الوداع في الدعاء وهو ان تدعو للمسافر بان يتحمّل الله عنه كآبة السفر وأن يبلغه مراده.

ب/ وصية: اسم مصدر من وصّى، والمصدر التوصية.

ج / البلية: اسم مصدر من ابتلى، والمصدر الابتلاء.

د/ الحمية: اسم لما يؤنف منه مثل الجزيرة والعقيدة، حميت عن كذا حمية إذا أنفت منه، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦] وهي القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت، وإبليس ثار وغضب تكبرا واستعلاء.

٣- الفعلة، وعليه لفظة النظرة: وهي اسم مرّة من نظره الله أي: أمهله. ووردت اللفظة برواية أخرى هي: النَّظْرَةُ، على فَعْلَةٍ، وهي اسم مصدر من أنظره. والمعنى المراد للفظه على الروایتين هو الأَنْظَارُ، أي إمهال الله تعالى إبليس، والفعل نظر يستعمل بدلالات متعددة حسب السياق، إذ المعنى العام للنظر هو قلب البصر والبصيرة لإدراك الشيء، فان عدّي بـ (إلى) كان بمعنى قلب البصر سواء رأى الشيء أم لم يره ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ونظرُ الله إلى عباده: إحسانه إليهم. وإذا تعدى بـ (في) دلّ على التأمل والتفكير ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، أمّا إذا تعدّى بنفسه فانه يدلّ على الانتظار والامهال ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، أي: انتظرونا. ويأتي بمعنى الانتظار أيضا على البناءين: أنظر وانتظر ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْتُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، ﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]. ورواية (فَعْلَةٍ) هي الأنسب بالمقام فالنهج

تفسير للقران يحاكي استعماله وقد استعملت النظرة قرآنيا في الإمهال: ﴿وَإِنْ كَانَ دُورَ عَسْرَةٍ فَنظِرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أي: التأخير والإمهال للدين، من أنظرت الدين أي: أخرته. وكذلك في هذا المورد من النهج: أعطاه الله النظرة أي: الإمهال من أنظره الله نظرة لأنه طلب ذلك بقوله (رب أنظرني إلى يوم يبعثون)، وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢-٢٣]، فالمراد منها مختلف فيه بين المفسرين حسب مذاهبهم، إذ أجاز الأشاعرة النظر بمعنى الابصار بملحظ تعديّه بـ(إلى)، وخالفهم المعتزلة في ذلك لتنزيه الخالق من التجسيم الذي يميز الرؤية، فذكروا أن المعنى بتقدير محذوف: ناظرة إلى ثواب ربها، وهذا هو المأثور عن أهل البيت عليهم السلام، فناظرة في الآية اسم فاعل من نظر بمعنى تنتظر رحمة الله. والنظر إلى الشيء يؤول في طبيعته إلى انتظار ما فيه، والنظر إلى رحمة الله وثوابه هو انتظار لحصوله بعد أن سبقت علاماته وهو نصارة الوجه.

المستوى النحوي

س: ما نوع الاستثناء في قوله (عليه السلام): «فسجدوا الا إبليس وقبيله»؟
وهل إبليس من جنس الملائكة؟

في تحديد نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] خلاف^(١)، فمنهم من ذهب إلى انه استثناء منقطع أي إن المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ

(١) جامع البيان ١/٤٥٨-٤٥٠ وإعراب القرآن ومعانيه للزجاج ١/١٣٣-١١٤ والكشاف ١٥٥/١-١٥٦.

الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ [الكهف: ٥٠] وللاستثناء المنقطع استعمالات في القرآن نحو: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] ومنهم من يرى انه استثناء متصل لأن لفظة الملائكة داخله في الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الأنس واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨] يعني الملائكة. وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة. فعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) ان الله تعالى خلق خلقا قبل آدم وكان إبليس حاكما في الأرض عابدا لله فعتا عليه قومه وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم ورفعوا إبليس إلى السماء وكان مع الملائكة يعبد الله إلى ان خلق الله تعالى آدم. وكان إبليس من الملائكة بالولاء حتى اخرج ما كان في قلبه من الحسد فأبى ان يسجد لآدم، وانه مشمول بالخطاب لأنه كان مع الملائكة في سجوده لله وسجوده ظاهري لا حقيقة ومثله دخول المنافقين في خطاب المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأَلْقَابُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، أي إن الاستثناء متصل بحكم عموم الخطاب لمن هو في حالة الطاعة ظاهرا، واما إعراب المستثنى فانه واجب النصب ؛ لان الاستثناء مثبت اي: لم يسبق بنفي -سواء كان متصلا أم منقطعا- بإبليس منصوب وكذلك جنوده أو قبيله على اختلاف الروايات. إذ أطبق النحويون على أن المستثنى يعرب منصوبا

وجوبا إذا كان الاستثناء مثبتا متصلا أو منقطعا أو منفيا منقطعا، ويجوز نصب المستثنى أو إبداله من المستثنى منه إذا كان الاستثناء منفيا متصلا.

س: ما نوع الإضافة في قوله (عليه السلام): واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم؟

الإضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: وصيته المعهودة، وهي قوله تعالى للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] ثم أمرهم بتبليغ هذه الوصية بعد نفخ الروح في آدم فقال: (اسجدوا لآدم) بالأمر المباشر. وربما سبقت هذه الوصية الأمر المباشر بالسجود تمهيدا للنفوس حتى لا يعصي الا المعاند فكان هو إبليس الملعون وعن عليّ (عليه السلام) «إن هذا القول للملائكة من الله تعالى مقدمة منه إلى الملائكة في آدم من قبل ان يخلقه احتجاجا منه عليهم»^(١).

س: كيف تعرب الملائكة في: (واستأدى الملائكة وديعته)؟

مفعول به بنزع الخافض، والتقدير: استأدى من الملائكة الوديعة، والوديعة مفعول ثان.

المستوى المعجمي

س: أضيف العهد إلى الوصية في قوله (عليه السلام): (واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم) مما يدل على عدم ترادفهما، بين ذلك؟ وما فرقهما عن الميثاق والعقد؟

الوصية يلاحظ في معناها العام الدلالة على الإيصال وعدم الانقطاع، أي

(١) نور الثقلين ٣/ ٩.

إيصال الكلام من طرف إلى آخر، وهو على سبيل التأكيد والوعظ بين المخلوقات ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ومن الخالق تعالى يلاحظ فيه الثبوت والدوام ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]. وهي مأخوذة من قولهم: وصيت الشيء أي وصلته، وأرض واصية: نبتها متصل قد امتلأت منه، ووصيت الليلة باليوم: وصلتها^(١). ويقترّب كثيرا البناءان أوصى ووصى في الدلالة، غير ان فعّل المضعف العين يلاحظ معه المبالغة، على حين يقتصر أفعل على إفادة التعدية ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] فهو ممن يقيمون الصلاة قبل الوصية وإنما تأتي للتأكيد بلا إرادة المبالغة.

أما العهد فيلاحظ أنّ معناه العام يراد به الحفظ مع تقادم الزمن لذلك قوبل بالنسيان في الاستعمال القرآني ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وغالبا ما يكون العهد للأمر المعنوية ومنها العقائد على حين تختص الأمانة بالماديات قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]. فالعهد هو الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، وعهد يعهد من الباب الثالث ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] أي: ألم أقدم اليكم من الأمر الذي أوجبت عليكم الاحتفاظ به. والعهد من المطر: الذي يأتي بعد الوسمي، كأنّ المطر وسم الأرض أولا وتعاهدها ثانيا، أي احتفظ بها فأتاها ويسمونه الوي لأنه يلي الوسمي. وباعتبار

(١) ينظر: المفردات (وصي).

الحفظ قيل للوثيقة بين المتعاقدين عهدة^(١). وقد استعمل الإمام (عليه السلام) في كلامه الوصية والعهد ليشير بالوصية إلى الأمر الإلهي الموجه للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، ويشير بالعهد إلى دوام الخنوع والتكريم لآدم من خلال حفظ هذه السمة من التكريم في ولد آدم من المصطفين من الأنبياء والأوصياء، وليس التكريم يقف عند آدم (عليه السلام) وحده فعن الصادق (عليه السلام) قال: نحن شجرة النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمته. وعن الصادق (عليه السلام) لما سُئِلَ عن القضاء والقدر قال: ان الله سبحانه إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم ولم يسألهم عما قضى عليهم، وفي صلاة الغدير: اللهم انعمت علينا بموالاته اوليائك المسؤول عنها عبادك فانك قلت وقولك الحق: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]

ومما يرادف هاتين اللفظتين ويستعمل استعمالهما لفظة (الميثاق)، والصواب ان الميثاق هو توكيد العهد وتقويته، فمادة وثق تدل على عقد وأحكام ووثقت الشيء: أحكمته، وأوثقته: شددته، والوثاق: اسم لما يوثق به الشيء ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٦]، ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]

والميثاق مع الله تعالى يكون بالكلمة، وبين الناس اما باليمين المؤكدة أو بالصحيفة المثبتة لأقوال المتكلمين ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف: ٦٦]، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢] وأما العقد فهو يكون بالوثيقة المدونة فقط ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١/ ٥٧-٥٨.

أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ [المائدة: ١] فهو بين البشر فقط فلا يقال تعاقدت مع الله تعالى^(١).

س: وردت في كلام الإمام (عليه السلام) لفظة السُّخْطَةُ فهل يمكن استبدالها بلفظة الغضب أو النعمة؟

تعدّ هذه الألفاظ من المترادفات لدى المعجميين، وقد فرّق التعبير القرآني بينها إذ استعمل السخط في العقوبة العاجلة: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]، وهم بنو إسرائيل إذ كانت عقوبتهم اللعن، وفي سخط المنافقين ارتبطت العقوبة بضرب وجوههم وأدبارهم ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧-٢٨]، على حين استعمل الغضب للعقوبة المؤجلة إلى المستقبل البعيد ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وربّما اتّبع الغضب غفران وهو من غضب البشر. ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. أمّا النعمة فالمراد بها انكار شيء محدد في الإنسان دون أموره الأخرى ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]، ولذا لا يقع فعل العقوبة الا إذا توالى النقم: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]،

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١: ٥٧.

فالانتقام يأتي بعد ارتكابهم منكرات متعدّدة وليس من مرة واحدة ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٥] فهم مكذبون اي: مكثرون للكذب، وكذلك. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥] فهم يعودون بالمنكرات دائما. اذن يمكن القول ان هذه الألفاظ تشترك في كونها ثوران لدم القلب، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم»^(١) غير ان الغضب لا تتبعه عقوبة دينية، ويقع من الممكن على انزال العقوبة وغير الممكن، وهو امر ظاهر على الغاضب، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] فغضبه (عليه السلام) ظاهر للعيان غضب يغضب من الباب الرابع فهو غضبان. وأمّا السخط فهو ثوران ظاهر يقع من القادر على إنزال العقوبة على المسخوط وهي عقوبة شاملة محيطية بالمسخوط لذا ترتبط حقيقتها بالخالق تعالى، وتكون من الناس على التشبيه. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] فهم يقومون بلمز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن لم يعطوا من الصدقات، والسخط يقابل الرضا، سخط يسخط من الباب الرابع ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢]^(٢).

وترتبط بهذه الألفاظ - أيضا مفردة (الغيظ) فهي تدلّ على ثوران الدم لكنه سلوك داخلي وثوران خفي، لذا ارتبطت هذه المفردة في الاستعمال القرآني بالصدور وهي موضع أخفاء ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ

(١) الكافي ٢ / ٣٠٤ ح ١٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ١٣٠-١٣٢.

بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ [آل عمران: ١١٩]، وبالخلوة ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وبالکید ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥] فهذه اللفظة مرتبطة بالنفوس الضعيفة التي تحقد على المؤمنين، أي إن الغيظ غضب كامن للعاجز، يقال: غاظه يغيطه من الباب الثاني غيظاً^(١). وذكر صاحب المفردات أن الغيظ قد يوصف به سبحانه لإرادة الانتقام ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ [الشعراء: ٥٥] مع ان الفاعل ههنا هو فرعون الذي قال هذه الكلمة وهو الذي اغتاز ممن تبع موسى (عليه السلام)، وقد وصفهم فرعون بأنهم شرذمة قليلون.

وفي قول الإمام (عليه السلام) استعمل لفظة (السُّخْطَة) تعليلاً لإعطاء إبليس النظرة، أي إن أمهال إبليس إلى الوقت المعلوم هو عقوبة آتية له وليست مؤجلة، فهو مطرود من رحمة الله أولاً، ومتبوع بتعاضم الذنوب لأنه في هذه المهلة الدنيوية يستفرغ جهده في استمالة بني آدم وإغرائهم بملذات الدنيا لإبعادهم عن الخالق تعالى، فكل لحظة تمر عليه تزيده بؤساً وشقاء ليؤول مصيره إلى الخلود في النار وهو الانتقام الإلهي الأخير له. أمّا السخطة فهي العقوبة المباشرة له. أمّا الغضب فلا يلزم منه عقوبة الطرد من الجنة، وعن أمير المؤمنين في الخطبة (١٩٢): «أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا؟!».

(١) ينظر: المفردات (غيظ).

المستوى البلاغي

س: في النصّ أساليب بلاغية متعدّدة، اذكرها وبيّن نسبة كلّ منها إلى الفنّ البلاغيّ الخاصّ به؟

١- في النصّ اقتباس من آيتين كريمتين، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وكذلك قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨]. وهو من فنون علم البديع فهو من المحسنات اللفظية التي تزيّن الكلام.

٢- في عبارة: الوقت المعلوم كناية عن يوم الدين، والكناية من فنون علم البيان، إذ ذكر لازم من لوازم الموصوف وهو (المعلوم) لأنّه يوم بيّنه الله تعالى لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما بشره بظهور الإسلام على الدين كلّ بشرائط معيّنة تسبق وقوع هذا اليوم، فهو معلوم لدى المسلمين بهذه الشرائط من أتيان الدخان الذي يغشى الناس، وخروج النار من المشرق وغير ذلك من العلامات الكونية. وانظار إبليس يكون إلى هذا اليوم وليس إلى يوم القيامة.

٣- الإيجاز وهو من فنون علم المعاني، إذ اختصرت قصة عصيان إبليس في كلامه (عليه السلام) عما وردت عليه في القرآن الكريم، فلم يذكر (عليه السلام) طلب إبليس الامهال، وإنّما ذكر الاستجابة مباشرة وذلك مراعاة لجانب الاختصار في تقديم الصفوة من هذه القصة ضمن خطبة طويلة له (عليه السلام) يلفت فيها انتباه المخاطبين إلى ما اقتره سبحانه في كتابه العزيز، وهو إيجاز في محله تستدعيه ظروف الخطاب المباشر.

المقطع الثامن: معصية آدم (عليه السلام)

وهو قوله (عليه السلام): «ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَہُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشُهُ، وَأَمَّنَ فِيهَا مَحَلَّتُهُ، وَحَدَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ، فَأَغْتَرَّهُ عُدُوهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ، وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَأَسْتَبَدَلَ بِالْجُدَلِ وَجَلًّا، وَبِالْأَغْتِرَارِ نَدْمًا. ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَہُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسَلَ الذُّرِّيَّةَ».

المعنى العام^(١).

جاءت قصة آدم (عليه السلام) في هذا المقطع مجملة مع تركيز شديد، فشخص الإمام (عليه السلام) معصية آدم مبينا سببها بقوله (فاغتره عدوه) أي: أصاب مكان الزهو والتعالي فيه، وترك للقرآن الكريم توضيح كيفية اغترار إبليس لآدم (عليه السلام)، وذلك حرصا من الإمام (عليه السلام) على بيان نقطة الضعف في الإنسان لكي لا يؤتى منها اعتبارا بما حصل لآدم، فالمعصية المفهومة من الاغترار هي الحرص قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩] فمعنى الآية كما في الروايات الصحيحة عن العترة الطاهرة هو إن آدم وحواء أخذوا ما لا حاجة بهما إليه. وعلى الإنسان ان لا يأمن عقاب الله تعالى وان الابتلاء بالخير أصعب من الابتلاء بالشر لأنه يستوجب التذلل للخالق ليحصن نفسه من الكبر، مع الشكر الدائم، على حين الابتلاء بالشر يستوجب الحمد، فالتفضيل ميزة وكرامة من الله للعبد ولا بد له أن يعلم انها بأمر الله ان شاء أبقى هذا التكريم أو رفعه، فكان آدم حريصا على بقاء تكريمه فكلفه التجاوز على الأمر الإلهي.

وقد ذكر (عليه السلام) أن إبليس حسد آدم على أمرين: أولهما الجنة التي أعدّها الله له، والآخر (مرافقة الأبرار)، دون تحديد لهؤلاء الأبرار. وقد ذكر أنهم الملائكة (عليهم السلام)، مع أن الملائكة سجدت لآدم وخضعت له، والمفروض أن لا يحسد على رفقة من هم أدنى رتبة منه، هذا فضلا عن إن لفظة الأبرار لم ترد في الاستعمال القرآني وصفا للملائكة قط، وإنما وُصف الملائكة بالبررة ﴿بِأَيْدِي

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١٠٤-١١٠ ومنهاج البراعة للخوازي ٢/ ٨٦-٩١ و بهج الصياغة ٣/ ٥٩١-٥٩٢.

سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿عبس: ١٥-١٦﴾، وهو جمع بارّ، أمّا الأبرار فهو جمع برّ صفة مشبهة وهو أعلى مرتبة من البارّ، وجاءت في القرآن الكريم وصفا لأهل البيت عليهم السلام ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] وهو جمع قلة لهؤلاء الخمسة المطهّرين الذين يدعو كلّ مؤمن أن يكون معهم ﴿رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] لذلك فآدم محسود على مرافقتهم وهم أنوار في أظلة العرش، ويدل عليهم تحريض إبليس لآدم بقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَائِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] فهم الخالدون في الجنة لأنه سبحانه إنما خلق الجنة لأجلهم أي لأجل مشروع الخلافة فهم أساس المشروع وغايته.

وحسم أمير المؤمنين (عليه السلام) القول في زمن توبة آدم هل هو قبل الإهباط أم بعده؟ إذ اختلفوا في وقت هبوط آدم من الجنة فمن قائل: إنّها بعد التوبة كما في قوله تعالى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَائِهِمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٣]، ومنهم من رأى أن الهبوط قبل التوبة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٦-٣٨]. فكلام أمير المؤمنين

ورد باستعمال الأداة (ثم) في قوله (عليه السلام) (ثم بسط الله سبحانه له في توبته... فأهبطه إلى دار البليّة)، وأمّا ما في سورة البقرة فالملاحظ أنّ فيها إهباطين: الأوّل في الآية (٣٦) على سبيل عرض العقوبة الإلهية لهما لما أزلّهما الشيطان، وهي الإخراج من الجنة والإهباط إلى الأرض، والآخر في الآية (٣٧) وهو حاصل بعد التوبة وكأنّه تفسير للتوبة، لأنّه سبحانه قبل التوبة من آدم بشرط إخضاعه للابتلاء بعداوة إبليس فأهبطه ليعيش هذا الابتلاء ثم يردّ إلى الجنة إذا نجح. وقد صرح أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا في الخطبة (٩١) من النهج فقال: «فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ».

ومما روي عن العترة الطاهرة في توجيه معصية آدم (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لُهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] هو إنّ هذه المعصية كانت قبل التكليف فلم يكن قد عُصِمَ بعد، والله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم (عليه السلام) في الجنة لا في الارض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم مقادير الله عزّ وجلّ، فلما هبط إلى الارض وصار حجّة وخليفة عُصِمَ بقوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] أي إنّ ذلك كان من آدم قبل النبوة. وهذا المعنى رواه الصّدوق في عيون الأخبار والطبرسي في الاحتجاج عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السّلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فقال: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾. فقال (عليه السلام): إنّ الله

تبارك وتعالى قال لآدم ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾. وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: إنما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾، وقاسمهما إني لكم لمن الناصحين. ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يخلف بالله كاذبا (فَدَلِيَهُمَا بِعُرُورٍ فَأَكَلَا مِنْهَا). ثقة يمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق دخول النار به وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم فلما اجتباه الله وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة ولا كبيرة.

المستوى الصوتي

س: في (وَاسْتَبَدَّلَ بِالْجُدَلِ وَجَلًّا) هل يمكن استبدال الوجدس بالوجل؟ علل ذلك اعتمادا على الدلالة الصوتية.

الوجل كالوجدس كلاهما يعني استشعار الخوف^(١)، لكن الوجدس يعني إخفاء الخوف أي هو استشعار بالخوف يكون خفيا ولكنه ظاهر على وجه صاحبه ولذا علم ضيف إبراهيم بخوفه منهم دون أن يصرح لهم بشعوره كما في الآيات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨]

(١) ينظر: الصحاح (وجدس، وجل).

أما الوجل فشعور خفي كامن فلا دلالة عليه إلا من صاحبه فلا يعرف إلا بتصريح صاحبه ولذا لم يعلم ضيف إبراهيم أنه خائف منهم إلا بعد أن صرح هو بخوفه منهم قبل أن يسلم عليهم كما في الآيات: ﴿وَنَبَّهَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٣].

ويبدو أن الوجس سابق للوجل، وأن الوجس زائل أسرع من الوجل، فالإنسان بطبعه يوجس من شيء يخيفه أولاً فيظهر أثر الخوف على وجهه ثم يطمئن قلبه فينحسر خوفه في جوفه ولا يرى في وجهه لأنه اعتاد هذا الشعور المفاجئ فتعامل معه بما يوافق شخصيته وكيانه فإبراهيم (عليه السلام) لما أقبل عليه ضيفه (الملائكة) بأخبار كثيرة ردّ عليهم السلام ووصفهم بالمنكرين لأنه لا يعرفهم من قبل ولم يصرح بخوفه منهم عند لقائه بهم ابتداءً ومع أول خبر تلقاه بل أضمره في قلبه فظهر الخوف على وجهه فعلموا أنه خائف منهم فقالوا له: لا تخف كما في سياق سورة الذاريات. وفي زمن لاحق لازم الخوف إبراهيم لكنه انحسر في قلبه فلما استرسلوا في تبليغه الأخبار الأخرى - وهي مخيفة أيضاً - صرح بوجله منهم لأن الخوف قد زال من صفحات وجهه وكمن في وجدانه كما في سياق سورة الحجر. وفي جرس الصوتين اللام والسين ما يحاكي معنى اللفظتين فالسين صوت مخرجه من الأسنان واللام مخرجه شجر الفم أو (الغار) فمخرج السين - إذن - أقرب إلى إلى الخارج من مخرج اللام وفي هذا إيحاء بظهور الخوف في (الوجس) وخفائه في (الوجل) فضلاً عن إن السين صوت صفيري مناسب همس بين الأسنان واللسان واللام صوت ممتد مجهور يخرج من على جانبي اللسان المتصل بالغار وهذه الصفات المختلفة يحاكي كل منها معنى الفعل الخاص

بها فالوجس شعور عارض سيزول وينساب تدريجياً لكن الوجل شعور ممتد لا يزول بسرعة كالوجس.

وفي قصة آدم (عليه السلام) استعمل الإمام (عليه السلام) الوجل لان آدم (عليه السلام) بعد ارتكابه ما نهى عنه أصبح لا يعلم مصيره هل يتوب الله عليه أم ينتظر العقاب لذا فهو وجل مترقب فخوفه مستمر في قلبه وإن كان قد زال من صفحات وجهه. وقد قوبلت هذه اللفظة بالجدل لأنه استبدل الوجل بما فيه من ترقب للحساب والمعاقبة بما كان عليه من استقرار الفرح وثبوت تحققه لهم لرضا الله عنه.

المستوى الصرفي

س: ما وزن الخليفة وما دلالتة، وإذا كان آدم (عليه السلام) خليفة لله في أرضه فكيف ساع للخليفة المعصية؟ وما أدرى الملائكة أنه سيفسد في الأرض؟.

الجواب عن هذه الشبهة تعتمد على التفريق بين (الخليفة) الاسم و(الخليفة) الصفة فالخليفة الاسم يصدق على كل إنسان منذ آدم حتى قيام الساعة والتاء فيه للنقل للاسمية كتاء الذبيحة والنطيحة ويجمع على (خلائف) كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]. فالخلائف جمع للاسم (خليفة) وهو اسم يصدق على كل إنسان من ولد آدم كافة ذكورهم وإناثهم برهم وفاجرهم لأن (الخليفة) الاسم يدل في أصل الوضع على كل من يخلف أباه. ولذا تجد الكفر حاضرا في سياق الخلائف لدلالته على عموم الناس كافرهم ومؤمنهم، وتجد التفاضل والابتلاء والثواب والعقاب واضحا في سياقهم كما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[الأنعام: ١٦٥].

وأما الخليفة الصفة فخاص بالمصطفين الأخيار الذي يخلف بعضهم بعضا في ولاية الناس وإمامتهم ويجمع على (خلفاء) كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] والخلفاء للذكور خاصة وهم بعض الخلائف بل صفوتهم المنتخبون من الله تعالى للحكم والرياسة وولاية الأمر ولذا لم يذكر الخلفاء في التعبير القرآني إلا في موضع اصطفاء فئة من الناس بعد هلاك قوم آخرين قبلهم كقوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وهذا الفرق الدلالي يفهم اعتراض الملائكة على (جعل الله خليفة في الأرض) فثمة روايات كثيرة تشير إلى أن الإنسان لم يكن وحده في هذه الأرض فهناك مخلوقات أخرى قبله سكنت الأرض وعاشت فيها فسادا فكان بحسبان الملائكة أن (الإنسان الخليفة) سيكون على شاكلة من كان قبله وهذا ما حصل فعلا فالتعبير القرآني قَسَمَ البشرية منذ الخليفة على صنفين: الغاوين وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس والمخلصين وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء. وفي مشهد آخر منها إنما أنكر الملائكة جعل الخليفة في الأرض لأنهم بحسبانهم أنه جعل أبدي لا ابتلائي فقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٣٠﴾ أي إن الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُؤُا وَعِيبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وعندما يجب الله المضطر ويكشف السوء من الأرض لن تجد فيها إلا الخلفاء لا الخلائف فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] لأن الخلائف جمع للغاوين والمخلصين معا والخلفاء للمخلصين منهم خاصة.

س: استخرج الصيغ المزيده للأفعال، وبين الحروف الزائدة ثم وضح دلالاتها الصرفية؟

ثمة ثلاث صيغ فعلية مزيده هي:

١- (أفعل) وعليها الأفعال:

أ- (أرغد) من رغد عيشه يرغد رَغْدًا من الباب الرابع وهمزته للتعدية. وذكرت المعجمات أن الفعل (رغد) قد يستعمل مع همزة القطع لازما: أرغد القوم: حصلوا في رغد من العيش، وهذا نحو جذب وأجذب، أي فعل وأفعل بمعنى واحد.

ب- (أسكن) مجرده يأتي أمّا لازما كما في ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣] و﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] أو متعديا إلى واحد كما في ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وبالهمزة يصير متعديا إلى اثنين ظاهرا كما في ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٦٨]

١٤] أو تقديرًا كما: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فالتقدير: أسكنت ذريتي واديا غير ذي زرع.

ج - (آمن): مجردة آمن يأمن من الباب الرابع أمانا فهو آمن، وآمنه غيره فالهمزة للتعدية أيضا والمصدر الإيذان كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]

د - (أهبط): من هبط الحجر يهبط على الباب الثاني بمعنى انحدر والهمزة للتعدية.

٢: (فعل) وعليها لفظتان:

أ - (حذره): مجردة حذر يحذر من الباب الرابع وهو متعد إلى واحد كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩] و﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. والتضعيف أفاد التعدية إلى المفعول الثاني كما في ﴿وَيُحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ب - (لقاه): من المجرد لقيه لقاء ولقى وهو متعد بنفسه كما في ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] والتضعيف يفيد التعدية إلى المفعول الثاني كما في ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

٣: (افتعل) وعليها (اغتره) وهو مزيد بالهمزة والتاء، ويفيد المبالغة في إصابة الغرّة، والمجرد غررت فلانا على الباب الأول إذا أصبت غرته ونلت منه ما أريده غرًّا، فهذا الاشتقاق مثل دماغه إذا أصاب دماغه وجلده إذا أصاب جلده، وبطنه إذا أصاب بطنه. والأصل في هذا الفعل غرّة الفرس وهو بياض في جبهته يمتاز

به عن غيره، يقال: فرس أغرّ، وانتقل بهذه الخصيصة إلى إرادة الفخر والتباهي والاعتزاز بما يميّز الشخص عن غيره. ومعنى ﴿لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦] أي: لا يصيب حسن حالهم مواضع الغرّة فيك فإنك عزيز وما هم فيه إلى زوال. وغرّه إبليس أي أصاب غرّته وهي موضع الزهو والكبرياء بعد ما لقي من الحفاوة والإكرام، فأراد إبليس أن ينفذ إلى آدم من محلّ التكريم هذا ليكذب عليه ويحمله على المعاصي. وإنّما عبّر بصيغة الافتعال عن ذلك؛ لأنّ إبليس بالغ في ذلك لما أقسم بالذات الإلهية كذبا ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فهذا اغترار أبلغ من الغرّ والغرور معاً لأنّه تكلف فيه الكذب على الله تعالى.

٤: (استفعل)؛ بزيادة الهمزة والسين والتاء وعليها (استبدل) بزيادة الهمزة والسين والتاء، ويفيد الجعل، أي جعل شيء مكان آخر على سبيل العوض فتطرح الأول وتأخذ الثاني وتقرن الباء بالمطروح كما في ﴿قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] أي يستبدل بكم قوماً غيركم. وكذا (تفعّل) يفيد العوض على سبيل التدرّج كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا أَلْيَامَ أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] فتكون الباء داخله على الشيء المطروح وهذا مما يغلط فيه كثير من المنشئين فيدخلون الباء على المأخوذ فينقلب المعنى.

س: زن الألفاظ الآتية وزناً صرفياً محكماً وبين دلالتها الصرفية؟

- (محلّته): بزنة (مفعلة) وهي صيغة تستعمل لتكثير الشيء في المكان نحو: المقبرة والمطبعة والمدرسة. ولم يستعمل اسم المكان هنا (محلّ) لأنّ المراد أنّ هذه

الدار (الجنة) هي كلها مهية لآدم فكل موضع فيها هو مكان مخصّص لحلوله، وكأنه مالکها لا أنه محلّ في موضع دون آخر.

- (مقام): بزنة (مفعل) من أقام في المكان إقامة، وهذه الصيغة تصلح أن تكون اسم مكان أو اسم زمان أو مصدرا ميميًا؛ لأنّ طريقة الاشتقاق واحدة، وهي على زنة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر. والسياق هو الذي يعيّن المراد منها. وفي كلامه (عليه السلام) أضيفت الدار - وهي اسم دال على المكان - إلى المقام، فيكون المراد به المصدر الميمي، أي: دار الإقامة، وهي إقامة في مكان معيّن هو الجنة. يقال: قام في المكان قياما، واسم المكان منه مقام بفتح الميم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وأقام في المكان من المزيد بهمزة القطع إقامة واسم المكان (مُقام) بضم الميم كما في ﴿إِنَّمَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

- (المردّ) بزنة (مفعل) من رده يردّه، وهذه الصيغة يشترك فيها الزمان والمكان والمصدر الميميّ والسياق هنا يعيّن دلالتها على المصدر لأنّها مفعول للوعد الإلهيّ لادم (عليه السلام) بالردّ إلى مكان معين هو الجنة وفي زمان لا يعلمه إلا الله فهو إذن ردّ على هيئة محدّدة في وقت ومكان محددين وهذا ما صرح به التعبير القرآني ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] و ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤].

- (البيّنة): بزنة (فعليلة)، وهي اسم مصدر من الابتلاء، والأصل المجرد بلاه

يلوه: جَرَّبَهُ واختبره، ومعنى البليَّة: ما يُبتلى به من خير أو شرٍّ ﴿وَلَبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

- (ذَرِيَّة): اختلفوا في وزنها على وفق الاختلاف في اشتقاقها، على ثلاثة أقوال؛ فقيل: هي مشتقة من الذَّرُّ وهو ما دلَّ على لطافة وانتشار، لذا يقال لصغار النمل: الذَّرُّ لصغر حجمها وكثرتها، والواحدة ذرَّة، وذرَّت الأرض البقل تذرّه من الباب الأول: أنبتته صغيراً منتشراً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فيكون وزنها (فعلية) على النسب مثل قمرية. وقيل: إنها مشتقة من الذَّرء، وهو البذر والزرع، يقال: ذرنا الأرض أي: بذرناها، وذرأ الله الخلق يذرأهم أي: خلقهم ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. والذرية لنسل الثقلين، فيكون وزنها (فُعيلة) ثم ترك همزها فصارت كذلك بعد خطوتين (ذريئة - ذرية - ذرية) كما ترك همز برية من برأ على فعيلة. وقيل: إنها من الذرو، وهو تساقط الشيء متفرقا، يقال: ذرت الريح الشيء ذروا: أطارته وأذهبته قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] فيكون وزنها أما على (فُعيلة) وأصلها (ذُريوة) ثم قلبت الواو ياء لسبقها بالسكون واجتماعها مع الياء. أو على (فُعولة) وأصلها (ذرووة) اجتمعت واوان في الطرف فتقلب المتطرفة ياء فتصير (ذُريوة) ثم قلب الواو ياء لأنها ساكنة وبعدها ياء. والراجع الأول لسماح (عالم الذرّ) فهي منسوبة إلى (الذر) وضم الذال من تغيير النسب.

- (عدوّة) بزنة (فَعُول)، وهي صيغة مبالغة نحو: صبور وشكور، ويستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ﴿فَاتَمَّ عُدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] و﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عُدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عُدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، وكذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، وذكرت بعض المعجمات قولهم للمؤنث:

(عدوّة الله) يعدّ شاذّاً أو على التشبيه بالضد وهو صديقةٌ. والأظهر أن تكون التاء فيها للنقل إلى الأسماء وليست للتأنيث بمنزلة تاء (الذبيحة) اسم للكباش والشاة معاً. فعدوّة الله اسم للرجل والمرأة. فيجوز أن يقال: فلان عدوّة الله كما يقال: فلان حجة الله وآية الله.

- (عداوة) بزنة (فَعَالَة) من عدا عليه يعدو عداً وِعَدَا وِعَدَاوَة كما في ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

- (نفاسة) بزنة (فَعَالَة) مثل فصاحة وبلاغة، وهي مصدر من الباب الخامس، يقال: نفّس الشيء: صار نفيساً، ويمكن أن يكون من الباب الرابع نفّس عليه الشيء نفاسة: لم يره أهلاً له، ونفس به: ضنّ. والمراد أن إبليس حسد آدم على ما عنده، والحسد تمنّي زوال النعمة من المحسود، والنفاسة تمنّي زوالها من المحسود وصيرورتها إلى الحاسد، فإبليس أراد أن يكون الإكرام له لا لآدم، كأن نفسه كانت تطمع في هذا التشريف الذي لم يحظ به.

المستوى النحوي

س: أعرب لفظة (إبليس) في: (وحذّره إبليس)؟

ذهب بعض الشراح إلى أنّ إبليس هنا منصوب على نزع الخافض^(١)، أي: حذّره من إبليس. والصواب أنّه مفعول به ثان للفعل حذّر المزيد بتضعيف العين. فالفعل المجرد يتعدّى بنفسه إلى المفعول الأوّل كما في ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ويتعدّى إلى الثاني بالتضعيف ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠] ويمكن أن يستعمل معه حرف الجرّ (من) على إرادة جزء المحذّر منه لا كلّه. فلو كان الأصل يحذّرکم من إبليس لفهم أنّ في إبليس ما هو شرّ يجب الحذر منه، وجزء آخر لا يحتاج إلى تحذير.

س: ما نوع (الواو) في عداوته في قوله (عليه السلام): (وحذّره إبليس وعداوته)؟

هذه واو المعية، وإنّما أفردت عن إبليس، أي لم يقل: (وحذّره عداوة إبليس)، للتأكيد على أمر العداوة لأنّها لشدّتها لم يستطع إبليس أن يكتمها، فلم يقبل السجود وبذلك عصى الخالق بسبب تكبره على آدم (عليه السلام) فتوعدّ آدم بالغواية فجاءت ألفاظه دالّة على العداوة من نحو: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧] و﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] و﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] و﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي

(١) ينظر: منهاج البراعة للخواشي ٢ / ٨٨ وفي ظلال نهج البلاغة ١ / ٤٩ .

إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ [الإسراء: ٦٢]

س: ما نوع الباء في (فباع اليقين بشكّه)؟ وفي (واستبدل بالجدل وجملا)؟

في العبارة الأولى هي باء السبب، أي بسبب الشك الذي ارتابه طرح اليقين واختار الشك. أمّا في العبارة الثانية فالباء كما يقول النحويون هي باء العوض. والصواب أمّا باء السبب أيضا والمعنى أنه ترك الجدل لوجل كامن فيه، والعوض مفهوم من الفعل (استبدل)، أي صيرّ الوجل بديلا للجدل، والباء مع الفعل استبدل تدخل على المطروح دائما وهو المفعول به الأول في المعنى.

المستوى المعجمي

س: يفسر الجدل بالفرح حتى قيل في النحو: إنّ المفعول المطلق ينوب عنه مرادفه نحو (أفرح الجدل)، فهل اللفظتان مترادفتان أم بينهما فرق؟

لا يمكن ان يتساوى معنى اللفظتين لاختلاف مادتهما، فالفرح هو انشراح الصدر بلذّة عاجلة، يقال: فرح يفرح فرحا من الباب الرابع فهو فرح، وورد الفرح مذموما في أغلب موارد القرآن عدا آيتين، لأنّه فرح دنيوي كما في ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] و﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمْتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] و﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، فإذا كان الفرح لأمر مرتبط بالدين ونصرته فعند ذلك يكون محمودا ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] و﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤]. والفرح قد يكون بما ليس فيه نفع كفرح الطفل بما يؤذيه من لعبة أو غيرها،

وضدّ الفرح الغمّ بما قد لا يكون ضرّاً له.

أمّا الجذل فهو الفرح الغامر الذي يثبت في النفس، أي لا يكون لذّة عاجلة كما في الفرح، والجذل أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع أو ما عظم من أصول الشجر ولذا فهو راسخ ثابت بخلاف الفرح الذي هو انفعال عارض.

ومّا يستعمل مقاربا لهذين اللفظين في الدلالة على الفرح لفظتا: السرور

والحبور، وثمة فرق واضح بينهما يفهم من الدلالة المعجميّة، فالسرور مأخوذ

من السّر وهو خلاف العلانيّة، فالسرّ هو الحديث المكتوم في النفس، ومنه اشتق

السرور وهو ما ينكتم من الفرح أي إنّ السرور فرح داخليّ من صميم الوجدان

قلبا وعقلا وذلك إنّما يحصل إذا كان الأمر السارّ فيه منفعة حقيقيّة للشخص

المسرور، كما في ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:

١١] و﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ

لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] و﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:

٩] فهذا من أهل الجنة وأمّا من أهل النار ف﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾

[الانشقاق: ١٣]، من حيث اعتقاده لا من حيث حقيقة الأمر ف﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ

يُحْجِرَ﴾ [الانشقاق: ١٤]. وأمّا الحبور فهو من الحبر وهو الأثر المستحسن، حبر

فلان حبرا على الباب الرابع بقي بجلده أثر من قرح، وحبرت الأرض: كثر نباتها،

وثوب حبير: محسّن، وسمّي العالم حبرا لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس

ولأفعاله التي يقتدى بها. فالحبور هو: الفرح الذي تظهر آثاره على صاحبه من

مظاهر النعمة المسيّبة للفرح ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ

يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم. ولذا استعمل

الإمام (عليه السلام) الجذل في وصفه لحال آدم (عليه السلام) في الجنة لان فرحه

بما أعطاه الله تعالى من النعم العظيمة التي أرغدت عيشه كان ماديا ومعنويا، أي نعمة المكان ونعمة مرافقة الأبرار أدّت إلى ثبات الفرحة في داخله وشمولها إياه روحا وبدنا، فكان الجذل هو الأنسب من هذه الألفاظ لبيان حاله. والمحصل من الفرح والجذل معا هو السعادة فهي كالمكافأة بعد السعي لتحصيل الفرح الديني ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨] (١).

س: هل الوجل يعني الخوف بلا تمايز بين اللفظين؟ وضح ذلك مستعينا بالقرينة السياقية في كلام الإمام (عليه السلام).

الخوف هو توقّع مكروه عن أمانة معلومة أو مظنونة، أي أمّا أن يكون المخوف منه ظاهرا للعين نحو خوف العدو، وخوف موسى (عليه السلام) من العصا لما صارت ثعبانا ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] أو خوف من أمر سيقع مستقبلا يقينا أو ظنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] و ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠] و ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] و ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣] ويقابل الخوف الأيمن.

أمّا الوجل فهو أي استشعار الخوف، يقال: وجل يوجل وجلا فهو وجل،

(١) ينظر: الفروق اللغوية ١٦٦، ١٧٤-١٧٥، ٢٧٧.

والمخوف منه غير حاصل حقيقة لا ظاهرا ولا مستقبلا وربما لا يقع، فهو شعور قلبي لا يملأ النفس وإنما يستشعره القلب إذا ترقب أمرا سيئا حصل أو لم يحصل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] و ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٥]، أي: استشعروا مخافة الله وغضبه وإن لم يكن سبحانه غاضبا عليهم، ولكنهم يحذرون غضبه سبحانه وعدم رضاه عنهم في ترقب دائم فلم تطمئن قلوبهم إلى ما قدره من الطاعة وظنوا انهم مقصرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا^(١).

س: ما الفرق اللغوي بين الوهن والضعف؟^(٢).

فرق أبو هلال العسكري بين الوهن والضعف بقوله: ((الفرق بين الوهن والضعف أن الضعف ضد القوة وهو من فعل الله تعالى كما أن القوة من فعل الله تقول خلقه الله ضعيفا أو خلقه قويا وفي القرآن ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] والوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف تقول وهن في الأمر يهن وهنا فهو واهن إذا أخذ فيه أخذ الضعيف ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي لا تفعلوا أفعال الضعفاء وانتم أقوىاء على ما تطلبونه بتذليل الله إياهم لكم))^(٣).

س: ما الفرق بين الهبوط والإنزال؟

الفرق بين الهبوط والنزول: أن الهبوط نزول يعقبه إقامة، ومن ثم قيل هبطنا

(١) ينظر الفروق اللغوية ٢١٨ - ٢١٩، ٢٢٧.

(٢) الفروق اللغوية ٣٣١.

(٣) الفروق اللغوية ٣٣٠.

مكان كذا أي نزلناه ومنه قوله تعالى ﴿أهبطوا مضراً﴾ وقوله تعالى ﴿قلنا أهبطوا منها جميعاً﴾ ومعناه انزلوا في الأرض للإقامة فيها، ولا يقال هبط الأرض إلا إذا استقر فيها ويقال نزل وإن لم يستقر^(١).

المستوى البلاغي

س: في كلامه (عليه السلام) مجاز، بينه واذكر نوعه؟

في قوله (عليه السلام): (داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته) مجاز عقلي، لعلاقة المكان، فالأمن لا ينسب إلى المحل وإنما إلى الحال فيه وهو آدم عليه السلام.

س: في الكلام استعارة، بينها واذكر نوعها؟.

في قوله (عليه السلام): (فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه) إذ شبه الإمام (عليه السلام) عمل آدم (عليه السلام) وارتكابه ما نهى عنه بالتجارة الخاسرة، ثم حذف المشبه به (التجارة) وذكر لازمها وهو البيع، وهذه استعارة مكنية

س: في الكلام اقتباس معنوي من القرآن الكريم، اذكره وبين المراد منه؟

قوله (عليه السلام): (داراً أرغد فيها عيشه) مقتبس عن الجنة إذ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. وقوله (عليه السلام): (ولقاه كلمة رحمته) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ولمعرفة المراد بـ(كلمة ربّه) نعتمد تفسير القرآن بالقرآن ثم بالرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم العقل. فالكلمة تجمع على كلمات، ووردت الكلمة

(١) الفروق اللغوية ٥٥٥.

في القرآن الكريم مراداً بها المسيح (عليه السلام) ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] و﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ﴾ [التحریم: ١٢] فالكلمات غير الكتب التي فيها الكلام وهي شخوص وقد مثل للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. وكان آدم (عليه السلام) قد نُهي عن الأكل من الشجرة، ووصف إبليس هذه الشجرة بأنها شجرة الخلد ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى﴾ [طه: ١٢٠] فالشجرة أصلها ثابت وفرعها عال تحمل كلمات الله، وهم خلفاؤه الذين ارتضاهم لخلقهم والذين أبرز فضلهم على الملائكة لما اعترضوا على استخلاف البشر.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) «أنه سبحانه علّم آدم (عليه السلام) أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾»^(١) [البقرة: ٣١] وواضح أن الإشارة بـ(هؤلاء) تكون للعاقليين ولا تكون للجوامد وغير العاقليين على وفق ما نجد في التفاسير العقلية بأن المراد بالأسماء هي أسماء الطير والوحش والشجر وسائر الجمادات التي كانت ماثلة أمام آدم حينئذ. فالبشارة التي تاب الله بها على آدم هي أنه «سأله بحق محمد وعليّ والحسن والحسين وفاطمة»^(٢).

(١) نور الثقلين ١/ ٥٥.

(٢) نور الثقلين ١/ ٧٤.

المقطع التاسع

اصطفاء الأنبياء من ولد آدم (عليهم السلام)

وهو قوله (عليه السلام): «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمَهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشٍ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُجَلِّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةَ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ».

المعنى العام

في هذا النص يذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) بصورة مجملّة سيرة الأنبياء في أمهم، فيؤكد أنّ دورهم هو الانذار والتبشير لا الإكراه، وأنهم إنّما أرسلوا الهداية البشريّة لما حادت عن فطرة التوحيد، إذ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وفيها يظهر أن الكافرين منكرون الربّ جاحدون به فأنكروا إنزال آية منه على قلب النبيّ تكون على هواهم واعتقادهم ولذا جاءت النصرة للربّ من الرسول والإمام ليكتمل بذلك اتحاد الثلاث الإيماني في الوقوف صفا واحدا بوجه الكافرين، فقد تضافر النقل عن النبيّ الأكرم في كتب التفسير أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فسّر الهادي بأنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبهذا صرح الطبري الذي نقل عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وضع صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وأوماً بيده إلى منكب عليّ، فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي^(١). وهذا ما استدركه الحاكم على الصحيحين فروى بإسناده «عن علي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علي: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر وأنا الهادي، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»^(٢). ورواه آخرون منهم المتقي الهندي في كنز العمال والسيوطي في الدر المنثور.

وكذا تضافر النقل عن أنّ أمير المؤمنين فسّر الهادي برجل من بني هاشم وهذا من باب التواضع لله والنفور عن الزهو والحديث في المفاخر فكنتي أمير

(١) جامع البيان ١٦/٣٥٧.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٤٠ ح ٤٦٤٦.

المؤمنين عن نفسه برجل من بني هاشم وهو ظاهر في قول أحمد بن حنبل في مسنده ((عن عبد خير عن علي في قوله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنذِرُ وَالْهَادِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))^(١).

ويبين (عليه السلام) أن الأنبياء هم خلفاء الله في الأرض وحججه على خلقه، فليس لمخلوق أن يتعدّر بعدم التذكير مع إرسال الأنبياء مؤيدين بالمعجزات. ولما كانوا حجة فلا بدّ من عصمتهم، وأشار الأمام (عليه السلام) إلى ذلك بلفظة الاصطفاء. وأشار (عليه السلام) إلى كثرة الرسل والأنبياء وعدم أخلاء الأرض منهم، وإن حصل فتور زمني فلا بدّ من إعادة الإنذار للأمم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ووردت الروايات بأنّ عدد الأنبياء هو مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، لم يذكر القرآن منهم غير أربعة وعشرين، وكلّهم بعثوا لأهل الجزيرة العربية والشام. قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سأله أبو ذر (رضوان الله عليه) عن عدد النبيين: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، فقال أبو ذر: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمئة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً»^(٢). والملاحظ أنّ كلّ نبي يبعث بالنبي بعده وفي هذا دليل على وجودهم النوراني السابق على خلق الكون، وإشارة إلى إتهم كلمات الله تعالى التي تمت بالنبوة الخاتمة.

(١) مسند أحمد ٢/٣٠٦ ح ١٠٤١.

(٢) نور الثقلين ٣/٥١٣.

المستوى الصرفي

س: استخرج صيغ الأفعال المزيدة، وبيّن دلالة أحرف الزيادة فيها؟

١- (افتعل): مزيد بالهمزة والتاء، وعليه الألفاظ الآتية:

أ- اصطفى: الزيادة فيه تفيد معنى الاتّخاذ، أي اتّخذه الصفوة، فالمجرد هو صفا الشيء يصفو صفاء، أي: خلص من الشوب وهو نقيض الكدر، وصفاه: جعله صافيا، وصفوة الشيء: ما صفا منه، والاصطفاء: تناول صفو الشيء كما أنّ الاختيار: تناول الخير. ثمّ يتّجه هذا المعنى في مسارات معيّنة حسب حرف الجرّ، فاصطفى (من)، بمعنى اتّخذ الصفوة من بين مجموعة، بملاحظة حرف الجرّ (من) الدال على بيان الجنس فهو انتقاء. واصطفى (على) معناه اتّخاذ يلحظ فيه الاستعلاء، وهو تمييز المصطفى على غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

ب- اتّخذوا: الزيادة فيه تفيد الدلالة على التعدية إلى المفعول الثاني، فالمجرّد: أخذ الشيء يأخذه أخذا وهو حوز الشيء وتحصيله، ويعدّى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. وثمة اختلاف بين المعجمين في مشتقات (الاتّخاذ)، فمنهم من يرى أنّه مشتقّ من الأخذ، بالهمزة وأبدلت تاءً على غير قياس في افتعل، ومنهم من يرى أنّه من (تخذ) بالمعنى نفسه على الباب الرابع تتخذ يتخذ بمعنى أخذ.

ج- اقتطعتهم: تفيد الزيادة فيه معنى الاتّخاذ، يقال: قطع الشيء يقطعه قطعاً من الباب الثالث، وقطّعه: إذا أكثر تقطيعه، وأقطعه قطيعة، أي: طائفة من أرض

الخراج. واقتطع من الشيء قطعة بالكسر. والمعنى في النص اتخاذ الشياطين قطعة من الناس ليغرّوهم ويُبعدوهم عن الله تعالى.

د- احتجّوا: تفيد الزيادة الإظهار، أي: يظهروا الحجّة عليهم، من: حجّ يحجّ على الباب الأوّل حجّاً فهو حاجّ، والحجّ بالفتح مطلق القصد للزيارة ثمّ خصّ في الشرع بحجّ بيت الله الحرام، والحجّة بالضمّ: الدلالة المبيّنة، أي: البرهان سمّيت حجّة لآثمه بها يقصد الحقّ ويطلب.

٢- (فعل): بتضعيف العين، وعليه الألفاظ الآتية:

أ- بدّل: وتفيد الزيادة فيه الجعل، أي: جعل شيء مكان آخر، يقال: بدّل بيدّل تبديلاً قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقد يقال: (بدّل) للتغيير مطلقاً وإن لم يأت ببدله، وهذا الفعل لم يرد له فعل مجرد مستعمل.

ب- يذكروهم: التضعيف للتعدية إلى المفعول الثاني ظاهراً أو مقدرًا فضلاً عن المبالغة، فالمجرد (ذكره يذكره) من الباب الأوّل متعد لواحد وبالتضعيف يعدّى للثاني صريحاً كما في قول الإمام السابق، ومقترنا بباء الاستعانة والواسطة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

ج- لا تُقصرّ بهم قلة عددهم. الفعل (تقصرّ) مضارع (قصر) والتضعيف يفيد إظهار الشيء والمعنى إن الرسل لم يظهروا القصور والفتور.

د- سمّي في (سابق سمّي له من بعده)، المجرد (سما يسمو سموًا) ومنه اشتق (الاسم) والتضعيف يفيد معنى إظهار الاسم أي إن النبي السابق يُظهر اسم النبي اللاحق.

هـ- عرّفه: يدلّ على التعدية إلى المفعول الثاني، يقال في المجرّد: عرفت كذا أعرّفه من الباب الثاني كما في ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وفي المزيد بالتضعيف يقال: عرّفه كذا، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيِّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَئِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحرّيم: ٣] لم يذكر المفعول الأول: والتقدير (عرف النبيّ أزواجه بعض الحديث).

٣- فاعل: مزيد بالألف، وعليه لفظة واحدة هي (واتر) والزيادة فيها تفيد الجعل، أي: جعل بعث الأنبياء متواترا أي متتابعا، بين كلّ نبين فترة قصيرة أو طويلة. المواتر ما عليه من الصوم، أي: أتى به وترا، فصام يوما وأفطر يوما أو يومين، وهو من قولهم: ناقة مواترة: تضع ركبها ثمّ تمكث ثمّ تضع الأخرى. والوتر: الفرد وهو خلاف الشفع، وقول الإمام هذا أصله من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤] أي: واحدا بعد واحد، أي: متتابعين في الإرسال بلا مواصلة أو مداركة بل بين كلّ نبين فترة أي إنّ الناس لم يتركوا مطلقا. وقد يكون معنى (واتر) على أصله في المشاركة، فيكون المعنى إن كلّ نبي كان وترا في زمانه يشفع بثانٍ استتاهم للحجة كما في (إبراهيم ولوط) و(موسى وهارون) و(عيسى ويحيى) و(يعقوب ويوسف) عليهما السلام لكن الإمامة لا تكون إلا لأحدهما فإبراهيم هو الإمام على لوط ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] ويوسف كان هو الإمام على أبيه فأسجد الله تعالى الأب

للابن وموسى هو الإمام على هارون والمحصل من هذا إن في كل زمان يظهر نبيّ يكون موآترا آخر.

٤- أفعال: بزيادة همزة القطع، ووردت عليه الألفاظ الآتية:

أ- يُثيروا، مضارع (أثار)، ويفيد التعدية، من ثار الغبار والسحاب ونحوهما يشور ثورا وثورانا: انتشر ساطعا، وقد أثرته ﴿اللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨] وهنا تعدّى الفعل ثار بالهمزة ليصل إلى المفعول الثاني وهو (دفائن).

ب- يُرُوهُمُ آياتِ الْمُقَدَّرَةِ، مضارع (أروهم)، والمجرد (رأى يرى) متعد إلى واحد وهمزة القطع تفيد التعدية إلى المفعول الثاني، والأصل: رأى الناس الآيات، وبعد زيادة الهمزة صار التقدير: أرى الأنبياء الناس الآيات. والفعل رأى يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كانت الرؤية بالعين، ويتعدّى إلى مفعولين إذا كانت الرؤية بمعنى العلم، وهنا المراد رؤية العين؛ لأنّ السقف والمهاد وغيرهما ممّا يرى بالعين، والمراد أنهم يحملوهم على النظر لهذه العلامات بدقّة ليتفكّروا بها والآ فهي أمامهم.

ج- تُحْيِيهِمْ، مضارع أحييت، وتفيد همزة القطع التعدية إلى المفعول لأنّ مجرد هذا الفعل لازم: حيّي يحيا. وأكثر ما يأتي الماضي مضعفا (حيّ) ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢] وهو من الباب الرابع، ويتعدى بالهمزة إلى المفعول كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

د- تُفنيهم: مضارع من أفنى، وتفيد همزة القطع التعديّة إلى المفعول لأن المجرد (فني الشيء يفنى فناء) لازم على الباب الرابع.

هـ- تُهرمهم: مضارع أهرمتهم، وتفيد همزة القطع التعديّة، لان المجرد (هرم يهرم هرما) لازم وهو من الباب الرابع.

و- لم يُخْلِ، مضارع (أخلى) والمجرد (خلا يخلو) ورد لازما والهمزة للتعديّة.

س: / زن الألفاظ الآتية وزنا صرفياً محكما، ويبيّن دلالتهما الصرفيّة؟

١- منسيّ، بزنة مفعول، والأصل (منسوي) فقلبت الواو ياء لاجتماعها وسبق إحداهما بالسكون الأصلي.

٢- مكذّبين: بزنة (مفعّلين) اسم فاعل من كذّب فهو مكذّب وهم مكذّبون، على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر، لمن قاموا بتكذيب الرسل من الخلق.

٣- أماناتهم: جمع أمانة بزنة (فَعَالَة) وهي مصدر من أَمِنَ يَأْمَنُ أَمْنًا. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، أي: ما أوْتَمْتُمْ عليه. وهي هنا اسم لمقابلتها الميثاق وهو اسم لما يوثق.

٤- حُجَّة: بزنة (فَعْلَة)، والدلالة الصرفيّة لفُعْلَة بالضمّ هي تركّز الشيء في الموضع، أي: موضع الحدث، نحو: الصُّلعة لموضع الصلح، والقُدرة لما يتجلّى من مقدرة الخالق أمام البشر، والحُجّة لما يتركّز القصد فيه، وهو من حجّ يحجّ حجًّا من الباب الأوّل، وهو مطلق القصد، وسمّيت الحجّة؛ لأنّها تقصد أو بها يقصد الحقّ المطلوب، لذا تصدق هذه اللفظة ببنائها الصّرفيّ على التّبّي؛ لأنّه يقصد لبيان

الحقّ والطريق إلى الله وكذلك الكتاب لأن آياته يقصد بها الحقّ، وقد ذكرها في أوّل كلامه (عليه السلام)، لذا لا يمكن ان يكون المراد بالحجّة هنا العقل أو ما يخلفه النبيّ بعده من وصيٍّ لأنّه يقيم الحجّة على الناس بعد الرسول فيخلفه في ذلك. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الحكمة (١٤٧): «لا تخلو الأرض من قائم بحجّة أما ظاهراً مشهوراً وأما خائفاً مغموراً». وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: يا هشام إنّ الله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول. والعقل لا يراد هنا لأنّه سابق فيهم بالخلق والإيجاد فالحجّة هنا ظاهرة لا باطنة.

٥- محجّة: بزنة (مفعلة)، وهو اسم يستعمل للدلالة على تكثير الشيء في المكان، نحو: المأسدة والمقبرة وهو المكان المخصّص للقبر. والمحجّة يراد بها المكان المخصّص للسير المستقيم. وهي جادة الطريق والمنهاج الواضح.

٦- مهاد: بزنة (فعال)، اسم مصدر من مهد يمهد من الباب الثالث والمصدر المهّد وورد المهّد والمهاد وصفين للأرض كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]. و﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا﴾ [النبأ: ٦] والفرق بينهما أن المهّد في الأصل مصدر يدلّ على الحدث المجرد بمعنى الراحة العامة والاستقرار المطلق أما المهاد فهو المكان الممهّد الموطأ، وهو أشبه بالآلة الدالة على الاشتغال والإحاطة كالحزام والنطاق وهو أخصّ من المهّد.

٧- آيات: بزنة (فعلات) بفتحيتين جمع آية بزنة (فعلّة) بفتحيتين من أيّ، لأنّها هي التي تبين أيّ من أيّ، فتكون مشتقة من التأيي وهو التثبيت والإقامة على الشيء، يقال: تأي، أي: ترفّق وتثبت. ووزن آية على فعلّة وأصلها (أبيّة) حصل فيه إعلال للعين إذ تحرّكت (الياء) وسبقت بفتح فقلبت ألفاً. وإنّما لم تقلب اللام

(الياء الثانية) وفقا لقواعد الصرفيين في إن القياس فيما اجتمع فيه حرفا علة أن يصحّ الأوّل ويعلّ الثاني لأنّ هذه اللفظة ليس لها فعل تجري عليه في الاعلال المقيس فهي ليست كلفظة حياة التي أعلّت لامها لا عينها لأنّ لها فعل تجري عليه وهو من الباب الرابع. وهذا الوزن ليس مجمعا عليه فثمة خلاف كبير في وزن (آية) آثرنا الإعراض عنه وانتقاء الرأي الراجح فيها.

س: استخرج صيغ جموع التكسير من النّصّ، مع ذكر أمثلة الجمع والقاعدة الصرفية؟

المستوى النحويّ

س: ما الدلالة النّحويّة للأدوات:

أ- (لما) في قوله (عليه السلام): لما بدّل أكثر خلقه؟

لما ظرف زمان مبنيّ على السكون بمعنى حين أو إذ، لأنّها دخلت على الماضي. وتخصّص بالإضافة إلى الجمل، وتقتضي جملتين عند وجود الأولى توجد الثانية، والتقدير: لما بدّل أكثر خلقه عهد الله اصطفى من ولده أنبياء، والعامل فيها الجواب المقدم.

ب- (أو) في قوله (عليه السلام): «وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ؟»

(أو) تفيد التخيير مع دلالتها على منع الخلوّ، ومن الشراح من ذهب إلى أنّها بمعنى الواو، والصّواب ألا يدلّ الحرف إلّا على ما وضع له، وإنّما قالوا بذلك بلحاظ أنّ من الأنبياء من أرسلوا ومعهم الكتاب والحجة مجتمعين، ولذا فإنّ (أو) تفيد التخيير مع منع الخلوّ، فمن الأنبياء من اجتمع معهم الكتاب والحجة،

ومنهم من أرسلوا من دونهما.

(من) في قوله (عليه السلام): من سابق؟

(من) بيانية في قوله (عليه السلام): (من سابق)؛ لأنها تبين وتفصّل الرسل المتقدّم الكلام عنهم إجمالاً.

د- (من) في قوله (عليه السلام): (سُمّي له من بعده)؟

(من) هنا اسم موصول، وهو نائب فاعل للفعل (سُمّي)، و(بعده) ظرف مبنيّ مضاف وهو صلة للاسم الموصول من.

س: رويت لفظة (مرفوع) في قوله (عليه السلام): (من سقّف فوقهم مرفوع) بالرفع والجرّ، فما إعرابها في الروايتين؟

لفظة مرفوع بالجرّ تعرب صفة للسقّف، وبرواية الرفع تعرب مبتدأ خبره الظرف (فوقهم)، وجملة (من فوقهم) في محل رفع صفة للسقّف.

س: ما نوع الإضافة في: منسيّ نعمته، آيات المقدره، دفائن العقول، ميثاق فطرته، عهد الله؟

١- الإضافة في منسيّ نعمته من نوع إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: النعمة المنسيّة.

٢- الإضافة في آيات المقدره من نوع إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: الآيات القديرة.

٣- الإضافة في دفائن العقول بمعنى اللام، أي: الدفائن للعقول.

٤- الإضافة في ميثاق فطرته بمعنى اللام، أي: ميثاق للفطرة. والميثاق هو

تأكيد للعهد، وميثاق الفطرة هو إشارة إلى آية الذرّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

٥-الإضافة في عهد الله بمعنى اللام، أي: عهد الله تعالى، وقد اختلف المفسرون في المراد بالعهد، فمنهم من ذكر أن المراد به جعلهم عقلاء يسمعون خطاب الله ويفهمونه ويشهدون بوجوب عبادته، وهذا التفسير لا يعدّ عهداً وإنّما هو تقرير لكيفية خلق الله تعالى الناس وتمييزهم بالعقل والقدرة على الفهم على سائر الخلق. أمّا العهد فقد فسّر في روايات أهل البيت عليهم السلام بأنه إشهاد الخلق على أن الله هو الرّبّ، وأنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسوله وأنّ عليّاً (عليه السلام) أمير المؤمنين، إذ إنّ سبحانه لما أراد «أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله ص، وأمير المؤمنين، والأئمة عليهم السلام، فقالوا: أنت ربنا، فحمّلهم العلم والدين ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقرّوا الله بالربوبية وهؤلاء النّفر بالولاية والطاعة، فقالوا: ربنا أقرنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا، فقال الملائكة شهدنا، قال عليّ: أن تقولوا غدا: انا كنا عن هذا غافلين، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذرّ ولم يؤمن بقلبه فقال الله: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]»^(١).

س ٤: أسلوب الحذف من الأساليب النحويّة، وسماه ابن جنّي بشجاعة العربيّة، بيّن مواضع الحذف في كلامه عليه السلام، والحكمة من عدم الذكر؟

ورد الحذف في المواضع الآتية:

١- حذف المبتدأ في قوله (عليه السلام): (ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل... رسل لا تقصّر بهم)، فلفظة (رسل) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم رسل، أو: أتمهم رسل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة. وإنما لم يذكر المبتدأ ظاهراً لتقدم الكلام عنه فأغنى ذكره عن إعادته هنا.

٢- حذف متعلق الفعل تقصّر في قوله (عليه السلام): (رسل لا تقصّر بهم قلة عددهم... من سابق)، إذ التقدير: لا تقصّر بهم قلة عددهم عن أداء التبليغ على وجهه وأداء الرسالة. وإنما أغنى مدح الرسل وتقدم فضلهم في هداية الناس عن ذكر المتعلق.

٣- حذف المتعلق في قوله (عليه السلام): (أخذ على الوحي ميثاقهم)، أي: على أداء الوحي، وإنما ترك المتعلق للتوسّع أو لوضوح المعنى، ويُقدّر بإيصاله، إتمامه، إسماعه.

وأسلوب الحذف يتوخى به الإيجاز إذا كان في الكلام ما يغني عن المحذوف ولا يكون الحذف له محلاً بالمعنى، بل يراد به نفي التكرار المملّ مادام المعنى واضحاً في الأذهان.

س ٥ / أعرب: سبحانه، ليستأدوهم؟

- سبحانه: نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف تقديره: أسبح الله سبحانه.

- ليستأدوهم: اللام للتعليل، ويستأدوهم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، أي: لأن يستأدوهم، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير رفع الفاعل، والهاء في محل نصب مفعول به، والميم للجماعة. وإنما قدرت

أن المصدرية؛ لأن المعنى فيه تعليل، أي: لماذا بعث الله الرسل، فكان التعليل مفهوماً من حذف أن المصدرية.

المستوى المعجمي

س: يشبه المحدثون ألفاظ اللغة بالكائن الحيّ في دوام التغيير، وذكروا لهذا التغيير اتجاهات مختلفة، ومنها ما حصل من تغيير للفظ (ولد) الواردة في قوله (عليه السلام): (واصطفى من ولده أنبياء) بيّن نوع التطور الدلالي الحاصل لهذه اللفظة بين القديم والحديث؟

من تتبع التاريخي لهذه اللفظة نرى حصول تطوّر دلاليّ لها نحو التخصيص، إذ إنّ دلالة الولد في السابق تنصرف إلى المفرد والجمع والمذكر والمؤنث الابن والابنة، والصغير والكبير ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١]، والوليد للصغير بزنة فعيل، والوليدة للصبيّة بزنة فعيلة. على حين تذكر المعجمات المتأخّرة أنّ الولد هو الابن فقط وهو المعنى المفهوم في هذا العصر.

س: / عرّف التضاد، وبيّن دلالة لفظه (الغابر) في قوله (عليه السلام): (رسلاً لا تقصر بهم... من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّف به من قبله)؟

التضاد هو أن يدلّ اللفظ الواحد على المعنى وضده، والتضاد نوع من المشترك اللفظي، إذ إنّ المشترك أعمّ من التضاد؛ لأنّه يمثّل الاختلاف في معاني اللفظة نحو العين فهي للجراحة والماء والجناسوس. والتضاد يمثّل التناقض بين معنيي اللفظة نحو: الجون الدالّ على البياض والسواد. ومن علماء العربية من أنكروا التضاد؛ لأنّه يوقع الإيهام، إذ يتنافى مع وظيفة اللغة في تحقيق التفاهم إذا دلّ اللفظ على المعنى وضده في الوقت نفسه، ومنهم من ضيق مجاله في ألفاظ قليلة لم يكن تضادها من أصل الوضع بل حصل بأسباب مختلفة، منها: تداخل اللهجات

أو الاستعمال المجازي أو عموم المعنى الأصلي للفظه. ولفظة الغابر من الألفاظ المتضادة إذ تدلّ على الماضي والباقي، وهي هنا تدلّ على الباقي لذكر السابق قبلها (من سابق سمّي له من بعده).

ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم نعتاً للمتخلفين عن نوح ولوط (عليه السلام) ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣] ففسّرت بالباقي تارة والماضين أخرى. وأفضل ما قيل في تعليل هذه اللفظة هو ارجاع التضاد فيها إلى المعنى العام للغابر، الذي يفيد (الماكث بعد مضي من هو معه) وهو مأخوذ من الغبار، وهو ما يبقى من التراب المثار وإنما قيل للماضي غابر تصوّراً بمضي الغبار عن الأرض، وقيل للباقي غابر تصوّراً بتخلّف الغبار عن الذي يعدو فيخلفه.

وقد وردت الأحاديث الدالة على أنّ الأنبياء السابقين سمّوا نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) باسمه فعن أبي جعفر الباقر (عليهما السلام) كما في روضة الكافي أنه قال: «لما نزلت التوراة على موسى بشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان بين موسى ويوسف أنبياء، وكان وصي موسى بن عمران يوشع بن نون (عليه السلام) وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه، فلم نزل الأنبياء تبشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشّر بمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك قوله تعالى: (يحدونه)^(١)، يعني اليهود والنصارى، مكتوباً، يعني صفة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عندهم

(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهو قول الله عز وجل
 يخبر عن عيسى: ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، وبشّر موسى وعيسى
 عليهما السلام بمحمد كما بشّر الأنبياء صلوات الله عليهم بعضهم ببعض»^(١).

س: ذكر الإمام (عليه السلام) في هذا النصّ الرسل والأنبياء فما الفرق بينهما؟

كان أبو هلال العسكري قد فرّق بينهما بأن قال: «الفرق بين الرّسول والنّبيّ
 أنّ النّبيّ لا يكون إلّا صاحب معجزة وقد يكون الرّسول رَسولاً لغير الله تعالى
 فلا يكون صاحب معجزة والإنباء عن الشّيء قد يكون من غير تحميل النبأ،
 والإرسال لا يكون إلا بتحمل. والنبوة يغلب عليها الإضافة إلى النّبيّ فيقال نبوة
 النّبيّ لأنّه يستحقّ منها الصّفة التي هي على طريقة الفاعل والرسالة تُضاف إلى
 الله لأنّه المرسل بها وهنّذا قال برسالاتي ولم يقل بنبوتي والرسالة جملة من البيان
 يحملها القائم بها ليؤدّيها إلى غيره والنبوة تكليف القيام بالرسالة فيجوز إبلاغ
 الرسالات ولا يجوز إبلاغ النبوات»^(٢).

س: لم استعمل الفعل (بعث) دون (أرسل) في قوله (عليه السلام): «فبعث
 فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه». الفرق بين البعث والارسال هو إن البعث يلحظ
 فيه إشارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثت البعير: أثرته وسيرته، أو بعث الموتى:
 إخراجهم وتسييرهم إلى القيامة، وبعثه من منامه: أيقظه، على حين يلاحظ في
 الارسال اللين والتابع كما ذكرنا آنفاً كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
 رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] إذ يفهم منه أنّ المراد من
 الرسول المواجهة وإثارة العقول وتحدي الكافرين للفت انتباههم نحو الفطرة

(١) الكافي ١/ ٢٩٣.

(٢) الفروق اللغوية ٢٨٩.

السليمة، أمّا الإرسال بلا بعث فهو للتبشير والانداز دون المواجهة والتحدّي. وهذا حاصل كلام أبي هلال العسكري: ((الفرق بين البعث والإرسال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول بعثته ولا تقول أرسلته لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها))^(١).

المستوى البلاغي

س: أسلوب التقديم والتأخير من فنون علم البيان لأنه يراعي حالة المخاطب، بين مواضع التقديم والتأخير في النصّ المتقدّم، والغرض من التقديم فيها؟

نلاحظ في النصّ تقديم الجارّ والمجرور كثيرا، من ذلك

١- تقديم (من ولده) على المفعول به (أنبياء) في قوله (عليه السلام): (واصطفى سبحانه من ولده أنبياء) إذ الأصل في التركيب (اصطفى أنبياء من ولده). وفائدة التقديم هنا للتأكيد على أن الأنبياء كلّهم من نسل آدم (عليه السلام) مصداقا لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

٢- تقديم الجارّ والمجرور (على الوحي) على المفعول به في قوله (عليه السلام): (أخذ على الوحي ميثاقهم)، إذ الترتيب الأصلي هو (أخذ ميثاقهم على الوحي) وفائدة تقديم الوحي هي بيان أهميته، والميثاق تحصيل حاصل. وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وليس ثمة تكرار بين الجملتين (أخذ على الوحي ميثاقهم)، و(على تبليغ

(١) نفسه.

... المقطع التاسع: اصطفاء الأنبياء من ولد آدم (عليهم السلام) ...

الرسالة أمانتهم)، إذ الوحي أعمّ من الرسالة، لأن الرسالة تعني الكتاب المنزّل، والوحي يشمل كلّ ما يوحى من كتاب أو غيره، فهو الكتاب والإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفيّ، واجتمع الوحي والقرآن ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فأريد به مطلق ما يوحى.

س: في (على ذلك نسلت القرون) استعارة بين نوعها؟

س: في المقطع طباق، استخراج، وبين نوعه؟

المقطع العاشر: مبعث النبي (صلى الله عليه وآله)

وهو قوله (عليه السلام): «إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ وَتَمَامِ نُبُوتِهِ، مَاخُذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سِنَانُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مَلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبَّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ. ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِحَمْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلُوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا».

المعنى العام

رُوى عن أمير المؤمنين عليه السّلام وابن عبّاس وقتادة أنّ الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يخبروا أممهم بمبعثه ورفعته، ويبشّروهم به ويأمرهم بتصديقه. وروي عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده إلّا أخذ عليه العهد؛ لئن بعث الله محمّدا وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه^(١). وقال الصادق عليه السّلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ كان الميثاق مأخوذا عليهم بالرّبوبيّة ولرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السّلام بالإمامة فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمّد نبىكم وعليّ إمامكم والأئمة الهادون أممكم؟ فقالوا: بلى، فقال الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي لثلاث تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فأول ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء بالرّبوبيّة وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسمي فقال: ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمّد فقدّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه أفضلهم ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضلهم، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأنبياء بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿لَتَأْمُنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السّلام تخبروا أممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمة^(٢).

(١) مجمع البيان ١/٢٢٥.

(٢) ينظر: تفسير القمي ١/٢٦-٢٧ ومجمع البيان ١/٢٢٦-٢٢٧.

ولما بلغ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسالة وأدى الأمانة وأكمل الدين وأتمّ النعمة وهدى الأمة من الضلالة وأنقذها من الجهالة اختار الله (سبحانه) عند ذلك لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لقاءه، ورضى له ما عنده مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فأكرمه وأعزّه عن اللبث والبقاء في دار الدنيا، ورغب به وصرفه عن اقامة مقام المحنة والبلوى فقبضه إليه أي قربه الروحاني حال كونه كريما شريفا (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان قبضه (صلى الله عليه وآله وسلم) لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول يوم الاثنين، وهو ابن ثلاث وستين سنة على ما في الكافي، والأشهر أنه لليلتين بقيتا من صفر^(١).

المستوى الصوتي

س: رأى الصرْفِيّون أن (العدة والسمة) ونحوهما أصلهما (الوعد) و(الوسم) وحذفت الواو وعوضت بتاء في الآخر فصار الوزن (عِلّة)^(٢)، هل ترى هذا القول صائبا في ضوء نتائج علم اللغة الحيث؟

ليس هذا صحيحا لسببين أولهما إنّ الحذف والتعويض يكون بين كلمتين أو لاهما مهملة لثقل النطق بها وأخرى مستعملة لسهولة نطقها، وكلّ من (الوعد والعدة) مستعملان في كلام العرب فلا يُدعى أن أحدهما عوض من الأخرى والثاني إنّ الدلالة الصرفية تختلف بين الوعد والعدة فالوعد مصدر يدلّ على حدث مجرد غير مقترن بزمن ولا مكان والعدة تدل على حالة الوعد وهيأته وكذا الزنة والصفة والسمة فكل هذه أصلها على وزن (فعللة) وهي مصدر هيئة ولما كانت الواو مكسورة في أولها ثقل نطقها ابتداء فعمدوا إلى حذفها مع كسرتها

(١) ينظر: مجمع البيان ٢ / ١٩٠.

(٢) المنصف ١ / ١٨٤ والممتع ١ / ٢٨٣.

فصار الوزن (علة) وهذا ما يقره علم اللغة الحديث أما تفسير القدماء فيأباه المستوى الصوتي لعدم وجود علة موجبة لحذف الواو المفتوحة في بداية هذه الكلمات ولو كان ما قالوه صحيحاً لجرى حذف الواو المفتوحة في كلام العرب قياساً وهذا غير محصل.

المستوى الصرفي

س: استخرج المشتقات وبيّن أنواعها واذكر أوزانها وأفعالها.

س: استخرج المصادر واذكر أوزانها وأفعالها.

س: زن الجموع الواردة في المقطع واذكر مفرداتها.

المستوى النحوي

س: ما إعراب (سبحان الله)

مفعول مطلق لفعل محذوف تقدير (أسبح) منصوب بالفتحة.

س: علام يعود الضمير (الهاء) في (عدته، نبوته)، وكيف تقدر المعنى؟

الضمير في عدته ونبوته يعود إلى الله سبحانه، والمعنى انه تعالى كان قد وعد، وأنبأ على لسان أنبيائه السابقين أن يبعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد بعثه إنجازاً لوعده، وإتماماً لما أنبأ به. قال الشيخ محمد عبده: ((إن الله أنبأ بمحمد، فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوءة، ولما كان الله هو المخبر أضيفت النبوءة إليه)). وقد حكى التعبير القرآني عن عيسى (عليه السلام) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وخاطب قوم عيسى وموسى عليهما السلام بشأن محمد (صلى الله

عليه وآله وسلم) فقال: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال أبو طالب (عليه السلام):

ألم تعلموا أننا وجدنا محمدا رسولا كموسى خطّ في أول الكتب

س: ذكر أغلب الشراح أن (أو) في قوله (عليه السلام): «بين مشبهه الله بخلقه أو ملحد في اسمه» بمعنى الواو، فماذا تقرر بشأن هذه النيابة الحرفية؟

يبدو أن الملجئ لهذا القول هو أن الظرف (بين) يستدعي العطف بالواو فيقال: جلست بين زيد وخالد ولكن معنى عبارة الإمام يستدعي التعدد في تصنيف أهل الأرض وأتهم منقسمون على أهواء متعددة وملل متفرقة فالمشبه لله بخلقه يختلف عن الملحد في اسم الله ولو كانت أو بمعنى الواو لكن المشبه لله يجمع صفة أخرى هي الالحاد في اسم الله ويكون مجمل قول الإمام صنفا واحدا من الناس وليست أصنافا مختلفة وهذا خلاف المراد من قول أمير المؤمنين الذي يتحدث عن تشتت الناس واختلاف مللهم.

س: ما الأوجه الإعرابية المحتملة لإعراب (كريما) في قوله (عليه السلام) (فقبضه إليه كريما)؟ وما الأثر الدلالي لكل وجه منها؟

يجوز أن يعرب (كريما) حالا من الضمير في (قبضه)، ويجوز أن يعرب نعتا للمفعول المطلق المحذوف، والتقدير (فقبضه إليه قبضا كريما)، والراجح أن يعرب (كريما) نعتا للقبض لأن سياق القول قد وصف ميلاد الرسول بالكرم أيضا في قول أمير المؤمنين (كريما ميلاده) فالتقابل الدلالي بين ميلاد الرسول وقبضه واضح والمحصل منه أن الكرم عائد للمولد والمات وليس لشخص الرسول لأن النبيّ أكرم الخلق في كل زمان ومكان وليس في لحظة ماته فضلا عن إن الحال

منتقلة ولو كان (كريما) حالا لكان المفهوم أن النبي كريم عند مماته فحسب.

س: ما إعراب جملة (مأخوذاً على النبيين ميثاقه)؟

مأخوذاً حال من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منصوب وهو اسم مفعول عامل و(ميثاقه) نائب فاعل لاسم المفعول والجار والمجرور (على النبيين) متعلق بفعل الأخذ. وفي العبارة دليل على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) سابق النبيين في عالم الذر. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بأي شيء سبقت ولد آدم؟ قال: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ رَبِّي ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فكنت أنا أول من أجاب»^(١).

المستوى المعجمي

س: ما الفرق بين السمة والأمانة والآية؟ ولم أوثرت السمة في (مشهورة سلاته).

ذكر أبو هلال العسكري أن ((الفرق بين العلامة والآية أن الآية هي العلامة الثابتة من قولك تأييت بالمكان إذا تجسست به وتثبت أما الفرق بين العلامة والسمة فالسمة ضرب من العلامات مخصوص وهو ما يكون بالنار في جسد حيوان مثل سمات الإبل وما يجري مجراها وفي القرآن ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] وأصلها التأثير في الشيء ومنه الوسمي لأنه يؤثر في الأرض أثرا ومنه الموسم لما فيه من آثار أهله والوسمة معروفة سميت بذلك لتأثيرها في ما

(١) نور الثقلين ٣/ ٩٥.

يخضب بها. والفرق بين الأمانة والعلامة أن الأمانة هي العلامة الظاهرة ويدل على ذلك أصل الكلمة وهو الظهور ومنه قيل أمر الشيء إذا كثر ومع الكثرة ظُهور الشأن ومن ثم قيل الأمانة لظهور الشأن وسميت المشورة إمامة لأن الرأي يظهر بها وائتمر القوم إذا تشاوروا^(١).

س: ما الفرق بين الدين والملة؟

أن الملة اسم لجملة الشريعة والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها فيقال: فلان حسن الدين ولا يقال: حسن الملة وإنما يقال هو من أهل الملة، ويقال لخلاف الذمّي: الملى نسبة إلى جملة الشريعة فلا يقال له ديني وتقول: ديني دين الملائكة ولا تقول ملتي ملة الملائكة لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله. والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك وكل ملة دين وكيس كل دين ملة واليهودية ملة لأن فيها شرائع. وكيس الشرك ملة. وإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالشواب مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]^(٢).

س: ما المراد بالملل والأهواء والطرائق في قول أمير المؤمنين؟

الملل المتفرقة كاليهود والنصارى والمجوس. والأهواء المنتشرة كعابدي الملائكة، وقد ذكروا في القرآن الكريم، وعابدي الشمس وهم قوم من العرب يعبدون الشمس ويسمونها الإلاهة. وعابدي الخيل وهم قوم من غير العرب كانوا يعبدون الخيل بالبحرين قيل لهم الأسبديون لأنهم كانوا يعبدون فرسا

(١) الفروق اللغوية ٧١-٧٢.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية ٢٢٠.

... المقطع العاشر: مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) ...

ويقال للفرس بالفارسية (اسب)^(١). والطرائق المشتتة كالدهرية والوثنية، وقد نقل أصحاب التاريخ كثيرا من أخبارهم ففي (حلية أبي نعيم) قال أبو رجاء العطاردي: كنا نجمع التراب في الجاهلية فنجعل وسطه حفرة، فنحلب فيها، ثم نسعى حولها ونقول^(٢):

ليك لا شريك لك. إلا شريكا هو لك. تملكه وما ملك.

ونقل ابن قتيبة في المعارف أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهة من حيس وهو تمرٌ يخلط بسمين. فعبدوه دهرا طويلا، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه، فقال رجل من بني تميم^(٣):

أَكَلْتُ رَبَّهَا حَنِيفَةً مِنْ جَوْ عَ قَدِيمٍ بِهَا وَمِنْ إِعْوَازِ

ونقل ابن الأثير في الكامل أن الحارث بن قيس السهمي وهو أحد المستهزئين بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأخذ حجرا يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، قيل: وفيه نزل آرايت من اتخذ إلهه هواه^(٤).

وكان أهل الجاهلية ينحرون لصخرة يعبدونها، ويلطخونها بالدم ويسمونها سعد الصخرة، وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤوا إلى تلك الصخرة وتمسحوا بها الإبل والغنم، فجاء رجل يابل له يريد أن يتمسح لها بالصخرة، ويبارك عليها، فنفرت وتفرقت، فقال^(٥):

(١) معجم البلدان للحموي ١: ١٧١ وينظر: بهج الصباغة ٤/ ١٣٠-١٣١.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٠٦.

(٣) المعارف لابن قتيبة ٦٢١

(٤) الكامل في التاريخ ١/ ٦٦٨

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٤٢

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعدُ فما نحن من سعدِ
 وهل سعدُ إلا صخرة بتنوفةٍ من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشدِ
 ومَرَّ بسعد ذاك رجل وثعلب يبول عليه، فقال^(١):

أربُّ يبول الثعلبانُ برأسه لقد ذلَّ من بالته عليه الثعالِبُ

وفي تاريخ يعقوبي: كان أول شأن الأصنام أن الناس كانوا إذا مات لأحدهم الميت الذي يعزّ عليهم من أب أو أخ أو ولد صنعوا صنما على صورته، وسمّوه باسمه، فلما أدرك الخلف الذي بعدهم ظنّوا وحدثهم الشيطان: أنه إننا صنعت هذه لتعبد، فعبدوها، ثم فرّق الله دينهم، فمنهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من عبد الطير، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الماء، ومنهم من عبد الريح، وفتنهم الشيطان وأضلّهم وأطغاهم^(٢).

س: ما المراد بالمشبه والمشير؟

المشبه لله بخلقه كاليهود حيث أثبتوا له ابنا وهو عزيز، وكالنصارى حيث أثبتوا له ابنا وهو عيسى، وكصنف من العرب حيث أثبتوا له بنات، أي: الملائكة، فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله تعالى، وهم الذين أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِّلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥].

(١) نفسه ٢/٤٧٢.

(٢) تاريخ يعقوبي ١/٧.

والمشير إلى غيره كالذين جعلوا الصانع هو الدهر والنور والظلمة وكان بعض العرب يقول:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجمانية: ٢٤]. وبعضهم أقر بالخالق وأنكر البعث، ومنه قولهم في قتلى بدر^(١):

أَيْخِرْنَا ابْنَ كَبْشَةَ أَنْ سَنَحْيِي وَكَيْفَ حَيَاةُ أَضْدَاءِ وَهَامِ
إِذَا مَا الرَّأْسُ زَالَ بِمَنْكِبِيهِ فَقَدَ شَبَعَ الْأَنِيسُ مِنَ الطَّعَامِ
أَيَفْتُلُّنِي إِذَا مَا كُنْتُ حَيًّا وَيُحِينِنِي إِذَا رُمْتَ عِظَامِي

وبعضهم أقر بالخالق ونوع من الإعادة، وأنكر الرسل، وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاء في الآخرة، وحجّوا لها ونحروا لها الهدي وقربوا قربان لها، وحلّلوا وحرّموا، وهم جمهور العرب الذين قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]. ومنهم من يجعل الأصنام مشاركة للباري تعالى، كقولهم في تليبتهم: «لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك». ومنهم من يجعلها وسائل، كما في الآية: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

س: ما الفرق بين التفرّق والتشتّت في قوله (عليه السلام): «ملل متفرقة... وطرائق مشتتة»

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١١٨.

التشتت تفريق في انتشار وتبعثر، يقال شتّ جمعهم شتا وشتاتا، وجاءوا أشتاتا أي متفرقي النظام، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] والتشتت خلاف الألفة فقال تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤] أي هم بخلاف من وصفهم بقوله: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]. والتفكيك خلاف الاستمساك والالتصاق لأن التفكيك ما يصعب من التفريق وهو تفريق الملتزقات من المؤلفات. أما التفريق فخلاف الجمع ويكون في الملتزقات وفي غيرها ولهذا لا يقال فككت النخالة بل فرقتها.

المستوى البلاغي

س: (مأخوذاً على النبيين ميثاقه) اقتباس من القرآن الكريم؟ دلّ عليه وبين المعنى. الضمير في ميثاقه يعود أيضاً إلى الله، لأنه هو الذي أخذ العهد على أنبيائه أن يؤمنوا بمحمد، ويأمروا الناس بالتبشير به واتباعه عند إدراكه، وليس من شك ان ذكر محمد كان يملأ جو الأنبياء السابقين كما يومئ إليه قولهم (أقرنا) الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

والمراد من أخذ الميثاق على النبيين الايجاب عليهم بيانهم لأمرهم أن نبينا صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وأن شريعته ناسخة لشرائعهم، فيجب عليهم رفض شرائعهم واتباع شريعته.

س: (مشهورة سماته) اقتباس قرآني، دلّ عليه واذكر مصاديقه الروائية.

السمات النبوية المشهورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وهذه الآية من معجزاته القطعية التي يثبت بها نبوته، فإنه لو لم يكن يعرفونه، ولم يكن مكتوبا في كتبهم لأتوا بكتبهم إليه، وقالوا له: أين كنت مذكورا ومكتوبا؟ ولو كان ذلك لصار أمره باطلا، وتفرق الناس عنه ولا سيما كان في أصحابه منافقون منتظرون لمثله.

ومن المصاديق الروائية على هذا الإعجاز الغيبي ما نقله الكراجكي في كنز الفوائد أن في التوراة مكتوبا: «إذا جاءت الأمة الأخيرة تتبع راكب البعير يسبحون الربّ تسيحا جديدا»^(١) وراكب البعير هو نبينا، والأمة الأخيرة أمته. وفي السفر الخامس من التوراة: «الربّ ظهر فتجلّى على سينين، وأشرف على جبل ساعير، وأشرف من جبل فاران»^(٢) وجبل فاران جبل مكة، وظهور الربّ وإشرافه على الجبال يعني بعث أنبيائه.

(١) كنز الفوائد للكراجكي ٩١، وعيون الأخبار للصدوق ١ / ١٣١.

(٢) كنز الفوائد ٩١.

المقطع الحادي عشر: الثقلان

وهو قوله (عليه السلام): «وَحَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّهَاتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ [فِيكُمْ] مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ. بَيْنَ مَا خُذَ مِيثَاقَ عِلْمِهِ، وَمُوسِعَ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتِ فِي الْكِتَابِ فَرُضُهُ، وَمَعْلُومَ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبَ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصَ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبِ بَوَاقِيهِ، وَزَائِلِ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنِ بَيْنَ حَرَامِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَدٍ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ عُفْرَانُهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولِ فِي أَدْنَاهُ، وَمُوسِعَ فِي أَقْصَاهُ».

المعنى العام

لم يمض (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بين للناس معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، ولم يتركهم بعده سُدى وهَملاً، بل خَلَّف فيهم الثقلين على ما دلَّ عليه الحديث المتواتر بين الفريقين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إني خَلَّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأتُهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين، وضمَّ بين سبَّابتيه، فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال: يا رسول الله من عترتك؟ قال صلى الله عليه وآله: عليّ والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليهم السَّلام إلى يوم القيامة^(١). وإلى ذلك المعنى أشار عليه السَّلام بقوله: (وخلف فيكم) أي خَلَّف وراء ظهره مثل (ما خلفت الأنبياء) السابقة والرَّسل السَّالفة (في أممها) من آثار النبوة وأعلام الرِّسالة (إذ لم يتركوهم هملاً) كالابل التي رعت حيث تشاء ولا راعى لها ليلاً ونهاراً (بغير طريق واضح) يوصل إلى مقام القرب والزلفى ولا إمام قائم بينهم ينجي بهم عن ورطة الهلاك والرَّدى. ولما كان شرع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مستمراً إلى يوم القيامة وجب له أن يخلِّف لمن يليه ما يكون ذكرى وتذكرة في هذه المدة المتطاولة وقد خَلَّف فيهم الثقل الأكبر والثقل الأصغر (القرآن والعتره). وكما جعله الله سبحانه خاتماً للأنبياء فقد جعل كتابه خاتماً للكتب، فلا كتاب بعده أحلَّ فيه حلالاً وحرم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم وهو (كتاب ربكم). وفي هذا المقطع صرح أمير المؤمنين بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فسَّر القرآن وحياً كما تلقاه وحياً بما لا مسوغ للاختلاف بعده وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ

(١) ينظر: صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢. والمستدرک علی الصحیحین ص ١٤٨ و ٥٣٢.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿[القيامة: ١٧-١٩]. فجمع القرآن وقراءته من الله تعالى كما إن تأويله وبيانه وتفسيره من الله عز وجل أيضا. ولكن الأمة أضاعت التأويل الإلهي للقرآن وتمسكت بالتأويل العقلي كما هو شائع في تفاسير المسلمين التي طغى فيها الاختلاف في تفسير الكلمة الواحدة فضلا عن التراكيب والعبارات والآيات والسور.

المستوى الصوتي

س: في المقطع ألفاظ اعترى أصواتها الإعلال بالقلب دلّ عليها وبين سبب الإعلال.

المستوى الصرفي

س: في المقطع طائفة من جموع التكسير دلّ عليها وأذكر الوزن والمفرد وقاعدة الجمع لكل منها.

س: في المقطع جملة من أسماء الفاعلين، استخرجها واذكر أوزانها وأفعالها
س: في المقطع جملة من أسماء المفعولين، استخرجها واذكر أوزانها وأفعالها.

المستوى النحوي

س: ما إعراب: (كتاب ربكم)؟.

(كتاب) بدل من (ما) في (وخلّف فيكّم ما خلّف الأنبياء في أمّها... كتاب ربكم مبيّنًا حلاله وحرامه)، منصوب وعلامة نصبه الفتحة لأن (ما) في محل نصب مفعول به للفعل (خلّف). والكتاب مضاف و(ربكم) مضاف إليه

س: ما إعراب (مبيّنا حلاله)؟

مبيّنا حال من الضمير المستتر في (خَلَف) العائد على النَّبِيِّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) منصوب بالفتحة وهو اسم فاعل عامل. (حلاله) مفعول به لاسم الفاعل منصوب بالفتحة. وكذا سائر المعاطيف الخمسة عشر بعده.

س: ما الأوجه الإعرابية المحتملة في إعراب (ومباينٌ بين محارمه)؟ وما المعنى المحصل من كلّ وجه منها؟

فسر شراح النهج (مباينٌ بين محارمه...) بأن معنى المباينة بين محارم القرآن هو أنّ محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة، فالكبيرة أوعده الله - عزّ وجل - عليها بالعقاب، والصغيرة مغفورة. ثم أعرب ابن أبي الحديد^(١) (مباين) بالرفع على أنّه خبرٌ لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو مباين، ورأى ابن أبي الحديد أنّ مباين يروى بالرفع لا بالجرّ، لأنّ جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده، أو الشيء ونقيضه، وقوله: (مباين بين محارمه) لا نقيض ولا ضدّ له؛ لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين: أحدهما مباين بين محارمه، والآخر غير مباين، فإنّ ذلك لا يجوز، فوجب رفع مباين ليكون خبر مبتدأ محذوف. وأعرب الشارح ابن ميثم البحراني (مباين) معطوفا على المجرورات السابقة، فرأى أنّ الرواية بالجرّ وفيه نكتة لطيفة هي إن «المحارم لما كانت هي محالّ الحكم المسمّى بالحرمة صار المعنى: بين حكم مباين وبين محالّه وهو الحرمة»^(٢). فقدر متضايفين محذوفين قبل (مباين) لتأويل جرّه. وأنكر الشارح الخوئيّ على المعتزليّ استدلاله بأن القرآن ليس على قسمين أحدهما مباين، والآخر غير مباين فمنع جرّ (مباين) عطفًا على الأضداد قبله، ورأى أنّ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة للبحراني ١/ ٢٧٧.

القرآن «ليس منحصرًا في المباين بل بعضه جدل، وبعضه قصص، وبعضه مثل، وبعضه أحكام، وبعضه ترغيب، وبعضه ترهيب، كما إنَّ بعضه مباين بين محارمه إلى غير ذلك مما اشتمل عليه»^(١).

المستوى المعجمي

عرّف بالألفاظ الفقهية الآتية لغة واصطلاحًا:

الحلال: ما أذن الله تعالى في فعله كالبيع الصحيح.

الحرام: ما ورد فيه النهي من الله تعالى كالزنا والربا.

الفرائض: ما أوجبها الله تعالى على الناس كالصلاة والصوم وغيرهما وأصلها من فرضت الخشبة: جعلت لها حدودًا فالفريضة ما حُدِّد حكمه.

الفضائل: الصفات الحميدة كالعفو، أو الأعمال المستحبة كالنوافل والصدقة وغيرهما.

الناسخ: الحكم الذي جاء لرفع حكم سابق يسمى المنسوخ، وبعبارة أخرى: النسخ شرعًا: الإعلام بزوال الحكم الثابت بدليل شرعي آخر متراخٍ عنه، على وجه لولاه لكان الحكم أولًا ثابتًا، كنكاح المرأة المشركة فانه كان جائزًا ثم نسخ.

الرخصة: هي التخفيف من الله تعالى رفقا بالناس، وتسهيلًا لهم كإفطار من يضره الصوم في شهر رمضان واكل الميتة للمضطر.

العزائم أو العزيمة: ما وردت فيها إرادة مؤكدة شديدة من الله تعالى، ولا نسخ فيها ولا تحتمل التأويل.

(١) شرح نهج البلاغة للخوئي ١٧٧/٢.

الخاصّ: هو الحكم المخصوص في مكان خاصّ لشخص معيّن كهبة المرأة نفسها للنبي إن اراد النبيّ ان يستنكحها وبعض الخصائص الأخرى التي خصّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كالجمع بين تسع زوجات وامتناع الصدقة عليه وغير ذلك.

العامّ: هو الحكم الشامل لجميع افراد المكلفين كالصلاة والحج.

العبرة: ما يعتبر بها الإنسان وهي مأخوذة من العبور وهو انتقال الجسم من موضع إلى موضع آخر، والمراد: ما ينتقل به الذهن من المصائب الواقعة بالغير، أو الأمور المكروهة عند نفسه فيقدرها كأنها نازله به، فيحصل له انزعاج عن الدنيا وذلك كالسلاطين والملوك الذين جمعوا الأموال، وعمروا البلدان وسكنوا القصور، واعتنقوا الحور، فأخذهم الموت فأصبحوا ترابا، لا يدرى أين قبورهم ولا تعرف اجسادهم، وما بقي منهم باق، ولا تسمع لهم ركزا كالفراعة والعمالقة وغيرهم.

الأمثال: إن المثل له أثر عجيب في النفس، مثلا كلنا نعلم ان الظلم قبيح وان الظالم لا يدوم، ولكن إذا سمعنا قصة عن ظالم ظلم الناس فابتلى بالأمراض والبلايا أو ابتلى برجل أظلم منه ينتقم كان لهذه القصة أو المثل أثر كبير في النفس. وكذلك قصص الأنبياء والامم والأقوام السالفة المذكورة في القرآن.

المرسل: الكلمة المطلقة بلا قيد تقول: رأيت رجلا، فكلمة [رجلا] مطلقة لأنك لم تذكر شيئا من أوصافه كما أن الله تعالى امر بني إسرائيل ان يذبحوا بقرة، آية بقرة كانت ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم كما في الخبر.

المحدود: ما كان مقيدا بقيد أو شرط، كالأمر بعق رقبة مؤمنة.

المحكم: ما اتضح معناه، وظهر لكل عارف باللغة محفوظاً من النسخ أو التخصيص، فالمحكم ما خفي معناه واحتيج إلى التأويل.

س: أين تجد مصاديق هذه المفاهيم في القرآن الكريم؟^(١)

١ - حاله: في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] و﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: ١]

٢ - حرامه: في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٣ - فرائضه: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

٤ - فضائله: في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٥ - ناسخه: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٦ - منسوخه: في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

٧ - رخصه: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ﴾ [البقرة: ١٧٣]

٨ - عزائمه: في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة الخوئي ٢/ ١٧٩ - ١٨٣.

وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨].

٩ - خاصه: في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

١٠ - عامه: في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

١١ - (عبره): في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٦].

١٢ - (أمثاله): في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

١٣ - (مرسله): في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

١٤ - (محدوده): في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمُ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣].

١٥ - (محكمه): في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

١٦ - (متشابهه): في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

١٧ - (مأخوذ ميثاق علمه): في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]. وقوله

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

١٨- (موسع على العباد جهله): في قوله تعالى: (كهيعص)، (جمعسق)، وبقية أوائل السور.

١٩- (ومثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه): في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاذْتَمَّهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمُ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥] وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

٢٠- (واجب في السنة اخذه، ومرخص في الكتاب تركه): في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٢١- (واجب بوقته وزائل في مستقبله): في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَكِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٢٢- (ومباين بين محارمه: من كبير أوعد عليه نيرانه): في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

٢٣- (أو صغيرا ارصد له غفرانه): في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ

فِي أَيَّمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٢٥﴾.
 وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
 الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
 تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]

٢٤ - (وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه): في قوله تعالى: ﴿قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا
 قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٢-٤].

المستوى البلاغي

س: قول أمير المؤمنين (عليه السلام) [وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء
 في أمهم إذ لم يتركوهم هملاً] مقتبس من حديث الثقلين؟ كيف توفق بين نهج
 البلاغة والحديث النبوي؟.

في حديث الثقلين واضح أن النبي الأكرم أوصى بالكتاب والعترة لما قال في
 حديث الثقلين المتواتر المشهور: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل
 بيتي، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبداً»^(١). وفي كلام أمير المؤمنين إشارة
 إلى الثقلين في [بغير طريق واضح، ولا علم قائم] إذ لم يترك النبي الأقدس أمته
 سدى بغير إمام يقتدون به ويستضيئون بنور علمه بل خلف فيهم القرآن (طريق
 واضح) والعترة (علم قائم). وروي حديث الثقلين بمختلف ألفاظه في صحيح
 مسلم كتاب الفضائل باب (فضائل علي بن أبي طالب) وصحيح الترمذي والمعجم
 الكبير للطبراني، وكنز العمال والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري
 وخصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي الشافعي وسلسلة الأحاديث
 الصحيحة للألباني. وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة بعد بيان سر انتشار

(١) صحيح مسلم: ٧/١٢٢.

الحديث واشتهاره: ((ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة، وردت عن نيف وعشرين صحابياً))^(١)

س: في (طريق واضح) كناية عن السراط المستقيم الذي اتبعه الأنبياء والأئمة ومن تبعهم من الصالحين المخلصين وهو خلاف طريق إبليس الذي هو خاص بالغاوين. أما في (علم قائم) فكناية عن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) واحداً تلو الآخر وأول علم قائم هو أمير المؤمنين (عليه السلام) وآخرهم الحجة القائم.

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما زال يبين للناس وصيّه ويعين لهم خليفته من أول يوم بُعث نبياً فأمره الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ودعا قريشاً إلى طعامه وندبهم إلى التوحيد فما أجابه أحد إلا ابن عمه علي (عليه السلام) فعرفه لقريش في ذلك اليوم، فاستهزأت به قريش جهلاً واستخفافاً ولم يزل يكرر كلامه في المشاهد والمواطن سرا وعلاناً، ليلاً ونهاراً فكان تارة يوجه كلامه إلى شخص واحد كبعض زوجاته أو بعض أصحابه، وتارة ينادي برفيع صوته يسمع كلامه أكثر من مئة ألف مسلم: [من كنت مولاه فهذا علي مولاه... الخ]^(٢) ولم يمت حتى غرّز هذه الكلمة في قلوب أصحابه، وقد روى علماء المسلمين بأجمعهم تلك الكلمة. وبعضهم لعب بهندام الرواية وفسّر بعض عباراتها تعمية على الناس لكن الحق واضح يعلو ولا يعلى عليه.

س: في (لم يتركوهم هملاً) استعارة، ما نوعها؟

(١) الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٠.

(٢) مسند أحمد ج ٤ - ص ٢٨١.

المقطع الثاني عشر: فريضة الحج والمغزى منها

وهو قوله عليه السلام: «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُجُودَ الْإِنْعَامِ، وَيَأْهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضِعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سَمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَابَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِسْلَامِ عِلْماً، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾».

المعنى العام^(١)

المروي عن العترة الطاهرة أنّ أصل بناء البيت الحرام كان في زمن آدم، ثم انطمس في زمان نوح فبناه إبراهيم، ثم بناه العمالققة، ثم قريش، ثم الحجاج اللعين. والحجر والمقام من الآيات التي اشير إليها في قوله تعالى: (فيه آيات بينات). فأما الحجر فقد أودع الله فيه موثيق الخلق، وإنما يقبل الحجر ويستلم ليؤدّي إلى الله العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق. وروي أنّ عمر بن الخطاب أنّه انتهى إلى الحجر الأسود فقال إنّي لأقبلك وإنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع وأنّ الله ربّي ولولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك، فالتفت إلى ورائه فرأى عليّاً (عليه السلام)، فقال عليّ: بل هو يضرّ وينفع، قال: وكيف؟ قال إنّ الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذريّة كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود.

وأما المقام فهو من أعظم الأعلام ولكون المقام من المشاعر العظام وأعظم البيّنات والأعلام خصّ بالذكر في القرآن فقال تعالى: (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وفيه أثر قدم إبراهيم، وسبب هذا الأثر أنّه لما ارتفع ببيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه. وغير خفي أنّ تأثر الصخرة الصّماء وغوص قدمه فيها إلى الكعبين وبقائها في ألوف من السنين مع كثرة الأعداء من اليهود والنصارى والملحدّين، من أعظم آيات التوحيد.

وفي قوله (عليه السلام) (وَأَوْجَبَ حَقَّهُ) دليل على احترام البيت الحرام لقداسته فلا يتناول عليه بالبنیان مثل ما يحصل الآن. ونقل ابن أبي شيبة في

(١) ينظر: منهاج البراعة للراوندي ٣/ ١٨٩-١٩٠ ومنهاج البراعة للخوئي ٢/ ٢٣١-٢٤٥ وفي ظلال نهج البلاغة ٨٧-٩٠.

مصنفه عن عبد الله بن عمر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «كيف أنتم إذا هدمتم البيت فلم تدعوا حجرا على حجر قالوا ونحن على الإسلام قال وأنتم على الإسلام قال ثم ماذا قال ثم بينى أحسن ما كان فإذا رأيت مكة قد بعجت كظائم ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك»^(١).

وفي قول أمير المؤمنين المذكور آنفا طائفة من علل فرض شعيرة الحج على الناس وهي:

١ - قوله (عليه السلام): (جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم)، فالتواضع لله وتحمل المشاق في طاعته هو العلة الرئيسة للحج. إذ ووصف التعبير القرآني الموضع الذي بنيت فيه الكعبة بأنه واد غير ذي زرع فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وبين أمير المؤمنين (عليه السلام) علة اختيار هذا المكان المقفر للكعبة المشرفة دون سائر الأماكن الزاهية فقال (عليه السلام) في الخطبة ١٩٢ وهي المعروفة بالقاصعة: «وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ^(٢) الدُّنْيَا مَدْرًا^(٣)، وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قُطْرًا، بَيْنَ جِبَالِ خَشْنَةِ، وَرِمَالِ دَمِثَةِ^(٤)، وَعُيُونِ وَشَلَّةِ^(٥)، وَقَرَى مُنْقَطَعَةَ، لَا يَزْكُو بِهَا حُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ^(٦)». ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٤٦١ ح ٣٧٢٣٢.

(٢) النَّتَائِقُ جمع نَتِيقَة وهي البقاع المرتفعة، ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان.

(٣) المَدْرُ: قطع الطين اليابس، وأقل الأرض مَدْرًا لا ينبت إلا قليلاً.

(٤) دَمِثَة: كَيْنَة يصعب السير فيها والاستنبات منها.

(٥) وَشَلَّة - كفرحة: قليلة الماء.

(٦) لَا يَزْكُو: لَا يَنْمُو. وَالْحُفُّ عبارة عن الجمال. وَالْحَافِرُ عبارة عن الخيل وما شاكلها.

وَوَلَدَهُ أَنْ يَتُّنُوا أَعْطَفَهُمْ^(١) نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ^(٢)، وَغَايَةَ لِمُلْقَى^(٣)
رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثَمَارُ^(٤) الْأَفِيدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ^(٥) قِفَارِ سَحِيقَةٍ^(٦)، وَمَهَاوِي^(٧)
فِجَاجِ^(٨) عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارِ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يُهَزُّوا مَنَاكِبَهُمْ^(٩) ذُلًّا يُهْلَلُونَ لِلَّهِ
حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ^(١٠) عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثًا^(١١) غُبْرًا^(١٢) لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَائِلَ^(١٣)
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ^(١٤) مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا
شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِّيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوَصْلَةً إِلَى
جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ،
وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ^(١٥)، جَمَّ الْأَشْجَارِ^(١٦)، دَانِيَ الشَّارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى^(١٧)، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ

وَالظَّلْفِ عبارة عن البقر والغنم، تعبير عن الحيوان بما رُكِّب عليه قوائمه.

(١) ثنى عطفه إليه: مال وتوجه إليه.

(٢) مُنْتَجِعِ الْأَسْفَارِ: محل الفائدة منها.

(٣) مُلْقَى: مصدر ميمي من ألقى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبلهم.

(٤) تَهْوِي: تسرع سيراً إليه. والمراد بالثمار هنا الأرواح.

(٥) مَفَاوِزِ - جمع مَفَازَة: الفلاة لا ماء بها.

(٦) لَسْحِيقَةٍ: البعيدة.

(٧) لِمَهَاوِي كَالهُوَاتِ وهي مُنْقَطِعَاتِ الْأَرْضِ.

(٨) الْفِجَاجِ: الطرق الواسعة بين الجبال.

(٩) مَنَاكِبِهِمْ: رؤوس أكتافهم.

(١٠) الرَّمَلِ: ضرب من السير فوق المشي ودون الجري.

(١١) الْأَشْعَثِ: المنتشر الشعر مع تلبّد فيه.

(١٢) الْأَغْبَرِ: من عَلَا بَدَنُهُ الْغُبَارُ.

(١٣) السَّرَائِلِ: الثياب.

(١٤) إِعْفَاءِ الشُّعُورِ: تركها بلا حلق ولا قص.

(١٥) الْقَرَارِ: المطمئن من الأرض.

(١٦) جَمَّ الْأَشْجَارِ: كثورها.

(١٧) الْبُنَى - جمع بُنْيَة بضم الباء وكسرها: ما ابنتيته، وملتفّ البنى: كثير العمران.

بِرَّةَ سَمَرَاءَ^(١)، وَرَوْضَةَ خَضْرَاءَ، وَأَزْيَافَ^(٢) مُحَدِّقَةَ، وَعِرَاصَ^(٣) مُغْدِقَةَ^(٤)، وَرُزُوعَ نَاضِرَةَ، وَطُرُقَ عَامِرَةَ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ^(٥) الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ زُمْرَةِ خَضْرَاءَ، وَيَأْقُوتَةَ حَمْرَاءَ، وَنُورَ وَضِيَاءَ، لَخَفَّ ذَلِكَ مُضَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنْفَى مُعْتَلَجَ^(٦) الرِّيبِ مِنَ النَّاسِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِالْأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَتَّبِعُهُمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّدَلُّلِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتِحَتْ^(٧) إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلَّلاً لِعَفْوِهِ».

٢- قوله (عليه السلام) (وتشبهوا بملائكة المطيفين بعرشه)، إذ روي عن الرضا (عليه السلام) إِنَّ عِلَّةَ الطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فردوا على الله تعالى بهذا الجواب، فعلموا انهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحبَّ الله تعالى أن يتعبَّد الناس بمثل ذلك فوضع في السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتا يسمى

(١) البرَّة: الحِنْطَةُ، والسمرَاءُ أجودُها.

(٢) الأرياف: الأراضِي الحِنْصَةُ.

(٣) العرَاص - جمع عَرَصَة: الساحة ليس بها بناء.

(٤) المُغْدِقَة: من أَعَدَّقَ المطرُ: كثر ماؤه.

(٥) الأساس - بكسر الهمزة: جمع أُسِّ مثلثها، أو أساس.

(٦) مُعْتَلَج - مصدر ميمي من الاعتلاج وهو الالتطام، اعتلجت الأمواج: التطمت، أي: زال

تلاطم الريب والشك من صدور الناس.

(٧) فُتِحَتْ - بضمين: أي مفتوحة واسعة.

البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت الحرام بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم (عليه السلام) فطاف به فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة^(١). بل ورد ان الملائكة طافوا بالكعبة أيضا كطوافهم حول العرش فعن الصادق عليه السلام لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة بالأبطح فقالوا يا آدم بر حجك، أما إننا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عام^(٢).

٣- قوله (عليه السلام) (يحرزون الارباح في متجر عبادته)، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أن العلة في تكليف الحج أنه تعالى جعل فيه اجتماع الناس من المشرق والمغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولتعرف آثار النبي صلى الله عليه وآله ويعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى.

٤- «يتبادرون عند موعد مغفرته» أي يتسارعون إلى الأعمال التي يغفر الله الذنوب عندها فيصير الحاج كيوم ولدته امه، ولا يخفى ان الاجتماع الكثير في الحج يكون سببا لانفعال الإنسان والخشية من الله تعالى، فتحصل بذلك رقة وتأثر فيستغفرون من ذنوبهم، ويطلبون من الله قبول الأعمال والأجر عليها، ولعل المقصود من «موعد مغفرته» هو يوم عرفة. كما روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما رُئي الشيطان في يوم أصغر ولا أذحر ولا أحقر ولا أغيض من يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إذ من الذنوب ما لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة.

وعن الرضا (عليه السلام) أن علة الحج هي الوفاة إلى الله تعالى، وطلب

(١) عيون أخبار الرضا ١/ ٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٢٠/ ٣٢٠.

الزيادة والخروج من كل ما اقترف ليكون تائباً تماماً مضي، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذات والتقرب والخضوع والاستكانة والذل شاخصاً في الحر والبرد، والأمن والخوف، دائماً في ذلك دائماً وفي ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرغبة إلى الله تعالى ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من في المشرق والمغرب، ومن في البر والبحر ممن يحجّ ومن لا يحجّ من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاتب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواقع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم عليه وفرض الحج مرة واحدة لأنه تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة ثم رغب أهل القوة على قدر طاعتهم^(١).

المستوى الصوتي

س: في قول أمير المؤمنين: (يَأْهُونَ إِلَيْهِ وَوَهُوَ الْحَمَامُ) روي الفعل (يألهون) بلفظ (يولهون) بالواو وهو مضارع من الوله بمعنى الوجد، فما الفرق بينهما؟
المهموز يحتمل معنيين: الأول ان يكون مشتقاً من الوله ايضاً ولكنه بالهمز يفيد الدلالة على الوله الشديد حتى يكاد العقل يذهب ويعضد هذا الوجه وجود الواو فاء للمصدر (وله) المذكور بعده وهنا تخصيص للدلالة بعد ان كانت مطلقة في يولهون والثاني ان تكون الهمزة في يألهون أصلية يقال: أله يألّه كفرح يفرح بمعنى فزع ولاذ. ومنع الشّراح ان يكون يألهون مضارعاً من الألوهة بمعنى العبادة لأن هذا المعنى غير متأتّ للحمام إلا على المجاز والمعنى عكف عليه كأنه يعبده وفيه تحلّل وبعده في المجاز وهو مردود بالاشتقاق (وله) الحمام وهذا دليل

(١) ينظر: علل الشرائع للصدوق ٧٧.

على ان الواو فاء للكلمة. ويفهم من ميل الشَّرَاح إلى تلمس أكثر من وجه لتفسير اللفظ المهموز (يألهون) أنهم يدركون اختلاف المعنى بين اللفظ المهموز وغيره وهذا قادهم إلى تخصيص الدلالة في (يألهون) تارة وتوجيه اللفظ إلى معنى آخر تارة أخرى.

المستوى الصرفي

س: ما الدلالة الصرفية المستفادة من لفظ (قبلة) في قول أمير المؤمنين (الذي جعله قبلة للأنام)؟

لفظة (قبلة) جاءت على صيغة مصدر الهيئة الدال على الحالة الثابتة التي يكون عليها الموصوف، واختيار هذه اللفظة في كلام أمير المؤمنين يدل على أن الله تعالى جعل البيت الحرام وجهة دائمة للمسلمين ليس في أيام حجهم بل في الصلاة والذبح والاحتضار والدفن وغيرها.

س: ما الفرق الصرفي بين المصدرين (الوله والولوه)؟

(الولوه) مصدر (وله يله ولوها) كوقف يقف وقوفا فالفعل من الباب الثاني، وأما الوله فمصدر (وله يوله ولها كوجل يوجل وجلا من الباب الرابع والفرق بين المصدرين أن الفُعل صيغة مصدرية تدل على التحول المادي من حال إلى آخر كالدُّخول والخُرُوج. والفَعْل (الولَه) صيغة مصدرية تدل على الانفعالات النفسية العارضة كالوَجع والفَرع والفَرح والحَزن.

س: وصف البيت العتيق في التعبير القرآني بأنه (حَرَمٌ وحرام) [فما الفرق في الدلالة الصرفية بين الصيغتين؟

الحرم في الأصل مصدر فغلبت عليه الاسمية ف قيل: حَرَمُ فلان، أي زوجه لأنها محرمة على غيره ويسمى الصيد حرماً إن كان جوار الكعبة، فالحرم مشترك بين عدة معانٍ إن جاء نكرة. ومع اقترانه بأل التعريف يخصص بالكعبة من باب التغليب كالنجم للثريا والكتاب لسيبويه والمدينة لمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما كان الحرم اسماً وصف بالآمن في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، فالحَرَمُ المَعْرَفُ هو اسم ملكة وما أحاط بها إلى قريبٍ منها وهو لدى قريش ما دون المنارِ إلى مكة ولما بعث الله عز وجل محمداً (صلى الله عليه وسلم) أَقْرَفُ قُرَيْشًا على ما عرفوه من ذلك فما كان دون المنار فهو حَرَمٌ لا يحل صيده ولا يُقَطَّع شجره وما كان وراء المنار فهو من الحِلِّ من الحِلِّ صيده إذا لم يكن سائده حُرْمًا. وأما الحَرَامُ فاسم لما حَرَّمَ اللهُ بمعنى الشيء المَحْرَمُ فهو اسم مصدر من التحريم ويستعمل صفة مع موصوف قبله كالبيت الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام، وهو عام في كل موصوف كالمال والولد والعمل وفي التعبير القرآني ورد صفة للمسجد والشهر والمشعر والبيت. ووصف البيت بالحرام لأسباب أظهرها أنه حُرْمٌ على المشركين ان يدخلوه، ويحتمل أن يكون ذلك من جهة أنه حرام فيه ما هو حلال في غيره من البيوت كالجماع والملابسة لشيء من الأقدار، أو أنه حرام دخوله من غير احرام. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: إِنَّ الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من النهار ووصف البيت بالعتيق في قوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فثمة رواية عن العترة الطاهرة أنه عتيق من الغرق، ويجوز أيضاً أنه عتيق من الناس لم يملكه أحد غيره تعالى، أو إنه عتيق وقديم لأنه كان قبل آدم. وهذه الأوجه لا تعارض بينها.

س: ما المراد بالسَّع في قول أمير المؤمنين (وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ).

جاء في تفسير القمي «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في الناس بالحج فقال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال تعالى: عليك الأذان وعليّ البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ يلصق البيت فارتفع به المقام حتى كأنه أطول من الجبال فنادى وأدخل إصبعة في أذنه وأقبل بوجهه شرقا وغربا يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيئوا ربكم فأجابه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية «لبيك اللهم لبيك» فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممن استجاب لله وذلك قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج^(١). والتعبير القرآني يعضد هذه الرواية التي تفصح عن إن الحجيج منتخبون من العباد إذ سمعوا نداء إبراهيم (عليه السلام) حينما فرغ من بناء البيت وأمره الله تعالى ان ينادي في الناس بالحج كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الح ٢٧]

(١) تفسير القمي ٨٣/٢.

المستوى النحوي

س: ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الله تعالى جعل البيت الحرام قبله للأنام على حين ذكر التعبير القرآني أن الله تعالى وضع الأرض للأنام في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠] ما دلالة اللام المتصلة بلفظ الأنام في كلا القولين؟ وهل تجد تعارضاً بينهما؟.

يظهر من التعبير القرآني وقول أمير المؤمنين أن الأنام نمط من البشر فاللام في ﴿لِلْأَنَامِ﴾ يدل على المال، أي إنَّ مآل النفع بالأرض موضوع للأنام الذين سيرثون الأرض وما عليها، ولا يراد بالأنام عموم الناس بل صفوتهم وخلصتهم، فالإنسان هو خليفة الله على أرضه، إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: من الآية ١٦٥]، وسخر له ما في السموات والأرض: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجافية: ١٣]، والكثير من الآيات التي تؤكد خلافة الإنسان للأرض وتسخير من فيها لخدمته، ولم يكن الإنسان وحده في هذه الأرض فهناك مخلوقات أخرى غيره هي شريكة له فيها منها الحيوان والنبات والجن، إلا أن الإنسان كان أكثر هذه المخلوقات انتفاعاً، ومعظم هذه المخلوقات مُسَخَّرَةٌ له. والتعبير القرآني قسم البشرية منذ الخليقة على صنفين: الغاوين وهم الكثرة الكاثرة من حزب إبليس والمخلصين وهم الخلاصة المستخلصة من البشرية جمعاء، يشهد لهذا سياق سورة الحجر في الآيات: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢]، فالأنام هم من كان على (الصراط المستقيم) ولا يفهم معنى الأنام بمعزل عن قصة الاستخلاف

البشري في الأرض التي ذكرها التعبير القرآني مفصلة. وفي مشهد آخر منها إنما أنكر الملائكة جعل الخليفة في الأرض لأنهم بحسبانهم أنه جعل أبدي لا ابتلائي فقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] أي إن الملائكة نظروا إلى الحياة الدنيا للإنسان لا الحياة الآخرة ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُحُوقٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ولفظة الأنام اسم جمع لأهل الجنة ولذا اقترن التعبير القرآني في آيتها باللام المألوية فقال تعالى ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ والوضع قرينة للإنسان وإلا فالجن ليس له موضع محدد أي إن مآل وضع الأرض سيكون لهذا الصنف من البشرية وهم عباد الله الخُلص الذين ستؤول ملكية الأرض إليهم يستقروا عليها أخيرا بعد تمحيص وابتلاء كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. والتعبير القرآني لما أورد الأرض مملوكة للأنام بلام الملك أشار إلى الاستخلاف البشري الذين يختص بالصالحين لا الغاوين الذين لن ينالوا من ملك الأرض شيئا خلا إنهم من ترابها وإليه ثم يبعثون للعذاب الأبدي.

س: أعرب الأسماء المنصوبة في المقطع وبين دلالتها الإعرابية.

أ- موعداً في (يتبادرون عنده موعداً مغفرته) اسم منصوب بنزع الخافض أي إلى موعداً مغفرته ويحتمل النصب على إنه مفعول لأجله فيكون المعنى أنهم يتسارعون عند الحجّ لوعداً المغفرة.

ب- مواقف في (ووقفوا مواقف أنبيائه) مفعول مطلق مبين لعدد مرات حصول الفعل فالمواقف جمع للمصدر الميمي (موقف) ولو قال (موقف أنبيائه)

لجاز ولكن يكون المفعول المطلق مبينا لنوع الفعل وليس لعدد مرات حصوله. أو يعرب (مواقف) منصوبا على إنه مفعول فيه ظرف مكان.

ج - ورود، ولوه في (يردونه ورود الأنعام ويألهون إليه ولوه الحمام) كلاهما مفعول مطلق منصوب مبين لنوع الفعل وهما منتصبان على المصدرية مجازا، أي ورودا مثل ورود الأنعام، وولوها مثل ورود ولوه الحمام.

المستوى المعجمي

س: ما الفرق اللغوي بين الأنام والناس والورى؟.

الفرق بين الأنام والناس ساقه أبو هلال العسكري بأن قال ((إن الأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وإنما قال لهم جماعة وقيل رجل واحد وإن أهل مكة قد جمعوا لكم، ولا تقول جاءني الأنام تريد بعض الأنام وجمع الأنام آنام))^(١). وخلص أصحاب المعجم الوسيط إلى أن الأنام «جميع ما على الأرض من الخلق» وهذا هو مفهوم الورى أيضا فلا محصل من قولهم هذا فالورى سمي كذلك لستره ظهر الأرض وتوريته إياها وبهذا الملحظ فرّقوا بين الأنام والورى كما في قول صاحب العين وغيره: «الورى: الأنام الذين على وجه الأرض في الوقت، ليس من مضى، ولا من يتناسل بعدهم، فكأنهم الذين يسترون الأرض بأشخاصهم» ومن هذا يفهم أن الأنام أعم من الورى إذ يشمل الأنام من على ظهر الأرض وهم الأحياء ومن في بطنها وهم الأموات ومن لم يخلقوا بعد وهم ذرية الأحياء. والناس من النوس وهو الحركة فكأنهم سموا ناسا لظهورهم وتحركهم والناس قبال الجنة

(١) الفروق اللغوية ٢٧٥.

وهو مجتمع الجن كما في قوله تعالى ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦].

المستوى البلاغي

س: ما وجه التشبيه بين الحجيج والحمام في قول أمير المؤمنين (يأهون إليه ولوه الحمام)

من طبع الحمام أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

س: وصف أمير المؤمنين بيت الله بأنه (للعاثدين حرما)، أين تجد هذا المعنى في التعبير القرآني؟

قول أمير المؤمنين اقتباس معنوي من قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. إذ روي عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: (ومن دخله كان آمنا) أن المراد من دخل الحرم من الناس مستجيرا به فهو آمن من سخط الله تعالى، ومن دخله من الوحش والطيور كان آمنا من ان يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

س: ما الصورة البلاغية في (يحرزون الأرباح في متجر عبادته)

شبه الإمام (عليه السلام) الحج بالتجارة أو بمحلها، وشبه الحجاج بالتجار الذين يحضرون السوق لجلب المنافع وكسب الأرباح ولقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم بقوله عز وجل: قل يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فعبادة الله تعالى تجارة مربحة وربحها الثواب

... القسم الأول: التحليل اللغوي لخطبة التوحيد ...

الأبدي، والخلاص من النار والعذاب.

س: ما نوع التشبيه في (يردونه وروود الأنعام)؟ هذا تشبيه بليغ إذ حُذفت الأداة ووجه الشبه الذي هو التدافع وسميت مكة بكّة لتزاحم الحجيج فيها، يقال: بكّه إذا زحمه.

س: قوله (عليه السلام): (ويتبادرون عنده موعد مغفرته) اقتباس قرآني دلّ عليه.

هذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

المحتويات

مقدمة المؤسسة	٥
المقدمة	٧
التَّمهيدُ: نَهْجُ البلاغةِ بينَ أنصارِهِ ومُعارضِيهِ	١٥
١ - نَهْجُ البلاغةِ، ما هو؟	١٧
وأبواب النهج الثلاثة التي أقرّها الرضويّ هي:	٢٥
٢ - معارضو النهج وشبهاتهم.	٢٦
٣ - أنصار النهج ورد الشبهات.	٣٠
٤ - شراح نهج البلاغة عبر القرون.	٣٤

القسم الأول

التحليل اللغوي لخطبة التوحيد

القسم الأول: التحليل اللغويّ لخطبة التوحيد	٤١
توطئة: نصّ الخطبة:	٤٣

المقطع الأول: حمدُ الله (عز وجل)

المقطع الأول: حمد الله (عزّ وجلّ)	٥١
المعنى العام	٥٣
المستوى الصوتي	٥٣
المستوى الصرفي	٥٥

٥٨	المستوى النحويّ.
٦١	المستوى المعجميّ.
٦٤	المستوى البلاغيّ.

المقطع الثاني: توحيد الله (عزّ وجل)

٦٧	المقطع الثاني: توحيد الله (عزّ وجل).
٦٩	المعنى العام.
٧١	المستوى الصوتي.
٧١	المستوى الصرفيّ.
٧٤	المستوى النحويّ.
٧٨	المستوى المعجميّ.
٧٩	المستوى البلاغيّ.

المقطع الثالث: بدء خلق الكون

٨١	المقطع الثالث: بدء خلق الكون.
٨٣	المعنى العام.
٨٣	المستوى الصوتيّ.
٨٤	المستوى الصرفيّ.
٨٥	المستوى النحويّ.
٨٧	المستوى المعجميّ.
٨٧	المستوى البلاغيّ.

المقطع الرابع: خلق السماء

٨٩	المقطع الرابع: خلق السماء.
٩١	المعنى العام.
٩٣	المستوى الصوتيّ.

٩٤	المستوى الصرفيّ
٩٦	المستوى النحويّ
١٠٠	المستوى المعجميّ
١٠٤	المستوى البلاغيّ
١٠٧	المقطع الخامس: خلق الملائكة
١٠٩	المعنى العامّ
١١٢	المستوى الصوتيّ
١١٣	المستوى الصرفيّ
١١٤	المستوى النحويّ
١١٦	المستوى المعجميّ
١٢١	المستوى البلاغيّ

المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام)

١٢٣	المقطع السادس: خلق آدم (عليه السلام)
١٢٥	المعنى العامّ
١٢٦	المستوى الصوتيّ
١٢٨	المستوى الصرفيّ
١٣٠	المستوى النحويّ
١٣٣	المستوى المعجميّ
١٣٧	المستوى البلاغيّ

المقطع السابع: معصية إبليس

١٣٩	المقطع السابع: معصية إبليس
١٤١	المعنى العامّ
١٤٤	المستوى الصرفيّ

١٤٩	المستوى النحويّ
١٥١	المستوى المعجميّ
١٥٧	المستوى البلاغيّ

المقطع الثامن: معصية آدم (عليه السلام)

١٥٩	المقطع الثامن: معصية آدم (عليه السلام)
١٦١	المعنى العامّ.
١٦٤	المستوى الصوتيّ
١٦٦	المستوى الصرفيّ
١٧٤	المستوى النحويّ
١٧٥	المستوى المعجميّ
١٧٩	المستوى البلاغيّ

المقطع التاسع: اصطفاء الأنبياء من ولد آدم (عليهم السلام)

١٨١	المقطع التاسع: اصطفاء الأنبياء من ولد آدم (عليهم السلام)
١٨٣	المعنى العامّ.
١٨٥	المستوى الصّرفيّ
١٩١	المستوى النّحويّ
١٩٥	المستوى المعجميّ
١٩٨	المستوى البلاغيّ

المقطع العاشر: مبعث النّبيّ (صلى الله عليه وآله)

٢٠١	المقطع العاشر: مبعث النّبيّ (صلى الله عليه وآله)
٢٠٣	المعنى العام
٢٠٤	المستوى الصوتيّ
٢٠٥	المستوى الصرفيّ

٢٠٥	المستوى النحويّ
٢٠٧	المستوى المعجمي
٢١٢	المستوى البلاغيّ

المقطع الحادي عشر: الثقلان

٢١٥	المقطع الثاني عشر: فريضة الحج والمغزى منها
٢١٧	المعنى العام
٢١٨	المستوى الصوتي
٢١٨	المستوى الصرفيّ
٢١٨	المستوى النحويّ
٢٢٠	المستوى المعجمي
٢٢٥	المستوى البلاغيّ

المقطع الثاني عشر: فريضة الحجّ والمغزى منها

٢٢٧	المقطع الثاني عشر: فريضة الحجّ والمغزى منها
٢٢٩	المعنى العام
٢٣٤	المستوى الصوتي
٢٣٥	المستوى الصرفيّ
٢٣٨	المستوى النحويّ
٢٤٠	المستوى المعجمي
٢٤١	المستوى البلاغيّ

محمد بن عبد الله